# من الجنس إلى الألوهة

## الأديـــــان وأســـــرارها

عنوان الكتاب: **من الجنس إلى الألوهة - الأديان وأسرارها**
اسم المؤلف: **جورج أدوم**
اسم المترجم: **نبيل سلامة**
الموضوع: **عقائد**
عدد الصفحات: **200 ص**
القياس: **14.5 ❖ 21.5 سم**
الطبعة الأولى: **1000 / 2016 م - 1437 هـ**

**ISBN: 978-9933-536-49-7**

---

© **جميع الحقوق محفوظة لدار نينوى**
**Copyright ninawa**

دار نينوى
للدراسات والنشر والتوزيع

سورية . دمشق . ص ب **4650**
تلفاكس: **+963 11 2314511**
هاتف: **+963 11 2326985**

**E-mail: info@ninawa.org**
**ninawa@scs-net.org**
**www.ninawa.org**
**دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع**
**Ayman ghazaly**

---

**العمليات الفنية:**
التنضيد والتدقيق والإخراج والطباعة - القسم الفني: دار نينوى

---

**لا يجوز نقل أو اقتباس، أو ترجمة، أي جزء من هذا الكتاب،**
**بأي وسيلة كانت من دون إذن خطي مسبق من الناشر.**

# من الجنس إلى الألوهة

## الأديـــــان وأســـــرارها

تأليف: جورج أدوم

ترجمة: نبيل سلامة

## المؤلف: جورج أدوم Jorge Adoum

أو Mago Jeva كاتب ومعالج طبيعي وُلِدَ في العاشر من آذار عام ١٨٩٧ في مزرعة والده فرنسيس أدوم Fransisco Adoum بالقرب من بيبلوس في لبنان. وشرع في لبنان في دراساته العليا وأنهاها في ليون – فرنسا، حاصلاً على دبلوم في الطب. عانى في لبنان فظائع حرب ١٩١٤. أورد أحداثها في كتابه "السيد" "Adonai". أمضى الفترة الأطول من حياته في الإكوادور حيث هاجرت عائلته. طاف تقريباً في كل بلاد أميركا الجنوبية، وهو يقدِّم محاضرات مجانية وينشر أعماله محققاً الخير. عاش سنوات طوال في البرازيل حيث وافته المنية في بيترولوليسPetropolis في ولاية الريو دي جانيرو في الرابع من أيار عام ١٩٥٨ بسبب نزيف في الدماغ. ولم يكن آنذاك قد تجاوز الواحد والستين عاماً. ونزولاً عند وصيته فقد تم دفنه في المدينة حيث يذكرونه على أنه "الموقَّر ,Jeva".

### مؤلفاته:

– ١٩٤٠ نشر في Quito كتابه الأول "قدرات أو كتاب التألّه" مستخدماً اسمه المستعار "MagoJeva". وأيقظ هذا الكتاب اهتماماً كبيراً في أميركا اللاتينية كلها. وفي عمله هذا يتحدث عن مفاتيح المعرفة والإرادة والولادة الجديدة. – ١٩٤١ "مفتاتيح الملكوت الداخلي". – ١٩٤٣ "شعلة حوريب" وهو مدخل للأسرار الكبرى للجسد الإنساني وإعادة معايشة ما قد تمت معايشته. – ١٩٤٦ "شعب ألف ليلة وليلة" ويتحدث فيه عن أديان الشرق بمعرفة عميقة لسيرة هذه الشعوب. فقد كان جورج أدوم رجلاً مثقفاً وكان يدرك آنذاك حالة الشرق الأوسط.

### مؤلفات أخرى

– "من الجنس إلى الألوهة" ويدرس في هذا الكتاب أسرار الأديان، والقدرة الخلاقة، ومفتاح الأسرار، والمبدأ المجرد للأديان كلها، – "سحر الفعل أو قدرة الأحرف" ينشغل فيه بالقدرة الروحية والعلمية للكلمات، – "أنا أكون" وهو مجموعة من التأكيدات من أجل تحقيق الغلبة الذاتية، – "نشأة الكون وفقاً لذاكرة الطبيعة" ويحلل فيه العلاقة بين الإنسان والقوى الكونية، – "كيفية الإحساس بالسعادة والاستمتاع بها" – "الملكوت" – "تمزيق الحجب" – "الكتاب من دون عنوان لمؤلف من دون اسم" – "عشرون يوماً في عالم الموتى".

---

## المترجم: نبيل سلامة

باحث ومترجم سوري، صدر له:

١) الميثولوجيا الحية (فن الحب والحياة في الأساطير اليونانية) – دار نوافذ للدراسات والنشر. عام ٢٠١١، ٢) حكايات في التصوف السحري (حكايات استمارانا) – الهيئة العامة السورية للكتاب. عام ٢٠١٢، ٣) المنهج الحيوي الطاقي – معابر للنشر والتوزيع. عام ٢٠١٣، ٤) التاسوعية. (إفهم نفسك بنفسك والآخرين في حياتك). ترجمته. عن معابر للنشر والتوزيع، ٥) الشيفرة الإلهية (المعاني الخفية للأساطير اليونانية). تأليفه. عن دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع. وله دراسات أدبية في علم نفس القصيدة وهندسة القصيدة العمودية على موقع اكتشف سورية للإنترنيت

# الفهرس


١) بمثابة مقدمة ..... ٧

٢) مدخل ..... ١٩

٣) نحو الأسرار ..... ٣٣

٤) الديانة الفالية ..... ٣٩

٥) ديانة ميترا ..... ٤٣

٦) ديانة أوزيريس ..... ٥٣

٧) ديانة الدرويد وأسرارهم ..... ٦٧

٨) الماسونيّة – ديانة، وعلم، وفلسفة ..... ٧٣

٩) ديانات قديمة في أشكال حديثة ..... ٩٥

١٠) تمزيق الحجب ..... ١٠١

١١) الديانة الفيدية ..... ١١٣

١٢) الديانة البراهمانية ..... ١٢١

١٣) الديانة البوذية ..... ١٣١

١٤) عقيدة الكتاب المقدّس ..... ١٣٩

١٥) الديانة المسيحية والمسيح السراني ..... ١٥١

١٦) المسيح السراني ..... ١٥٩

١٧) قانون الإيمان ..... ١٧١
١٨) قانون إيماني ..... ١٧٥
١٩) السر العظيم ..... ١٧٧
٢٠) للختام ..... ١٧٩

# بمثابة مقدّمة

## أسرار الجنس(*)

**بقلم: جورج أدوم**

- "أما قرأتم، أن الخالق، منذ البدء، خلقهما ذكراً وأنثى؟ وأنه قال: يصيران كلاهما جسداً واحداً؟" (متى ١٩: ٤-٥)

- نعم، قرأنا، ولكننا لم نفهم.

هنا يكمن سرُّ الجنس على نحو دقيق.

توجد في الجدار المنيع، الذي يفصِل الإنسان عن الله، نافذةٌ وحيدةٌ فقط، وهي الجنس. والإله نفسه قد فتحها في لحم الإنسان، وأغلقها من جديد باللحم أيضاً. وفي مقدورنا أن نلقي نظرة من هذا العالَم إلى الآخر، فقط من خلال هذا اللحم الشفاف ككريستال نافذة نقيٍّ.

العطش الجنسي هو عطش للعلم... أمّا الفضوليّة[1] فهي سمٌّ.

آدم عرف حوَّاء، ولكنه مات لأن الإثنين ظلاَّ اثنين، ولم يصبحا مطلقاً جسداً واحداً في الحب. وكل من يولد يموت، ولكن الإنسان يصبح خالداً في الحب الخالد القائم من الموت.

ليس الجنس تكاثراً فقط، ولا ولادة وموت، فالجنس فوق ذلك كلّه قيامة. فالجنس هو القوة القائمة من الموت، وهو الطريق الذي يقود من خلال الموت إلى القيامة.

**في البدء كان الجنس هو الحياة.**

**كان هو الفعل في الله وفيه أقام.**

**والجنس كان النور**

**تألّق**

**في الظلمات التي احتمَت في العدم.**

**الذرَّة البذرة فتحَت جرحاً**

**في أرضٍ من العنفوان فارغةً.**

**وقال الجنس، عند رؤيته لها عقيمةً وباردةً:**

**FIAT LUX [2] ليكن نور.**

**بالجنس تمّ صنع الأشياء كلها.**

**ومن دونه لما كان هناك لا بذوراً ولا حصاداً:**

**به نحيا وبه نرتبط.**

**حقاً وصواباً وبدون مراء:**

**القِران بالإلهي ينظر لماذا الله حبّ والله هو الجنس.**

**"جورج أدوم".**

في *كتاب* **الموتى**، إنَّ قضيب الإلـه أوزيـريس متطـابق مـع الإلـه نفـسه. ولذلك، الجسد المنبعث كله قضيبيٌّ، مُشبَعٌ بالجنس، ولكـن، لـيس الجـنس المبتذَل، الأرضي، وإنّما الجنس الرفيع، الروحاني، الكوكبي، الكوني، للقـوّةِ القائمةِ من الموت، ذلك أن الميت يجب أن يقوم وأن يُولَد بنفسه في الأبديّة.

ولذلك فإن الإلهة إيزيس عثرت على كـل الأجـزاء المقطَّعَـة مـن جـسد أوزيريس، باستثناء القضيب: "المُخصِب"، ولهذا لم تستطع بعثه للحياة مـن

جديد. فاستعاضَت الإلهة العضو الإنساني بقضيبٍ فائق الطبيعة، متعالٍ، إلهي، مثل "الصورة المقدّسة" من خشب الجمّيز. وهذا كان رمز الانبعاث عند المصريين.

إنما "النار الآكِلَة" ليهوه ليست أكثر من نار التوق الجنسي. ولكن نار الجنس في مصر كانت النار المقدّسة. بالنسبة لنا، فإن النار المقدّسة هي نار ملعونة. فلقد كان للمصريين السلام في نار الجنس، الحياة الأبدية والقيامة من الموت، في حين أن الموت عندنا الآن هو ذنبٌ، وحرب أبديّة. كان للجنس المقدّس عند المصريين صوت القيادة: "انبعث". ويصيح الجنس الذي ألحقنا به اللعنة "اقتل".

حسب علم الأحياء الحديث، ففي العالَم الإنساني، كما في عالَم الحيوان والنبات، ليس ثمّة فرد من جنس واحد فقط، وإنما كل الكائنات الحيّة هي وسَطٌ بين قطبين اثنين، الذكوري والأنثوي.

ففي كل رجل إذن تكمن امرأة، وفي كل امرأةٍ يكمن رجل. هذا ما يعني فعل إيزيس استعاضة قضيب أوزيريس المفقود بصورة مقدّسة، مع القضيب نفسه المتعالي والإلهي.

إنما الحياة في الثنائيّة الجنسية هي السير نحو الموت. والحياة في الوحدة الجنسية هي التحوّل في الأبدية.

أصل الموت هو الفصل الجنسي للشخصية إلى نصفين. غلبة الموت، القيامة، إنما تكون في توطيد وحدة الجنس في الشخصية، إنما هي شفاء الجرح المفتوح بالجنس.

الشخصية المتكاملة مختومة. وحبّها الجنسي هو طريق القيامة.

دعارة الحب هي المرارة، والبذاءة، والخجل، والوجل. إنها عصارةُ التلذُّذ، وخلاصةُ الألم – حبٌّ وموتٌ.

الإنسان الخالد الأوّل، قبل السقوط، كان رجلاً – امرأة، آدم – حواء، والإنسان اللاحِق، القائم من الموت، سيكون أيضاً رجلاً – امرأة. هكذا يجب أن يكون في ذلك الذي ينتصر على الموت بالموت، وعلى الجنس بالجنس.

يُعطَى تأليه الإنسان في لحظة أنسنة الإله. الآلِهَةُ هم حاليّاً أُناسٌ يشيخون، ويتألّمون، ويموتون، وينهضون من الموت. الآلِهَة المائتة في القِدَم هي إنسانيّةٌ زيادةً، ولهذا فإن الكاهن القديم كان يقوم بدعائه اليومي الرسمي قائلاً: "لم آتِ لكي أقتلَ الله، وإنما لكي أُحييه". لكن، أيُّ إله هذا، ومع ماذا عليه أن يُعيدَ إحياءه؟ مع الجنس، لأن للجنس القدرة على قتل وإعادة إحياء الآلِهَة.

لقد أنسن الجنسُ الآلِهَة، وسيؤلِّه الجنسُ البشر.

الجنس هو منتصف النهار في الله، وفجره هو الإنسان-الإله، وغروبه هو الإله-الإنسان. كان الإنسان القديم يقول: "أنا الله" أمّا نحن اليوم فنقول: "لا وجود لله"!!

استحوذْنا جنساً منحطاً في حين كان للأقدمين جنساً يتجلّى في جنسٍ مقدَّسٍ... ولهذا قِيلَ في الإنجيل "ففي القيامة لا يزوِّجون ولا يتزوَّجون، وإنما يكونون كملائكةٍ في السماء." (متى ٢٢:٣٠).

لدى الجنس أسماءٌ تعبيريّة كثيرة مثل التالية: "الطاقة الخلّاقَة، الطاقة الإلهية، النار المقدّسة، سرّ الأفعى، كونداليني، النار الملتهِبَة، وأسماء أخرى كثيرة" ونحن دعوناه بـ"علّيقة حوريب" لأن هذه العلّيقة تتوقَّد بالنار ولا تحترِق.

إنه نورٌ لا يوصَف، ولأن الله ينادي وسط العلّيقة قائلاً: "لا تقترب إلى هنا. إخلع حذاءك من قدميك، لأن الموضع الذي أنت واقفٌ عليه أرض مقدَّسَة".

قام بروميثيوس بسرقة النار الإلهية لبني البشر، ولأن البشر أساؤوا استعمالها وجعلوها للتدمير، فقد عُوقِبَ بروميثيوس في تقييده بسلسلة من أجل أن يقوم نسر بالتهام كبده، وذلك حتى يستطيع كائنٌ إنسانيٌّ السيطرةَ على هذه النار والقيام بتحريره من أسره. وتمَّت هذه النبوءة على يد هرقل الذي هو المسارَر الكامل، وابن النور.

بروميثيوس هو لوسيفر، لوسيفر هو نجمةُ الصبح، ونجمةُ الصبح هي العذراء مريم: مريم هي رمز المرأة، والمرأة هي شعار الطبيعة.

بعث المعلِّمون للعالَمِ المسارَرَة لكي تصير ممكنةً هذه الصيرورة في المستقبل الآني، وعدم انتظار مجرى التطوّر الطبيعي. لقد دعا السرّانيّون هذا بسرِّ النار، في حين أن علماء الباطن دعوه بسرِّ الجنس أو السحر الجنسي. وبالتالي، فإن سرّ النار أو الجنس هو المفتاح الثاني للملكوت.

بحث الأقدمون عن مفتاح السرّ الأعظم لقدرة النار، وقلّدهم المعاصِرون، وناهيكم عنهم، فقد شوَّهوا العقائد الموغِلَة في القِدَم. كانت النار هي الألوهة التي تشتعل في الإنسان وفي الكون. إنها سرُّ الروح القدس التي نزلت بألسنةٍ ناريّةٍ على التلاميذ، مثل ألسنةٍ من نور وإلهام في القلب، مذبح النفس.

هرقل هو تَجَسُّد المسيح في الأطلنطيس. إنه مسيح الأطلنطيس الذي أظهر من خلال أفعاله بسالةً، وما يتلاءم مع هرقل الروماني، أو هرقل بالنسبة لليونانيين. فالأحداث الموصوفة في الأساطير اليونانية هي في الحقيقة أوصاف لمعابر وشخصيات عاشت في الأطلنطيس قبل وقت لا بأس به من الفاجعة الأطلنطية الهائلة المعروفة بالنسبة لنا بالطوفان.

إن الأطلنطيس حسب السجلات التاريخية السرية انفردت بالمعركة الكبرىٰ المشتعل أوارها بين قدرات النور ضدّ قدرات الظلمات.

ومن بين الأعمال البطولية الاثني عشر التي قهر فيها هرقل الوحش العملاق المُسمَّىٰ بالهيدرا الليرنية والتي كان لها تسعةُ رؤوس، وكلّما قُطِعَت واحدةٌ منها كانت تنبعث أخرىٰ مكانها.

الهيدرا الليرنية، إنها أنا كلّ واحدٍ منّا، الأنا، أنا نفسي، وكلّ رأس من الهيدرا له اسمه الخاص: فالأوّل يُدعَىٰ بالشراهة، والثاني يُدعَىٰ بالفسق، والثالث يُدعَىٰ بالكسل، والرابع يُدعَىٰ بالجشع، والخامس يُدعَىٰ بالكبرياء، والسادس يُدعَىٰ بالخوف، والسابع يُدعَىٰ بالحسد، والثامن يُدعَىٰ بالبغضاء، والتاسع يُدعَىٰ بالكذب.

(تعليقات جورج إلياس رودريغز)

يروي سفر التكوين في الإصحاح (ف٣، مقطع ١٥): "بينكِ وبين المرأة أقيم عداوة وبين نسلك ونسلها فهو يترقّب منكِ الرأس وأنتِ تترقّبين منه العقِب".

الرجل هو الإرادة والقدرة، والمرأة هي فعل النار، واتحاد الاثنين كوَّن الحكمة التي قوْلَبَت الأرض، والكون، وكل الكائنات المرئية والغير مرئية. الأوّل هو الحياة، والثاني هو الحركة. فمن الدماغ الأيمن تجتاز الحياة إلى النطاق الأيسر، ومن الدماغ الأيسر تجتاز الحركة إلى نطاق الحياة، وكلاهما يشكِّلان النور الذي نصفه حياة ونصفه الآخر فعل، ويكوِّنان كرة الوحدة.

كل إنسان يعمل لنشر نوره في العالَم هو هرقل المُستنير الذي أنقذ بروميثيوس المُقيّد بسلسلةٍ، وأنقذ الطبيعة من خلال روْحنتها.

توجد في الإنسان ثلاث شموس: الشمس-الآب، والتي تضيء في الرأس، والشمس-الأم أو الروح القدس في الجنس، والتي تغذِّي وتُخَصِّن الجسد، والشمس-الابن في القلب، والتي تنمِّي الذكاء. وبعبارة أخرى: الشمس الداخلية تُظهِر حرارتها في الجنس، وحيويتها في القلب، ونورها في الدماغ.

لقد استعمل الكهنة الأقدمون خُلاصات، وأعشاب، وحيوانات لكي يقوموا بجذب النور الكوكبي أو نفس العالَم، وبطريقة خاصّة، ولكن المستنيرين المعاصِرين اليوم، أنابوا عن كل عشبة وكل حيوان، باستبدالهم إيّاها من خلال مغناطيسية المرأة في أعمالهم بأعلى درجاتها السحرية.

تكمن إحدى معاني الصليب في احتكاك أدمتين متصالبتين لإنتاج النار. إنه ذو معنى قضيبي، وشعار النار الكونية.

إنما النار المشتعِلَة من خلال المرأة في دم الرجل ذي الطبيعة الغازية التي تجري من خلال المنظومة، تُحيي وتُبقي الجسم على اتصال مع نفس العالَم من خلال إشعاعاتها الهاليَّة ومراكزها المغناطيسية.

تصبح الشعلة المقدّسة المتوقدة من خلال المرأة دخاناً في الجنس، والكبد يعمل على تحويلها إلى حرارةٍ تصل إلى القلب، وتعمل الغدة الصنوبريّة على تحويلها إلى نور في الدماغ. وكل هذا التحوُّل يتعلّق بمَلَكَةِ الخيال عند الإنسان، فإذا ما توجَّهَت هذه الملَكَة عند الشعلة نحو الأسفل، فإنها تقوم بجذب مواد دماغية تزيد من الدخان الصاعِق، ولكن إذا ما ارتفعت هذه الملَكَةُ نحو القلب والدماغ، فإنه يُنتِج حرارةَ الحبِّ في القلب، والنور في الدماغ.

إنما النار المُوقَظَةُ من خلال المرأة يجب أن تشتعِل عبر النخاع الشوكي حتى الدماغ، من حيثُ تخرج عبر تاج الرأس مثل نورٍ ذهبي. كإكليلٍ من

نور، رسمه الفنانون الراؤون كهالةٍ تُحيط برؤوس القدّيسين، والتي تعني ولادة الإنسان الجديدة أو استنارته.

لقد كان الأقدمون يعبدون الله واضعين في مذابحهم وجه تمثالٍ أو صورةَ رَجُل. وقد وضع المسيحيّون أنفسهم في مذابحهم الرجل والمرأة، يسوع ومريم، يوسف ومريم.

وقد عرفنا من خلال ملَّةٍ في الشرق أنها تعبد الألوهة فقط من خلال هيئةٍ أُنثويّة، ويضعون في مذابحهم المرأة. وكان هدف هذه العبادة بشكلٍ أساسي اكتشاف أسرار الألوهة في الإنسان. لقد فهِمَ الأقدمون وأحسّوا مقولةَ هرمس على نحوٍ كامل: "كما في الأعلى يكون في الأسفل".

لقد فهموا أن كلَّ جزءٍ من عضويّة الإنسان لديه معناه السري. ومقاييس الجسد وحركاته كانت تفيد في قياس كل أجزاء الكون ومعرفة حركاته بدقة. وتحافظ على أمثلة هذه الحكمة أهرام مصر، وسفينة نوح، وهيكل سليمان.

وعندما رمى الزمن حجاب الجهل على عقول الناس، بدأ الإنسان بعبادة الرمز بحدّ ذاته، ناسياً الحقيقة التي يعبِّر عنها الرمز وأعطى لكلّ فعل من أسراره معنىً موضوعياً.

يتعلَّم العالم اليوم ما توحي به حواسه الخارجية، ولا يتوقّف لدراسة العالَمِ الداخلي للإنسان على نحوٍ ذكي، وذلك من أجل أن يتوصّل إلى اكتشاف السر الحقيقي للحكمة.

عندما يعود الإنسان إلى ملكوته الداخلي والذاتي، حينئذٍ سوف يفهم كلمات المعلّم الإلهي التي تقول: "ملكوت السماوات في داخلكم". سوف

يفهم الإنسان أن آدم ليس رجلاً، وإنما أوّل صدور فعَّال عـن المطلـق. وأن حواء ليستامرأة وإنما ثاني صدور منفعِل عنه. وأن جنة عدن هـي في الجـسد الذي يُوحِّد فيه هذين القطبين. وأن نار الجحيم تشتعل إلى الأبد في الجـنس وتُعذِّب أولئك الذين يسعون إليها، وأن لوسيفر، أو البهيمـة، هـو في هـذا الجزء من الجسد. وأن شجرة الحياة ومعرفة الخير والشر هي الجـنس الـذي يقع في وسط الجسد الإنساني. وأن ابن الله هو ابن النار المقدّسة، في حـين أن ابن الإنسان هو ابن الرغبات الإنسانية، المتمثّلة في الإنجيل مـن خـلال آدم وحواء، قايين وهابيل.

---

(*) لقد حرصت على ترجمة كلمة sexualidade بالجنس وليس بالجنسانية أو الجنـسوية لأن الأخيرة، حسب رأي أوشو أحد حكماء التانترا، هي كـما يقـول في كتابـه مـن الجنس إلى أعلى مراحل الـوعي - ترجمـة أيمـن أبـو تـرابي -: "الجـنس هـو شيء طبيعي، لكن الجنسوية هي نتاج التعاليم المضادة للجنس". (م)

(**) الملقب بـ Mago Jefa: ترجمة Mago تعني ساحر، وهو نفس الاسم الذي يطلـق على المجوس، ممّا يشير إلى ارتباط المجوس بالسحر وليس الشعوذة، فالساحر هنـا رديف الحكيم، أو المُستنير. أمّا كلمة Jefa فلم أعثر على ترجمة تفيد المعنـى، ولعـلّ أقرب كلمة إليها هي Jeová أو Javé وهي تعني يهوه أو الرب.

(١) وتعني أيضاً حبُّ التطلُّع، وهي: curiosidade أو curiosité.

(٢) على الأغلب يُقصَد منها "ليكن ضياء" كما ورد في سفر التكوين.

# مدخل

لا تعني كلمة "إنسان" كائناً عضوياً يُعثَر عليه على هذا الكوكب. الإنسان هو كل كائن مكون من جزأين، جزء روحي وآخر من المادة التي تكون البيئة التي يسكن فيها، وهو قادر على أن يُظهِر من خلال أفعاله الأخلاقية الجزء الروحي الكامن فيه.

تكمن الغاية من الكون في التطوّر. وبالنتيجة، فالغاية من كل إنسان هي جزء من الكون، ولا يمكن أن تكون لها غاية أخرى سوى التطوّر.

ليست النباتات والأجواء في حدّ ذاتها متأثّرة بالتطوّر. فقط هي تتأثّر لتطوّر الكائن الأخلاقي المكوّن من جزء روحي ومن جزء آخر من المادة التي تتكوّن منها تلك البيئة نفسها.

الكائن الأخلاقي نصفه روح ونصفه الآخر مادة هو الإنسان.

تحتوي الروح والمادة في ذاتهما منذ البداية جرثومة الأعمال الماديّةِ والأخلاقيّة التي كانت وستكون في المستقبل.

الظهور أو التحوّل يُزِيلُ النتيجة الضرورية لمبدأ موجود في حالة كاملة ضمن واقع سابق. وبدءاً من فعل الروح في المادة، فلا شيء ينتج لو لم يكن في حالة كمونية في البدء..

الإنسان هو تصغير عن الكون، ولذلك يسمّونه بـ(الميكروكوزم). لأنه يحتوي على كل الصفات التي كانت معطاة لكل الكائنات المولودة قبله.

وكلّ شيء تمّ فعله قبل ظهور الإنسان فقد كان ذلك لأجل الإنسان نفسه، وعلى الفور، وقد امتلك الجوهر الخامس للصفات كلّها التي أُعطِيَت للكائنات السابقة له، فالإنسان سيكون ملك الخليقة – أو كون بصورة مصغرة. ومع ذلك، فإذا لم يكن الإنسان كلمة الكمال الأخيرة على طريق التطوّر، وهو من دون أدنى شك الأكثر كمالاً في وضعه الحالي.

أفادت الكائنات السابقة عن الإنسان بطريقتين: كان بعضها منظّماً كلّ مرّة على نحو أفضل لكي يُوقِع بالإنسان، والبعضُ الآخر لكي يصير مفيداً ويخدمه في احتياجاته.

استنجد الإنسان بالحيوانات، والنباتات، والمعادن، والغازات... الخ، لكي يحصل على حياته بواسطة الأغذية، والثياب، والتنفّس، والملاذ... الخ. تحمل الأرض إليه الماء الذي يقتل العطش، والهواء الذي يحرّك تنفّسه، والحرارة التي تمنحه إيّاها الشمس، وتحافظ على حياته. لأن الشمس هي روح الأرض والكواكب كلّها. إذن، فالإنسان لن يستطيع العيش إذا لم يتوفّر له هذا كله. وبالنتيجةِ، فالإنسان هو خلاصةُ كلّ ما في الكون حتى ظهوره هو نفسه فيه.

وبالتالي، هو العامل الأكثر اقتداراً للتطوّر، والوحيد القادر على الكمال الأخلاقي لأن التطوّر الأخلاقي يُتوِّج التطوّر المادي، كما أن الإنسان يُتوِّج سُلَّم أنساب الكائنات العضوية.

عندما تفعل الروح في المادة، فهي غير مجسَّمَة فيها، قبل تنظيم الإنسان. فالروح كانت موجودة في المادة ضمن حالة كامنة. وهذا يعني أنها لم تكن تمتلك القدرة على التجلّي الخلقي أو الحر.

وأثناء الحقبة "النشأكونية" مانعت المادة التجلّي الحر للروح. وهذا يجري تمثيله من خلال النجمة (الميكروكوزمية) المقلوبة برأسِها متّجهاً نحو الأسفل. وعندما تمّ التوصّل إلى ترسيخ التوازن بين الروح والمادة – بسبب تحوّلٍ مستمرٍّ – تجلَّت إذاك نتيجة تطوّرٍ مادي والعكس بالعكس، وهذا هو، فكلّ تطوّر مادي يتطلّب تطوّراً خلقياً.

النظام الكوني كامل: حيث توجد حاجة للعثور على ما يمكن إشباعه. ويوجد الدواء بالقرب من الداء، والغذاء بالقرب من الجوع، والبلسم بالقرب من الجرح. وهذا النظام الذي يوافق ويغذّي ما يُدعَى بعقل العناية الإلهية.

العناية الإلهية هي التناغم بين الروح والمادة.

لا تدعنا العناية الإلهية الداخلية أن نمضي عمياناً على طريق التطوّر، ولا تملك القدرة على إيقاف مسيرتنا نحو الكمال.

الكمال غير محدَّد، لأن نتيجة التطوّر لانهائية، وعلى ما هو عليه لا يمكن بلوغه إطلاقاً. وبالتأكيد يوجد كمال جزئي، ذلك الذي نتوق إليه، إنه الكمال النسبي الذي يقوم على إشباع حاجات العصر بكلّ العناصر الموضوعة تحت تصرّفه، وبلوغ مثال الشعور بالهناء المرغوب بأكثر قدر ممكن.

بالنسبة للروح الإنسانية، بقدر ما هو معقول كلّ شيء، فهو قابل للتحقيق، لأن العقل لا يستطيع أن يرغب أكثر ممّا هو مُتَاحٌ له. ولا شيء مستحيل إذا ما تمّ العثور على وسائط التنفيذ مهيّأةً للعمل.

تدرك الروح التطوّر، والجسد الذي هو معاون الروح، عليه أن يمضي نحوها. وبالنتيجة، فمن أجل إظهار التطوّر المرغوب لأجل الروح، فعلى الجسد أن يوظِّفَ الوسائط كلّها التي يتكوّن منها، وأن يجعل كل عضو يعمل ويوجِّه المادة في اتجاه قدرها. ولهذا السبب يَدعون "اتحادات" للمجتمعات، لأن كل عنصر عليه أنْ يعمل في أمر وفقاً لاجتهاده ومكانه.

الإنسان هو الكائن الوحيد الذي نصفه روح ونصفه الآخر مادة، والذي يستطيع ويجب عليه أن يكتشف ويحقّق فتوحات على الأرضيّة العلميّة، والفنيّة، ولكن الاكتشاف لا يعني خلقاً.

الاختلاف بين الإنسان والحيوان هو مثل الاختلاف بين التطوّر والمحافظة، أو بين الوعي والغريزة.

واسطة المحافظة التي تمّ منحها للحيوان والنبات هي الغريزة، والتي من دونها سوف تكون هِبَة الوجود عديمة الفائدة، لأنه لا الحيوان، ولا النبات سوف يكون لديهما أيّ واسطة للمحافظة على وجودهما.

الغريزة هي واسطة الحفاظ على حياة كل كائن حي – عليها أن تصبح حتمية وإجباراً، وعديمة التفكير. كما أنّ النحلة تبني مملكتها من دون وعي: فهي تتصرّف تحت ضغط حاجة طبيعتها، والتي يتوجَّب عليها أن تُطيعها، وعاداتها هي منذ الأزمنة الموغلة في القِدَم، وحيدة الشكل، وفقاً للحاجة التي تمتاز بها.

من الغريزة اللاعقلانية، لا يمكن أن يتواجد تطور. وإذا ما استطاعت الغريزة التفكُّر، فإذاك سيكون بمقدورها المقارنة، وإذا ما استطاعت أن

تقارن، فسيكون بمقدورها تحسين نفسها، وإذا ما استطاعت تحسين نفسها، فسيكون بمقدورها التطوّر، وستتخلّى عن مهمّتها بالمحافظة على حياة المتعضية لأنها لن تكون بعد غريزةً وإنّما تتحوّل إلى روح.

وإذا وصلت الغريزة (تُدعَى في أيامنا هذه باللاوعي) إلى الزوال من الطبيعة، فسوف تتخلّى عن الوجود، لأنها بالنتيجة بعد تنفيذها للتطوّر، لن تتواجد أيّ مقاومة قادرة على المحافظة على أوّل تطوّر من أجل جعله قاعدة للثاني. وكلّ شيء سوف يسقط مجدّداً في الفوضى Caos. الغريزة هي قوّة عطالة تعدِّل من الوثبة العارمة جداً للتطوّر. ولذلك يُقال: "الطبيعةُ لا تعطي وَثَبَاتٍ".

وإذا لم تكن الغريزة موجودة كشرط للمحافظة، فلن يتواجد الوعي كشرط للتطوّر بالطريقة نفسها، ولن يكون هناك سبب لوجود الجسم الإنساني الذي يعيش مادياً بفضل الغريزة، ولن يكون بمقدوره المحافظة على حياته الحيوانية التي لا غنى عنها للحياة الخلقيّة للروح. وهكذا فالمادة تتفتّت وتعود للأجواء كلها لتصبح ذرّات، وتعود الأرواح لحالة الروح النقية، ويتوقّف قانون التطوّر. وسيترتّب على الروح أن تبدأ مجدّداً بعمل التنظيم الكوني وهو يفعل مجدّداً في المادة.

هذا هو قانون التحوّل، وقانون التطوّر أو التفكّك: وعندما يتخلّى جسم أو بيئة عن كونها مفيدة لقانون التطوّر، وتتفكّك لأنها منعت طريق التطوّر. وهذا ما يحصل، إذا لم تَقُم الطبيعة بوثبات، ولم تتراجع إلى الوراء، ولم تتوقّف في مسيرتها.

الغريزة متلازمة مع الوعي. والغريزة هي انفعالية الوعي كما أنّ المادة هي انفعالية الروح. ومن دون غريزة ليس هناك وعي، كما لن يكون هناك روح، ولا حياة، ولا مادة.

الغريزة إذن، بالنسبة للحياة المادية هي ما هو الوعي بالنسبة للحياة الخلقية. جُعِلَت الغريزة من أجل الوعي، كما قد جُعِلَت الحياة المادية من أجل الحياة الخلقية.

الروح هي مبدأ التطوّر، والمادة هي مبدأ المحافظة.

الوعي هو شرط التطوّر، ويفرض الحريّة. والغريزة هي شرط المحافظة، وتفترض المحافظة، وتفرض الحتميّة أو الطبيعيّة (نزعة إلى اتباع الطبيعة عن كثب).

الحريّة تتطلّب الشعور بالمسؤولية، بينما لا تملك الحتميّة أيّ شعور بالمسؤولية. وبالنتيجة، فإن كل كائن يتبع حتميّاً غريزته فهو يُنفِّذ القانون الطبيعي، ولا يستطيع أن يكون مسؤولاً، بينما ذلك الذي يسعى لحريته يكون مسؤولاً عن أفعاله.

غريزة الحيوان، وجسمه يزولان مع الحيوان، وكلاهما يتحوّلان ويدخلان في أجسام أخرى.

الإنسان كامل فقط لأنه حر، ولا يحتاج لأيٍّ عامل خارجي من أجل كماله.

المادة الجامدة من دون مبادرة هي غير كاملة. والحيوان هو غير كامل، لأنه محروم من الحرية والإرادة. فقط الإنسان يستطيع أن يكتمل.

وإذا كان الإنسان كاملاً فهو أيضاً قابل للتطوّر. لأن التطوّر هو الطريق الذي يقود إلى الكمال الغير محدّد.

الذكاء الذي يُوعز به البعض من الناس إلى بعض الحيوانات العُليا ليس أكثر من كونه غريزة يملكها كل واحد منها بدرجة مختلفة. إنه الغريزة المتطوّرة وفقاً لنظام السيطرة للكائن المنظَّم حيث يُقيم. ليس مفاجئاً أنّ الحيوانات التي تحيط بالإنسان أكثر من أجل خدمته تملك فهماً إلى درجة ما تجعلها قادرة على أن تكون أكثر ذكاء لكي تُنفّذ مهمّتها الصادرة عن العناية الإلهية.

الإنسان مع أجساده أي (عرباته)، موجّهة لمساعدته في التطوّر الغير محدّد للكون. والروح يجب أن تأخذ وتُرشد الإنسان على طريق الكمال، من دون تركه يحيد عنه.

كل زيغان على طريق التطوّر إنما هو إفراط بالحرية. وبالنتيجة فكل روح أي الجزء الروحي لديه هدف اكتمال كل جسد أي الجزء المادي.

إذن فالروح في الكون، لديها جزءٌ محدّد من المادة من أجل اكتماله، بالعمل على تحويله من الحالة الخشنة (الكثيفة) والصلبة إلى الحالة الأكثر رفعةً، فهذا هو الأمر، حتى بلوغ الحالة الأكثر كمالاً التي هي المادة الحارّة Calórica التي يُعثَر عليها حالاً تحت وبالقرب من الروح اللامتناهي.

تتغيّر الأجسام وفقاً لتجلّي الروح. وتجلي الروح هو النتيجة لفعلها في الجسد، الذي هو في نهاية المطاف واقع التطوّر باتجاه جعل المادة على نحوٍ أفضل.

وإذا كانت أعضاء الجسم المُوجّهة لإظهار مَلَكَاتِ الروح لا تعمل فسيتوجب عليها الانحلال لكونها غير مفيدة للروح.

الخير هو نتيجة للتّناغم الموجود بين العناصر الإنسانية أو بين الروح والجسد. الشر يظهر بوضوح عندما تقود الأفعال إلى عدم الانسجام.

الجسد لا يجعل الروح سيئة، فقط بمقدوره منع إظهارها في مكان أو في آخر. وحيث لا يتمُّ إظهار الروح، فالجسد يكتسب الفعل الأناني وكل الرغبات الجامحة لطبيعته.

وعندما يمانع الجسد من إظهار الروح في كل الأمكنة، فالإنسان يصبح شبيهاً بالشرس، والوحش، ولن يحصل سوى على الغرائز الحيوانية التي يجد نفسه مطيعاً لها.

تهدف الديانات والتربية إلى تلطيفها، على قدر الإمكان، بما في ذلك الانحرافات الفاسدة. والتدريب يستطيع الإقلال من الرغبات الغير مكبوحة، مستعيضاً عنها بأشواق رفيعة، وفقاً لما تحقّق تاريخيّاً بأدمغة الرجال العظماء الذين عملوا على تغيير الرضوخ. بقدر ما كانت أفكار جديدة تشغل عقولهم.

الحياة المادية سابقة عن الحياة الخلقية، وحتى يمكن القول إنّ الحياة الخلقية ليست أكثر من نتيجة تطوّر حياة الإنسان الماديّة.

وعندما كان الإنسان شبيهاً بالحيوان، لم يكن خلقياً بحال من الأحوال، لأنه لم يكن يستطيع مقارنة الوقائع ولا تمييز الخير عن الشر.

مَلَكَات الاستيلاء، والمقارنة، والحكم، والاختيار، فهذا هو الأمر، فالذكاء، والذاكرة، والحكم، والوعي لا يتمّ إيقاظهم إلا ببطء. كانت مَلَكَة

قاعدة لأخرىٰ، ولكن مَلَكَة لا تولَد من أخرىٰ إلا بعد وجوده وسطياً فترة طويلة. فهذه هي الثمرة المحرّمة التي استهلكها الإنسان طوعاً عندما طوّر في ذاته المواهب الأربعة، وأكل مفرطاً من ثمارها.

الدفاع عن النفس من أجل البقاء علىٰ قيد الحياة ليس فعلاً عقلانياً، وإنما فعل حتمي، فهذا هو الأمر، طبيعي وغريزي، مثل الأكل والنوم.

الحياة في المجتمع، والحب الزوجي، وتربية الأبناء، والعمل من أجل إشباع الحاجات، والتمتّع بثمار العمل، كل ذلك هو عبارة عن غريزة تنتمي للحياة المادية. كل ذلك حتمي، وغريزي، ويحدث من تحت ضغط الحاجات لأنه أمرٌ عادي بين كل البشر والحيوانات. وكل ذلك يحدث واضعاً أمام نصب عينيه المحافظة علىٰ الحياة. وبالنتيجة، كل ما هو من الغريزة هو من الحياة المادية، يكون حتميّاً وغريزيّاً وطبيعيّاً يتعلّق بالجسد المادي. وكل ما يتعلّق بالجسد المادي يهدف للمحافظة عليه.وفي الحال، طوَّر الإنسان غريزته، وفيما بعد بدأ بتطوير وعيه، لأنه باعتبار الغريزة عامل المحافظة علىٰ وجوده، فالوعي هو عامل تطوّره، ويجب علىٰ عامل المحافظة علىٰ الذات أن تسبق عامل تطوّر الذات.

المحافظة علىٰ وجوده هو شرط أساسي لتطورّه، فالغريزة شرط أساسي للوعي، مثلما أنّ الجسد هو شرط أساسي للروح، وبالنتيجة فالشرط المادي يجب أن يُنفَّذ أولاً لكي تتجلىٰ النتيجة الأخلاقية.

وبالنتيجة طوّر الإنسان في البداية الغريزة، فيما بدأ بتطوير الوعي، لأن الغريزة هي عامل المحافظة علىٰ الوجود، بينما الوعي هو عامل التطوّر، والمحافظة علىٰ الوجود يجب أن تسبق التطوّر.

المحافظة على الوجود هي شرط التطوّر، والغريزة هي شرط الوعي كما أنّ الجسم هو شرط الروح، وبالنتيجة يَتوجّب على الشرط المادي أن يُنفَّذ أولاً لكي تتجلى النتيجة الأخلاقية.

وبالنتيجة، تتطوّر مَلَكَات الروح في مُعَدَّل متناسب لتطوّرات الغريزة. فالأمر كذلك بالنسبة للأعضاء والحواس التي تخدمنا لكي نمتلك الأغراض المادية التي تحيط بنا.

كان الإنسان البدائي وحيداً وضعيفاً أمام المخاطر، ولهذا السبب توجّب عليه الارتباط بأمثاله والعيش في مجتمع. واحتاج إذاك في المجتمع إلى وسائط للتواصل، وكانت ضرورية كاستخدام الصوت، والإشارات التي أنتجت اللهجة. وللحال أصبحت اللغة أوّل ظهور للحياة الثقافية لا بل هي ظاهرة اجتماعية أيضاً.

تتكون الحياة الأخلاقية أو الاجتماعية من واجبات. وقبل العيش في مجتمع لم يكن للإنسان أي واجبات. وهذا مؤكّد، فالحاجة كانت حافزه الوحيد، وكانت الغريزة دليله الوحيد لإشباعها.

في البداية كان واقع العيش في مجتمع هو فعل محافظة على الوجود متجلياً من خلال الغريزة، وكما تفعل بعض الحيوانات التي تتحد في قطعان ضمن اهتمام مشترك للمحافظة على وجودها.

وبهذا الشكل رُمِيَ الإنسان إلى الحياة الأخلاقية ضدّ إرادته، ومن أجل التأثير البسيط لإشباع حاجته المادية الأكثر إلحاحاً: الحاجة للعيش.

وإذا كان الإنسان يمتلك مَلَكَات أخلاقيّة موازية لوظائفه المادية فيتوجّب عليه الاستنتاج بأنّ المَلَكَات الأخلاقية أُعطِيَت لهم لكي

يمارسوها. والإنسان لا يستطيع امتلاك شيء لا يملك الهدف منه. وبالتالي فالمَلَكَات الأخلاقية والمَلَكَات الماديّة هي من أجل الحصول على نتائج محدّدة.

ولكن من أجل أن يكون لدى المَلَكَات الأخلاقية حريّة العمل سويّة مع المَلَكَات الماديّة، كان ضرورياً فرض قوانين اجتماعيّة وترسيخ أديان للدفاع عن حقوق الإنسان ومساعدته في أداء واجباته بالنسبة لذاته نفسها، وبالنسبة لأمثاله.

وكان ذلك هو مبدأ الدِّين وبداية سنِّ القوانين (التشريع). يتطرّق الدِّين للتّحسين الأخلاقي أو الاجتماعي. الروح والنفس. وسنّ القوانين (التشريع) هو من أجل تحسين المادي: المادة والجسد.

بوسعنا تلخيص السِّمات الأساسية الواردة سابقاً ضمن الإطار التالي:

| | |
|---|---|
| الحياة الأخلاقيّة | روح – نفس |
| الحياة الماديّة | مادة – جسد |
| | الوسائط |
| الحياة الأخلاقيّة | وعي – حريّة – انتقاء |
| الحياة الماديّة | غريزة – حتمية – طاقة |
| | الأهداف |
| الحياة الأخلاقيّة | تطوّر – تحسّن |
| الحياة الماديّة | المحافظة – استقرار |
| | السِّمَات |

| | |
|---|---|
| الحياة الأخلاقيّة | ممارسة من قِبَل الإنسان وحده |
| الحياة الماديّة | ممارسة من قِبَل جميع الذين يتمتّعون بالحياة |
| الحياة الأخلاقيّة | لا يمكن لها أن تُوجَد من دون الحياة المادية |
| الحياة الماديّة | يمكن لها أن تُوجَد من دون الحياة الأخلاقية |
| الحياة الأخلاقيّة | تُولد في الإنسان بعد الحياة المادية |
| الحياة الماديّة | تُولَد في الإنسان قبل الحياة الأخلاقية |
| الحياة الأخلاقيّة | تتكوّن من كل المَلَكَات التي لا تعمل إلى جانب الأعضاء الخاصة، والمادية والحساسة التي تعمل في اقتصاد الجسم الإنساني |
| الحياة الماديّة | تتكوّن من كل الوظائف التي تمارس فعل عضو ما، مادي وحساس في اقتصاد الجسم الإنساني |
| الحياة الأخلاقيّة | ثمة الحق |
| الحياة الماديّة | ثمة الواجب |
| الحياة الأخلاقيّة | الحياة في مجتمع يُنظِّم العلاقات |
| الحياة الماديّة | حياة أفراد منفصلين من دون علاقات اجتماعية |
| الحياة الأخلاقيّة | مفيدة، ومريحة، ووافرة |
| الحياة الماديّة | إلزامية (ضروريّة)، ضئيلة، وفقيرة |
| الحياة الأخلاقيّة | مع مجتمعات متنوّعة وفقاً للأفراد |
| الحياة الماديّة | وحيدة الشكل في المجتمعات كلها وجميع الأفراد |
| الحياة الأخلاقيّة | مسؤول يفرط بحريّته ضد حق الغير. عقوبة |

الحياة الأخلاقيّة فكرة أخلاقية، التطوّر الحقيقي، المثال، حسي، الكمال الجميل

الحياة الماديّة عمل آلي، نسخ، لا شيء من الاكتمال

وبالنتيجة، فالدين، والقوانين الاجتماعية هي ثمار الحياة الأخلاقية أو الحياة الاجتماعية.

وعندما قام الإنسان بأفعال البقاء على قيد الحياة، وعندما أمَّنَ وجوده، وبدأ يحلم في تطوير نفسه، وفي تحسينها وتقدّمها. وبعد أن حصل على ما لا غنى عنه، بدأ في البحث عن المفيد المربِح له.

وبالنتيجة، فَثمّة نوعان من الحاجة: اللاغنى عنها، والناس جميعهم هم على توافق مع ما يتعلّق بالغريزة، وبالذي لا غنى عنه، ولكنّهم منقسِمون زيادة عن اللزوم فيما يلامس الحياة الأخلاقية أو المفيدة، ولذلك نرى بأن روح الديانات كلها هو ما لا غنى عنه، وهو واحد بالنسبة لها كلّها، وبقدر ما أن الأديان تتحوّل فتصبح مفيدة تنقسم فيما بينها.

الحاجة حتميّة أو غريزيّة، ولذلك فالناس جميعهم يُطيعون حتمياً الحاجة التي تجعلهم يشعرون، ولذلك فهم متماثلون في تخويل أنفسهم لإصدار الأوامر.

يوجد التنوّع في الحرية: اللاغنى عنه مطلق كالحاجة المادية. والمفيد نسبي مثل الحاجة الأخلاقية. والحتمية تفرض الذي لا غنى عنه، بينما تسمح الحرية باختيار المفيد. المفيد مثل الدين أو القانون، ليس مساوياً بالنسبة للجميع بقدر ما تكون الحاجة مشتركة. المفيد يتمّ اختياره بحرية ولذلك فهو يتنوّع من فرد إلى فرد، وفقاً لسمة أولئك الذين يختارونه.

وبالنتيجة، فالدين يَنجم عن الحياة الأخلاقية للروح، وبواسطة الروح يمارس حريّته. ويكمن مبدأ الحياة المادية بالحاجة أو الحتمية. وبالتالي، فالحياة الأخلاقية والحياة المادية متلازمتان ومتوازيتان فيما بينهما مثلما هو الروح والجسد، والحرية والحتمية.

# نحو الأسرار

إذن فالغاية من الأديان، أو الدِّين، هي تسريع التطوّر الإنساني، وهو غير مفيد، حينما تكمن إرادتنا في إعطاء الجميع التعاليم الدينية نفسها، لأن ما هو عبارة عن وَجْدٍ عند قدّيس، فهذا الوَجْدُ نفسه لن يسبِّب أدنى أثر عند أحد المجرمين. إلا أنَّ كليّة الفئات الإنسانية لديها حاجة للدِّين، حتى يصل الإنسان ليصبح هو نفسه عبارة عن دين أو بلوغ حياة أسمى من وجوده الحالي.

وقد رأينا أنه يَتَوجّب على الأديان تكوين طبائع أخلاقية وفكرية وتطوير الحياة الروحية.

ينبعث الآن سؤال صعب جداً للإجابة عليه: ما هو مصدر الأديان؟ وتحتوي هذه الإجابة على إجابتين في أزمنتنا هذه:

من الميثولوجيات المقارنة، و

من الأديان المقارنة

يَظهَر هذان العلمان كقاعدة مشتركة بالنسبة لإجابتهما عن الوقائع المترسِّخة.

يتمايز الموقفان إلا أنهما في طريقة تحديدهما لطبيعة أصل الأديان. فالميثولوجيا المقارنة تؤكد بأن المصدر المشترك يكمن في الجهل وبأن الأديان الأكثر تعالياً هي التعبير المكتمل فقط للسذاجات والمفاهيم البربرية

للمتوحشين – أُناس بدائيّون. فالإحيائية Animismo (مذهب حيوية المادة والاعتقاد بأن النفس هي مبدأ الفكر والحياة العضوية في وقت واحد). والفيتيشية (التيمية) Fetichismo (عبادة الأشياء المسحورة). وطقس عبادة الطبيعة، وطقس عبادة الشمس ليس هما أكثر من وردة منبعثة من مستنقع. وكريشنا والمسيح هما سلفان لبعض الشفّائين المتحضّرين، وبسبب حكمتهما العالية استطاعوا السيطرة على الجهلة.

تُعلِّم الأديان المقارَنَة بأن كل دين يتمتّع بتعاليم أناس إلهيين يُظهِرون من زمن إلى زمن الأجزاء المختلفة من الحقائق الدينية، وبأن الأديان المتوحشة هي انحلال ناجم عن انحطاطٍ طويل الأمد.

يَقبَل العارفون الحقيقيّون كلا النظريَّتَين، وأظهر مدخلنا بوضوح أن الإنسان يملك حاجتين، واحدة غريزية، وأخرى واعية، وأن الدين وقوانينه وُضِعَت للضرورة وللفائدة. والقيمة النسبية لإثبات المدرستين يجب الحكم عليهما من خلال قيمة البراهين المستعان بها. والهيئة المنحطة لفكرة عظيمة بوسعها أن تُظهِر تماثلاً ضيّقاً مع الناتج المكتمل لفكرة مُبتذلة.

ويقرّ العارف بأن ديانة متحضِّرَة تنجم عن تطوّر للغير متحضّرين، وفي الوقت نفسه، يعترف بأن العناية الإلهية التي كنّا قد تكلّمنا عنها، لا تتخلى عن الإنسان البدائي إطلاقاً، وأرسلت إليه دائماً مشرفين عليه ومرشدين له لكي يعطوه دروساً في الدين والتحضّر.

أُعطِيَت الأديان للشعوب كلّها، وكان على كل دين أن يقوم بإشباع الحاجة الأخلاقية والطبيعية لكل شعب. ويتوجّب على كل دين الوصول

إلى مستوى ذكاء شعب، وإلا بالعكس فإنه لن يساعده في تطوّره. وأجبرت الحاجة المادية الإنسان على أن يعيش في مجتمع ولسبب كذا تمّ فرض قانون "أحبوا بعضكم بعضاً".

لدى الأديان كلها أصل مشترك، والتباين فيما بينها يعود سببه وفقاً للتطوّر العقلي لشعوب الأرض. فإله الزنوج أسود اللون، وإله الصفر هو من العرق الأصفر، وإله البيض هو أبيض أيضاً، وهكذا دياناتهم أيضاً.

ففي بدءِ الزمان، من المؤكّد أنه عندما بدأ الإنسان يعيش في مجتمع حاجتهالمنبعثة في الدفاع عن نفسه، والدفاع عن حقوقه، وكان يعيش سعيداً. ولم يكن لديه حسد، ولا بغضاء، لأنهم لم يكن لديهم مكائد لبعضهم بعضاً. ولم تكن تُوجَدُ لديهم أمراض لأن اللحم كان متوازناً مع الروح. وكانوا يشعرون بأن الحياة عبارة عن دعاء، فكانوا سعداء، وشعروا حدسياً بأن مانح الحياة كان فيهم وهم فيه. (هذه المرحلة من الحياة مُثِّلَت مجازياً من خلال "الجنة" في الكتاب المقدس).

ومع ذلك، ففيما بعد، وعلى نحو تطوري، بدأ الإنسان بإشباع حواسه بشكل جامح (آكلاً من الثمرة المحرّمة) فأصبح تعيساً بالطريقة التي يعيش فيها، ففقد السعادة، ومعها فقد إحساس شعور وحدته مع مانح الحياة. فهاجمته الأمراض والأوجاع الجسمانية والأخلاقية، وإذاك بدأ البحث عن انفراج له وأدوية له. وكان الدواء الأول له هو البحث عن السعادة السابقة المفقودة بسبب الإفراط. وبعدم العثور عليها مجدّداً، وجه دعاءاته إلى مانح الحياة لكي يستيجيب له مجدّداً.

ولكن، لم تحصل تلبية التماسه، لكونه أنانيّاً وخاطئاً، فبدأ الإنسان بالبحث عن واسطة لجذب مراضاة الخالق من جديد، فأبدع علوم لاهوت

فارغة وغير محدّدة مثل ماء البحر. وقَدَّم أضاحياً حيّة لذلك الإله من أجل أن يضع حداً لغضبه عليه. وبالتالي، بدأ يعلم أن الشمس والأرض والقمر والنجوم تُحرَّك وتُضاء من خلال روح كونية عظمى، كانت في الوقت نفسه ينبوع الحياة، وفي طبيعتها نار – شعلة مقدّسة – تلمع في القبّة السماوية وتتجلى كشعلة صغرى في روح البشر. إذاك عبدوا الشمس كمانحة للحياة، وتخلّوا عن الشمس الروحية الغير مرئية. وبالرغم من ذلك فقد كان هناك الكثيرون من الذين لا يزالون يشعرون بمانح الحياة من خلال نوره اللاموصوف وشعلته المقدّسة العميقة.

تدريجياً وبعد عصور، فهؤلاء الذين كانوا يشعرون بالنور اللاموصوف في أعماقهم تحوّلوا إلى كهنة على قدر ما كانت الإنسانية عامة تنزل أكثر عمقاً في العقائد المادية. ومن المؤكد، أنهم كانوا يُنزِلون الروحاني والمجرّد إلى المستوى المادي. وفي النهاية، كانوا قلّة قليلة هم الكهنة الذين ظلوا وعرفوا وشعروا بالشعلة المقدّسة الداخلية كمصدر لكل شيء وكمفتاح للخلود، وهكذا توصّل الشعب إلى عبادة ما يُدعَى بـ"الله" فقط بواسطة رموز أو من خلال أجسام سماوية أو عناصر أرضية.

وفي الوقت المناسب، أرسلت العناية الإلهية آلهة العصور من أجل زيارة أبناء البشر. ومن بين هؤلاء الآلهة كان أورفيوس Orfeu، مُبدع الوسائل التي كانت تُنتِج أصواتاً ذات حلاوة مطلقة عند لمس هذه الوسائل باليدين أو بالنفخ فيها. ومع هذه الألحان كانوا يهدّئون روح الإنسانيّة الشاردة، وكان يُعلِّم بكلماته المتناغمة تعاليم الطاعة للروح العظيمة والرفق الإلزامي والمحبّ للآخرين. وبهذه الطريقة بدأ الناس يسمعون تعاليم الرجال الآخرين، عوضاً عن إصغائهم لدوافع نفوسهم خاصّتِهم، والعمل على

تكريس مغاور وأحراج لعبادة الألوهة عوضاً عن عبادتها في الروح والحق مثلما كانوا عليه في البدء حينما يشعرون بها.

كان هذا مبدأ الديانات، وعندما أخذ الإنسان يمرض بدأ البحث عن دواء له من أجل أمراضه، وعندما تتألّم الروح يرفع دعاءه للألوهة لكي تمنحه انفراجاً.

وخطوة فخطوة، ومن أجل آلامهم وأمراضهم التي سببها إفراطهم في عدم طاعة القوانين الطبيعية، بحث الإنسان عن تهدئة إلهه الغيور، ولذلك فهذا الإنسان مع عقله المُظلِم خلق وأسّس تقدمة النباتات والورود والثمار الأكثر انتقاء لهذا الإله. والكهنة الجهّال، أي للتهدئة تعرفوا بأن الحقيقة العارية والفجّة لا ترضى عليهم، فأسّسوا التضحية المصحوبة ببعض الدعاءات وبدأوا بتقديم طقس عبادة الشمس ليس كإله، وإنما كرمز للنور والحياة التي تمثّلهما في هيئة مرئيّة، وللإله الذي لم يكونوا يعرفونه حدسيّاً. وبدأوا بإكرام تلك الورود التي تفتح بتلاتها وتغلقها تبادلياً مع إشراق وغروب الشمس.

حتى ذلك الوقت بقي الشعب راضياً بعبادة الشمس، والقمر، والنجوم، والنار كرموز. ولكنه كان يرى يومياً قدوم كائنات جديدة، ومن دون شرح لا لمبدأ الحياة ولا لمصدر هذه الحيوات الجديدة التي كانت تتفتّح. سألوا الكهنة المسارَرون وهؤلاء أجابوهم أنه الله، لكي يتمكّن من إظهار ذاته (يخلق)، وبالتالي توجّب عليه أن يتحوّل إلى اثنين، ذكر وأنثى، إيجابي وسلبي، وبما أن الإنسان هو على صورة الله ومثاله، فهو أيضاً قد تحوّل إلى خالق أدنى (أي الإنسان المسارَر روحياً) مثل الله الخالق الأعظم في البداية.

ومن إدراك هذه القدرة الخلَّاقَة للإنسان نجم التنظيم لتلك المنظومة الدينية القديرة المعروفة حالياً تحت اسم "الفالي" (الفالوسي)، أو عبادة الجنس.

الديانة الفالية هي القاعدة، وهي الأساس، وهي الجسد، وهو تتويج الديانات كلها القديمة والحديثة. (أرجو العودة إلى الخاتمة حيث استفضتُ في الحديث حول هذا الموضوع أي موضوع الكتاب من جهة وعنوانه ومقدّمة الكتاب من جهة أخرى).

# الديانة الفالية وديانة ميترا

## أولاً: الديانة الفالية[1]

إن القوّة الأكثر اقتداراً في الطبيعة تكمن في الجنس. فمن دون الجنس ليس ثمة توالُد، ولا عالَم، ولا إنسانية، ولا فعلاً. ومن دون توالُد، لا شيء يستوجِب منح الحياة، ولن تتواجَد بشريّة، ولا روحاً لكي تنال الخلود، ولا حاجة لوجود الله. فالجنس هو البداية، وهو الخلود، وهو التألُّه.

النشاط الجنسي الذي يُوَجَّه بشكلٍ خاطئ بإمكانِه محق وتدمير الروح. ولكن لا يمكن إدانة الجنس، وإنما الإنسان هو الذي يستحقّ الإدانَة، لأنه يستخدِم للتدمير ما أُعطِيَ إياه كمُخَلِّصٍ له. فعلى عاتِق الإنسان يقَع اختيار ما عليه فعله مع هذا المبدأ الرفيع.

كانَت عبادة الجنس، أو الطقس الفالي الشكل الأكثر شيوعاً بين كل الشعوب، إنه عبادة تمّ استلهامَها من خلال ظهور الطبيعة في سرِّها الكبير للحياة والخلق. وقد وصلَت هذه العبادة الرفيعة إلى تطوّرها الأعظمي بين المصريين القدماء، والآشوريين، واليونانيين، والرومانيين، والشعوب القديمة الأخرى في كل أرجاء الأرض: فارس، وآسيا الصغرى، وإثيوبيا، والجزر البريطانية، والمكسيك، وأميركا الجنوبية، وأجزاء أخرى من نصف الكرة الأرضية. لا بل توجد هذه الديانة حتى اليوم في الهند وبين إحدى

---

1 – الفالية (ما يتعلَّق بالذكَر عضو التناسل) وعبادته عند شعوب كثيرة كما سوف نرى في نص الدراسة هذا، وما تعنيه من رموز وخفايا. (م)

طوائف لبنان، ويوجد أكثر من مئة مليون من أتباع وعابدين فاليين حقيقيين من دون أيّ دلالَة لفساد الجنس من خلال الممارسات الشنيعة والمنحطَّة الموجودة في أيامنا هذه على نطاق عالَمي، وفي البلاد التي تعتبِر نفسَها متحضِّرَةً.

تأسَّسَت كل الديانات الحالية على الديانة الفالية، ولا تتجاوز بعض التعديلات لكي تتجاوَب أشكال عريقة في القِدَم مع الشروط الحديثة، وأجوائها المحيطة وغاياتها.

يكمن الدافع المُحيي للحياة العضوية كلها في الغريزة الجنسية، فالجنس هو النداء الكوني للتكاثر، وعلى هذا النحو تطلبُه الطبيعَة، ويصادِق عليه القانون الإلهي. إنّ ما يُدعَى بالجنس هو الذي ينشُط في الصراع من أجل الوجود في العالَمِ الحيواني. وهو المنبع الحيوي لكل جهد وانفعال إنسانيّين، من أجل الأكثر رفعةً أو من أجل الأكثر انحلالاً عندما تكون الرغبات هي التي تحرِّك الحب.

إن قانون الانجذاب لاتحاد الجنسين المستقطَبَيْن لديه هَدَف خَلْق كائن جديد، وهذا الأخير يُقدِّم بدورِه الفُرصَة لروح جديدة، وإناء للشعلَة المقدّسة. فهذا الدافِع هو العامِل الأكثر اقتِداراً في كل ما يتعلَّق بالسُّلالَة الإنسانية. إنه التقدِمَة الأكثر رقيّاً التي خوَّلَها الله للإنسان.

إن الشهية الجنسية ليسَت شهيَّةً حيوانية، فبالعكس، إنها الرغبة الأكثر رقيّاً التي بوسع الألوهَة أن تودِعَها في الكائن الإنساني، إنها وسيلة ضمن أهداف الله من أجل خلود روح الفرد، ولرغَد عيش كل الناس. فالجنس هو القاعِدَة التي يقوم عليها المجتمَع، وينبوع الحياة الإنسانية، والسعَادَة، والأبدية.

من دون الدافع الجنسي، تتعرَّض السلالَة الإنسانية للفناء، وفيما بعد، خلال جيل يخلو العالَم من البشَر. وحينئذٍ ستكون حتىٰ السماء لا معنىٰ لها. ومع ذلك، فالديانات الحالية تعتبِر الجنس أمراً فاسِداً وقذِراً.

إن جذور الجنس تكمن في الألوهَة، لأنه من دون جنس ليس ثمة إمكانية لوجود الحب، وهذا الأخير هو مصدَر الإلهام لكل جمال، وأخلاقيّة، وتسامٍ. ليس ثمّة إمكانية لوجود الحبّ والإلهام وجمال المشاعِر إطلاقاً لدىٰ إنسانٍ عاجِزٍ جنسياً. فالشعلة اللاموصوفَة لا تستطيع إظهار نورها من خلال كائن لا جنسي أو عاجز جنسياً. من دون جنس ليس ثمّة حب، ومن دون حب ليس ثمّة دين. فالانفعالات الدينية تنبت من القدرة المُحْيِيَة للطبيعَة الجنسية. فالديانة الفالية عبدت سرَّ حياة الخليقة أو التكاثر: وكانت هي التكرُّس للقوة الخلَّاقَة كلية القدرة...

إن التكاثر وانتقال الحياة من جيل إلىٰ آخَر هو السرُّ الأكثَر روعَةً، والذي يجعَل النبتة تطلع من البذرة الغضَّة، وتضَع كائناً جديداً علىٰ الأرض، كان وسيكون سرُّ الأسرار. وهذا السرُّ مُحتوَىٰ في حُبَيْبَة الحياة حسب ما يسمّيها العلم الحديث.

تُعلِّم ديانة الفالة حتىٰ اليوم أنه عند الدعاء، فالإنسان يستدعي الإله، ولكنه عند اتحاده جنسياً مع امرأته فإنه يتحوَّل إلىٰ إله. إن نار الجنس هي نار القداسة، وأصل الجنس يعود في جذوره إلىٰ الألوهة نفسِها. فالجنس يكمن في الله، كما أن الابن في الآب. الجنس والقداسة هما خطَّان متوازيان يلتقيان في الله، ولكن عينَيْ الفاسِق وتلك التي للمنافق والمتعصِّب، لا تستطيع رؤية هذا اللقاء.

إن التلاحُم الجسدي بالنسبة لعبَدَة الجنس هو عمل نوراني. فكل اتحاد هو حافِز للخلق أو التعبير. فالشرّ ليس في الفعل في حدِّ ذاتِه، وإنما في الأفكار التي تسبُقُه، وتواكِبُه... فالجنس هو ثمَرَةُ شجرة الحياة في جنَّة عدَن، وعند أكلها يصير الإنسان إلهاً، والإنسان يصير واحداً منها (الكتاب المقدّس). ومع ذلك، وبالرغم من كونها شجرة الحياة فقد مات الإنسان.

لا يمكن لشجرة الحياة أنْ تكون سبباً للموت، ومع ذلك فالإنسان عندما أكل الثمرة فقد عصىٰ، ومعاصيه هي التي أماتته. فالجنس هو الطريق إلى الاستنارة، ولكنّ الشهوة الجنسية والكيروبيم مع السيف المشتعِل الذي يمنَع في حدِّ ذاتِه الإنسان الذي فقد نقاءه من دخولِه جنَّة عدن. كما أن الطهارة بالابتعاد عن الجنس ليس لها أيّ قيمة. فالطهارة الحقيقية يجب أن تكون في نقاء وقداسة الجنس. الطاهِر الحقيقي هو ذلك الذي يحمِل رجولته إلى الألوهة. فالله صنَعَ الإنسان بواسطة الجنس. والإنسان يصير إلهاً عن طريق الجنس. الهروب من الجنس ضارٌّ جداً كالسعي إليه في حدّ ذاته من أجل اللذّة فقط. إنّ اللذّة الجنسية خارج النقاء الجنسي هي لذّة غير مكتمِلَة.

من هو يهوه Yeová إله اليهود والمسيحيين؟! إن الـ Yod هو ذَكَر الرجل، متَّحِداً مع Eva، العضو الأُنثوي، وكلاهما يُشكِّلان القُدرَةَ الخلَّاقَة للديانات القديمة. فالاتحاد الجنسي في ظهور الطبيعَة كله هو اتحاد النصفين لتصوير يهوه Yeová في الكتاب المقدّس.

يجب أن يكون الجنس حباً، ولكن لا يجب أن يصير الحبُّ جنساً، لأنه ثمّة جنسوية شهوانية، وجنسوية روحانية. فالشهوانية هي الولادة والموت، في حين أن الروحاني هو القيامة الأبدية. ونار يهوه Yeová في علِّيقة حوريب ليسَت إلا نار الجنس. في علِّيقة الجهاز المنوي. "لا تقتربوا من هنا: إنزعوا أحذيتكم من أقدامِكم، لأن الأرض التي تطأونها هي أرض مقدَّسَة!".

## ثانياً: ديانة ميترا

لا نستطيع في هذه الأعمال التمهيدية تقديم تعاليم، ولا ممارسات الديانة الفالية التي هي أكثر ديانةً نقاءً ورُقيّاً. إن القدماء وهم يَرَوْن فساد المشاعِر الإنسانية فيما يتعلَّق بعبادة الجنس، عملوا على إخفاء الحقيقة بواسِطَة رموز أو ديانات رمزية. وقبل كل شيء، علينا أن نُدرِكَ بأن الديانة وُجِدَت لأجل الإنسان، وليس الإنسان قد وُجِدَ لأجل الديانة.

يخطر على بالِنا دوماً بأن الشعوب البدائية كانَت تعبد الشمس بعدما انحطَّت عبادة الجنس. نرى أنه في بلاد فارس القديمة كانوا يُسمُّون عبادة الشمس باسم ديانة ميترا. وكلمة "ميترا" تعني "الشمس" وفقاً للّغة المحليّة بين أتباع هذه الديانة. ميترا، الشمس يخرج في كل الصباحات لكي

يطرد الظلمات، مسافراً في عربتِه عبر السماء. وعند ظهوره في كل يوم فإنه يمنَح يوماً جديداً لخليقتِه.

عُبِدَت الإلهة القمر لأنها كانت تسافِر في الأفلاك العُليا، وهي تجرّها ثيران بيضاء. كان الثور بالنسبة للفارسيين حيوان التكاثر والزراعة. وكانت الإلهة القمر هي التي تحكُم نموَّ النباتات وولادَة كل المخلوقات الحيّة. هكذا مثل الإله الشمس الذي كان هو مانح الحياة. وبالتالي، فبالنسبة لهم، كان الإله الشمس هو الأب والإلهة القمر هي الأم. والنيِّران الاثنان اللذان أخصبا الأرض كانا معبودَيْن من قِبَل الشعب، مثلما كان الكهنة المسارَرون يمارِسون فقط ديانة الجنس، التي هي نار – نور. فقد كان الكَهَنَة يحتفظون بشكل خاص للمُسارَرين إظهار العقيدَة الأصلية، بينما ارتضى الحشد بالرمزية البرَّاقَة والسطحية.

علينا أن نوضِّح الأمر على نحوٍ دائم بأن الكهنة قد أعطوا للشعب طقس عبادة الشمس والكواكب، لأن الناس كانوا قد بدأوا يُفسِدون ديانة الجنس. ومن جانبٍ آخَر، كانوا يُعلِّمون بأنه على العِبادَة أن يتمَّ توجيهَها إلى روح الكواكِب، وليس للجسم السماوي. ووفقاً للنظريات الأسترولوجية (علم التنجيم)، فالكواكب كانت متَّسِمةً بمبادئ كونية تتجلَّى في صفات وفضائل. وكل واحد من الأجسام السماوية تحكم يوماً من أيام الأسبوع، وكل واحِد كان مشتركاً بدرجة من المسارَرَة، بصيرورة عدده كالأكثر قداسة وهو العدد سبعة.

كان يُعَلَّم آنذاك، بأنه حالَما تصِل الروح إلى الأرض، كان يتوجَّب عليها اكتساب الصفة الرئيسية لكل كوكب من هذه الكواكب وهياماتها

الأساسية. وكآلِهَةٍ خالِدَة، كانت متربِّعَةً على العرش في الأولمب: هيليو Hélio (الشمس)، وسيلين Selene (القمر)، وآرِس Ares (المريخ)، وهرمس Hermes (عطارد)، وزيوس Zeus (المشتري)، وأفروديت Afrodite (الزهرة)، وكرونو Crono (زُحَل). أما الشمس فقد كانت إله الآلهة، وهو: ميترا.

إلى جانب الآلِهَة الكوكبية السبعَة (سبعة ملائكة أمام عرش الله)، كانوا يتلقُّون إكرامات الآلِهَة الأخرَى: الاثنا عشر برجاً زودياكاً (اثنا عشر موهبة للروح، مثلما هي الحال عند المسيح وتلاميذه الاثني عشر). فكانَت أبراج زودياك تُخضِع المخلوقات لتأثيراتِها. وكل واحد منها كان موضوعاً لتقديس خاص خلال الشهر الذي يحكُمُه. ووفقاً لديانة ميترا، فكان كل يوم محكوماً من خلال إله، وبالتالي، سُمِّيَ باسم الإله الخاص به: الآن ليس صعباً علينا فهم الباعِث الذي جعل للديانات الحديثة قديس لكل يوم من العام.

كان ميترا بالنسبة للمجوس إله النور، والآب اللاموصوف أو النور اللاموصوف. إله النار والقَمَر الذي كان يظهَر من خلال العضو الذكري. ومع ذلك، فبالنسبة للشعب كانت الشمس التي تنقل نورها عبر الهواء، وهم يعتقدون أنها كانت تسكن في المنطقة الوسطى بين السماء والأرض. ولكي نجعل هذه الصفة رمزاً في الطقس، توجَّب عليهم تقديس اليوم السادس عشر، اليوم المركزي للشهر. كان ميترا هو الوسيط بين الله الذي يملك في السماء، وبين البشَر الذين يكافِحون، ويتألَّمون على الأرض. وهذا ما أنشأ أوَّلَ مفهوم عن الحاجة التي لدى الإنسان لِوَسيط بينه وبين الله.

وبالنسبة للفارسيين كان ميترا متطابِقاً مع يسوع المسيح، فإن ميترا ويسوع هما تشخيص للشعلة الإلهية. فعِوَضاً عن اتِّباع المسارَر شخصاً أو نبيّاً، فهو يذهب مباشرة إلى منبع النور: ذلك النور الذي هو نفسه عبارة عن ومضة منه.

الفكرة بأن لدى الإنسان إله، فهذ أمر يتعلَّق في كل حال بطبيعتِه الخاصة، وتنشئتِه، ووضعِه الاجتماعي. وبقدر ما يتصفَّى الفكر، يستوعِب الإنسان الكائن المطلَق في الهيئة الأكثر رقيّاً، والأكثر روحانية: ولهذا السبب عرف الفلاسفة اليونانيون سرَّ ميترا أكثر من الفارسيين أنفسهم. فاليونانيون رأوا بأن الشمس التي تسكب نورها على الأرض كانت صورة للكائن غير المرئي، على نحوٍ بأنه ما من مخلوق بوسعِه رؤيته: "الآب لم يرَه أحد قط" هكذا أعلن يوحنا تلميذ يسوع آلافاً من السنين فيما بعد.

كان لدى ميترا ثالوثه: وقد تمثَّل بين صورتَيْ فتَيَيْن. واحِدَةٌ مع شعلة مرتفعة، وأخرى مع شعلة مقلوبة. وكانت هاتان الصورتان للفتيَيْن ثنائيّاً لتجسيد شخصِه. فالاثنان المدعوَّان دادوبوري Dadophori كانا يشكِّلان مع الله ثالوثاً. فكان هذا الإله الشمس – ميترا يجتاز بانتصار من السمت Zênite يسقط في الليل نحوَ الأفق حيث كان يموت. كان هذا ميترا الثلاثي أو الثالوث في إله واحد فقط. وعلى هذا النحو دائماً، فمن وراء كل هذه الأشكال الخارجية، كانَت الأسرار مثل كهنتِها الذين كانوا يُعَلِّمون أتباعَهم كيف يبحثون ويلاقون في ذواتِهم نفسِها النار – النور، كينبوع لأسرار الحياة نفسِها.

الشعلتان هما رمز النار – النور للكائن المطلَق في الإنسان، واللتان كانتا تُعطيَان للمبتدئ قبل أن يتلقَّى إظهار العقيدَة الداخلية التي تقود إلى المسارَرَة.

لكل ديانة أسطورة تفيد كمجموعةٍ كساء تُخفي الحقيقة العارية التي يفضحُها الجَهَلَة، والحمقى، والمتعصِّبون. وأسطورة ديانة ميترا هي التالي: كان يتمّ تصوّر السموات مثل قُبَّةٍ صلبة. وكان النور يضيء بدءاً من هذه السموات. وبالتالي، كوَّن المجوس الميثولوجيا التالية: ميترا (نور مجسَّد)، وُلِدَ من الصخرة (صخرة متوالِدَة)، على ضِفَّةِ النهر، تحت ظلّ شجرة مقدَّسَة. وكان بعض رُعاة الجَبَل شهوداً على معجزة دخولِه إلى العالَم. فقد رأوه يخرج من الصخرة، ورأسه متوَّج بقبّعة ملوكيّة، متسلِّحاً بسكِّين صيَّاد، وهو يقود شعلةً كانَت تضيء الظلمات. قدَّمَ الرعاة للطفل الإلهي ثمار محاصيلِهم الأولى، وريع مواشيهم. ومع ذلك، فالفتى البطل، كان عارياً ومعرَّضاً للريح الباردة. فاختبأ في شجرة تين. أكل من ثمارها، وصنع من أوراقها ثوباً له، وخرج على هذا النحو لكي يواجِه كل قوى العالَم.

التقى ميترا ثوراً، وهو المخلوق الحي الأول الذي تمّ خلقَه من قِبَل أورمازد Ormazd. أمسك به ميترا من قرنيه، واستطاع امتطاءه، فانطلق الحيوان غاضباً بعدوٍ سريع لكي يوقِعَه، ولكنه لم يُذعِن، فضلاً عن كونِه يتألَّم بسبب جرِّه، وتعليقِه من خلال قرنَيْه، حتى أنه، وهو مُستنفَدٌ من خلال الجهود التي قام بها، استسلم الثور لميترا. وبالتالي، أمسك الفاتِح به من حوافره الخلفية، وقاده عبر طريق شائك إلى مغارة حيث سكن فيها.

كانَت هذه الأسطورة بالنسبة للشعب موضوعَ إيمان، حيث أخذها الجميع على أنها حقيقة، في حين كان الكهنة المجوس يرون فيها رحلة

الإنسان الشاقة على الأرض. فالثور هو جُنسويّة الإنسان أو طبيعته الخلّاقَة، مع شهوتِها التي لا تستسلِم بسهولة. فعندما يدرِك الذكَر البلوغ، ينال منه الفزع من خلال قدرة الجنس الإغوائية، والرغبة الهائلة فيه. فإذا أراد التوصّل إلى أن يكون ميترا (إله)، فليس عليه أبداً أن ينال منه اليأس في صراعِه، وإنما عليه الثبات حتى يسيطِر على الشهوة، ويوجِّه قواها من خلال الأقنية الصحيحة. والطريق مليء بالعقبات التي يتوجَّب عليه تجاوزها. إنها بعبارة أخرى حكاية المسارَرَة.

ذات يوم، وهو يفلت من السجن، ذهب الثور إلى الجبَل في بحثٍ عن مراعٍ، وأرسلَت الشمس إلى ميترا رسولها الغراب، وهو يحمل أمراً بقتل الهارب. يقوم الفتى مخالِفاً مشيئته الذاتية بملاحقة الحيوان مصطحِباً معه كلباً وفياً حتى عثر على الثور. إذاك أمسك به من خلال فتحة أنفه بإحدى يديه، وطعن باليد الأخرى الجوانب السفلية لبطن الحيوان بسكينه الصياد.

نبتَت من جسم الثور المملكة النباتية. ووُلِدَ من عمودِه الفقري الحِنطَة التي تمنَحُ الخبز، وطَلَعَ من دمِه النبيذ الذي يُنتِج الشراب المقدَّس للأسرار.

(يُعتبَر الثور رمزاً للخليقة بسبَب حيويَّتِه، وقوَّتِه ووظيفتِه الجنسية الموجَّهَة بِدِرَايَة. فالثور بعده التيس، هو الحيوان الأكثر قدرة وفحولة. فالفحولة تُمثِّلُ مبدأَ الحياة. والحياة يجب التضحية بها لكي تُعطِيَ الحياة. والثور هو حكايتُها المجازية، ويمثِّل البذرة الحيوية التي يجب أن تُدمَّر لكي تُثمِر. قال القدّيس بولس: "إن لم تمت حَبَّةُ الحِنطَة فلن تحيا ثانية، ومع ذلك فإن ماتَت فإنها تعطي ثماراً كثيرة".

أطلَقَ روح الشر من هم تحت سيطرتِه ضدَّ الثور: العقرب، والنملَة، والأفعى، وكلّهم أرادوا إهلاك الأجزاء التناسلية وشرب الدم القادر على

تناسل الحيوان ومع ذلك فشلوا في الأمر. فبذرة الثور المحميَّة والمطهَّرَة من قِبَل القمر (الرحم)، أنتجَت الأنواع المختلِفَة من الحيوانات المفيدة، وروحها تحت حماية كلب ميترا، وهكذا انطلق ميترا إلى الأفلاك السماوية متلقِّياً إكرامات الألوهة، ودُعِيَ بـ سيولفانو Sivano وصار حارِس Grei.

إن المعنى الإسراري لكل ما سبق هو التالي: ميترا هو الإنسان – الله الذي عند نزوله إلى الأرض لكي يرتقي ويُحَقِّق، كانت لديه الحاجة للتضحية ببذرتِه متمثِّلةً بالثور. وكان على هذه البذرة أن تتلقَّاها (القمر – المرأة)، إيزيس، أو المادة Matéria[1] فمن خلالِها تتطهَّر. في البداية، لم يكن ميترا يريد التضحية بالثور أو الجنس، لأنه على هذا النحو يصير مائتاً لا بل حتى لا يمكنُ لبذرتِه أيضاً التوجُّه إلى أعلى، ومع ذلك توجَّبَ عليه طاعة الإله – الشمس، أي النور الداخلي المقدّس، وهكذا ضحَّى بالثور، والبذرة، وتكاثرها (إنتاجُها) وتُرِكَ مذهولاً عند رؤيتِه بأن هذه المخلوقات من حضنِه (جوانب بطنِه السفلية) كان بمقدورها أن تصير آلِهَة. وعند نزول ميترا إلى المادة وزرعه بذرته (تضحيتِه) رأى بأن هذه البذرة تُنبِتُ أرواحاً تتحوَّل إلى كائنات إلهية، والتي كانت تُعتبَر وتُستقبَل كالآلِهَة.

(ميترا، والإله – الشمس، والشمس، والشعلة المقدَّسَة، كان عليها أن تسهَر بحذَر على سُلالَة آدَم. أهيرمان، إله الظلمات اجتاح الأرض بالنار عبثاً، وأراد قتل كل حيّ من العطَش، ولكن هؤلاء عندما تسوَّلوا المساعَدَة من منافسِه المعماري الإلهي. وهذا الأخير أطلَقَ سهامَه باتجاه الصخرة حيث خرج ينبوع ماء حيٍّ أروى عَطَشَ الجميع... أتى فيما بعد الطوفان العالَمي،

1 – Matéria جذرها اللاتيني Mater وهو يعني الأم. (م)

وحُذِّرَ ميترا من قِبَلِ الآلِهَة، فصَنَعَ سفينة مُنقِذاً ثوره على هذا النحو، وهو يطفو على وجه المياه). أو في لغة الأسرار: الشعلة الإلهية داخل الإنسان أنقذته من طوفانات المادة والظلمات في رحم الطبيعة. أسطورة نوح في الكتاب المقدّس ليسَت أكثر من نسخة عن أسطورة ميترا التي كُتِبَت قبل الكتاب المقدّس منذ آلاف السنين.

تنتهي هنا قصَّة ميترا: في عشاء أخير للمبتدئين الذين احتفل بهم ميترا مع هيليو Hélio (إله الشمس) ورفقاء العمَل الآخَرين. وصعَدَ ميترا إلى السموات مرفوعاً من قِبَل الشمس، وسط الإشعاع الصادر من عربتِه التي ترفعُه بواسطة أربعة أحصِنة (أسطورة إيليا في الكتاب المقدّس). اجتاز ميترا المحيط الذي حاول ابتلاعه عبثاً، وذهَبَ لكي يمكُثَ كالخالِدين. ولكن هناك ومن أعالي السموات، لم يتخلَّ عن حماية المؤمنين الذين أخذوا على عاتقِهم خدمتَه بتقوى وأصغوا إلى كلماته، وهو يفعل مشيئة الآب كما كان يسوع يقول.

(ميترا، وفقاً للتأويل الإسراري، ومنذ آلاف السنين قبل يسوع، قام بعشائه الأخير مع التلاميذ قبل صعودِه إلى السماء لكي "يجلِس عن يمين الآب". إن ميترا في اللغة الفلسفية، هو اللوغوس الذي صَدَرَ عن الله، وشاركَ بكليَّةِ قدرتِه، ذاك الذي صوَّرَ العالَمَ باعتبارِه الإله الخالِق[1]، وظلَّ ساهِراً على هذا العالَم. ذلك أن ميترا هو مسيح الفارسيين).

مَزَجَت الأسرار الفارسية، مثلها كمثل سائر الأديان تصوّرات دنيوية مع تعاليم النشأة الكونية. وكانوا يؤمنون بالانعتاق والخلاص، ويترعرعون

1 – إنه نفس أو روح العالَم وفقاً لفلسفة أفلاطون. (المنهل)

في البقاء على قيد الحياة الواعية. وكانوا يعتقِدون بأن الشعلة الإلهية تسكن في داخلِنا. يتهذَّبون أيضاً من خلال العقاب والثواب فيما رواء الحياة: حيث أن الأرواح التي تقطن السموات، وتنزل إلى الأرض لكي تحيي أجساد الناس، فتجيء بعضها إكراهاً، وأخرى بامتنان، لكي تخوض معركة مع الشياطين. وفي ساعة الموت، فإن آلِهَةَ الظلمة، وتلك التي للنور تتنازَع فيما بينها من أجل اجتلاب إليها الروح التي غادَرَت الجَسَد. وفي قرار خاص، كان يتقرَّر من هي الروح التي تستحقّ الصعود من جديد إلى الجنَّة، ولكنها إن كانت غير نقية فإن أعوان أهيرمان يسحبون الجسد والروح إلى الأعماق الجحيمية حيث يعانون آلافاً من العذابات (بشكل مكافئ لجهنم في سائر الأديان).

إن السماء مقسومة إلى سبع سموات، وكل واحِدَةٍ مرتبِطَة بكوكب. وثمَّة سُلَّم مكوَّنٌ من ثمانية أبواب متموضِعَة بعضها فوق بعض، حيث السبعة الأولى مكوَّنةٌ من معادِن مختلِفَة، وكان الطريق الذي يتعيَّن اتِّباعَه لبلوغ المنطقة الأعلى للنجوم الثابتة (المعنى نفسه للسُّلَّم من سبع سموات للكنيسة، وللسبعة أسرار ماسونية، هكذا مثل حلم يعقوب بالسُّلَّم الصاعِد إلى السماء).

للعبور من درجة إلى الدرجة التي تليها، فعلى المبتدئ أن يتعرَّف على عبارات مقدَّسَة لكي يرضي ملاك أورمازد الذي يحرس البوابة. وفقط الروح التي تحرَّرَت من أهوائها بوسعِها الصعود إلى السموات بعدما عاشَت على الأرض. ولذلك، توجَّبَ على الروح أن تُسَلِّمَ القمَر طاقتَها الحيوية والمُغَذِّية، وللشمس قدراتها الفكرية الباردة، وللمريخ حبّها

للحرب، وللمشتري أحلامها بالأطماع المادية الجامحة، ولزحل ميولها الأرضية. وهكذا بعد أن تتجرَّد الروح من كل رذيلة تلج السماء الثامنة، ووقتئذٍ تُستقبَل كشعلة إلهية بعودتِها إلى حضن النور، بواسطة المسارَرَة. إيه نعم، فذلك يحصَل عبر خبراتِها من خلال العود إلى التجسّد.

# ديانة أوزيريس

بعد دراسة ديانة ميترا، نتطرَّق الآن إلى دراسة واحدة أخرى تؤكّد لنا بأن لكل الديانات أصل مشترك، وهو أنها تقوم أساساً على قاعدة سرّ الجنس.

من وسط العماء وُلِدَ أوزيريس، وعند ولادته، سُمِعَ صوتاً كان يقول: "وُلِدَ حاكِمُ الأرض كلها". ومن الحضن أو الرحم نفسه وُلِدَت إيزيس، ملكة النور، وتيفون Tífon، ملك الظلمات. إذن، ها نحن أمام الثالوث الأساسي.

يقول كتاب الموتى: اعرف اليوم الذي يتوجب عليك أن تتخلّى فيه عن أن تكون (توجَد). اعرف تضحيتَك. كما جاء في الكتاب المقدّس "له السلطة على منح حياته واستعادتها. وقتله يتمّ طوعاً منه فهو الذي قد شاء ذلك". (أشعيا)

إن الله كائن في الألم. أوزيريس هو ابتسامة الذين يبكون. إن أوزيريس كائن في الأضحية التي تضحِّي بنفسِها، وكائن في حبّة الحنطة التي تموت

فتخرج منها سنبلة يتمّ حصادها، وفي النيل الذي يتناقص، وفي الربع الأخير من القمر المتناقِص، وفي كل ألم، ولكن فوق ذلك كله فهو كائن في الألم الإنساني.

كان أوزيريس إلهاً وإنساناً في الوقت نفسه، فهو إله بالفعل، وإنسان بالفعل. جاء في رسائل بولس: "تواضع مُتّخذاً صورة عبد".

عمَّن نحكي على هذا النحو؟ عن أوزيريس؟

كلا، فأوزيريس ليس أكثر من ظل الجسد غير المرئي. ولكن هذا التشابه بين الجسد والظل هو أكثر الأسرار غير القابلة للسبر في مصر.

في التخوم الرملية لصحراء ليبيا حتى عمق السهل الكبير نصف الدائري لـ آبيدوس Abidos، في مضيق صخري، پيهر – Peher (Ulel Hakab)، هناك حيث الشمس تَغرُب، تمّ العثور على قبور ملوك مصر الأكثر قدامة، وفيما بينها Sacórfago أوزيريس. وأسفرت حفريات العالِم الفرنسي آميلينو Amelineau في آبيدوس Abidos بين عامَي ١٨٩٧ و١٨٩٨ عن اكتشاف نقوش على هذه القبور تشكِّل شاهداً غير قابل للرد يدفع للاعتقاد بالعثور فعلاً على نعش الرجل – أوزيريس – كشخصية تاريخية. وهو الفرعون الثالث من السلالة الأولى.

تستريح مصر كلها في المُعتقَد بأن الرجل – أوزيريس أو الرجل – الله، قد عاش وتألّم ومات على الأرض.

النصب التذكاري الوحيد المحفوظ يشير إلى تدوين حول أسرار أوزيريس يُحتفَل بها في معبد آبيدوس Abidus: "آلام أوزيريس" كان يجري تمثيلها في دراما كما هي آلام "الرب" في أسرار القرون الوسطى. وفي

الصمت كان يتردَّد (كالصدى) صراخ فجائي، إنه نواح إيزيس على أوزيريس الميّت.

مصر كلها، تدير ظهرها إلى أوزيريس الذي يموت وينظر إلى الله الذي يُبْعَثُ، ولا يريد رؤية الموت ولا الألم، حتى وهو يعلم أن الألم والموت إلهيان.

أضافت حكاية مصرية قديمة منذ آلاف السنين القديمة حكاها بلوتاركوس Plutarco، يوناني من القرن الأول والثاني، في حقبتنا هذه كان كاهناً كبيراً للإله أبولو في دلفي Delfos. ففي مقالته حول إيزيس وأوزيريس، يقول:

> **في أزمنة أخرى، كانت الآلهة تعيش على الأرض مع البشر، والإله الكبير را Rá الذي كان يسكن في هيليوبوليس Heliópolis (مدينة الشمس) يحكم مصر.**
>
> **آنذاك لم تكن بعد الأرض منفصلةً عن السماء، وكان البشر كالآلِهَة. ولكنّ أخلاقهم فَسُدَتْ، وتنكّروا للإله الوحيد. وقالوا: "انظروا إليه فهو قد شاخ وهَرِمْ. عظامه كالفضّة، ولحمه كالذهب، وشعر رأسه كأقلام لازورديّة، وأعضاؤه ترتجف، ولعابه يندلِق من فمه". وهكذا أخذ البشر يسخرون من الإله. فاغتاظ الله وفوَّض إلهة الحب Hótor أن تُبيد النوع البشري. وأخذت Hótor تبيده، ولكن لم يكن ذلك بالكامل. فالإله مدفوعاً بالشفقة نحو البشر، غمر الأرض خلال الليل بمشروب مُثمِل. وحينما أتى الصباح دخلت الإلهة في ذلك البحر ورأت وجهها منعكِساً على سطحه فابتهجَت بجمالها. وذاقَت المشروب الكحولي فثمُلَت وأوقفَت إبادة النوع البشري.**

**ولكن الوحدة القديمة للسماء والأرض قد عانت انفصاماً. وقال الله: "قلبي تعبان. ولا أريد أن أعيش مع البشر، ولا أريد محقهم بالكامل". وغادر الإله الأرض، وصعد إلى السماء. وقام بفصل الأرض عن السماء. فهكذا هم اليوم أيضاً، وسيظلون هكذا حتى نهاية الدهر. هكذا انتهى العالَم الأول وبدأ الثاني.**

عندما صعد الإله إلى السماء، ترك البشر، وهؤلاء بدورهم أخذوا يفترِسون بعضهم بعضاً كالحيوانات الوحشية، وكادوا يبيدون أنفسهم لو لم يعقب ذلك قدوم أوزيريس. فهو وُلِدَ كفانٍ مثله مثل الآخَرين، وبوصولِه إلى عرش الملك ليملك على مصر أبعد البشر عن وجودهم الوحشي، فعلَّمهم زراعة الحبوب، وسنَّ لهم القوانين، وأسَّسَ عبادة الإلهة. وفيما بعد جال العالَمَ، مُعلِناً مُلكه، ومُخضِعاً الشعوب كلها، ليس بقوّة السيف، وإنما بقوّة الحبّ والغناء والموسيقا والرقص. وعندما رجع إلى مصر، قرّر أخاه ست Tífon – Set أن يقوم بإهلاكه بالاشتراك مع اثنين وسبعين متآمِراً. فاتّخذ سراً القياس الصحيح لجسمه، وعلى أساسه أنشأ صندوقاً مُزيّناً بعظمة، وقام بدعوة أخيه إلى مأدبة. وخلال المأدبة الاحتفالية، أحضر الخدَم الصندوق. واندهش المدعوون جميعهم وبينهم ست Tífon – Set بجمالية الصندوق. فوعد الأخير بتقديمه هدية لمن يكون ذا قامة تتوافق مع أبعاد الصندوق.

تمدَّد الاثنان وسبعون متواطئاً الواحد تلو الآخَر في داخل الصندوق الذي لم يكن بالواقع على قياس أيّ واحد منهم. وفي النهاية، تمدَّد أوزيريس نفسه في داخل الصندوق. وإذاك هجم الجميع على الصندوق، وقاموا بإغلاقه واضعين مساميراً قاموا بتثبيتها بالرصاص الذائب، ثم

أخذوا به إلى نهر النيل، وقذفوا به إلى الماء، فأخذ يطوف (منزلقاً بهدوء نحو البحر).

سارَت إيزيس زوجة أوزيريس تبحث عن جسد زوجها خلال وقت طويل تائهة في الأرض كلها. وفي النهاية عثرت عليه، وبصراخ وبكاء تركت نفسها تتهاوى فوقه وتضمّ رأسها إلى الميت، وتقبّله وتسكب عليه دموعها. فيما بعد، انطلقت مجدداً في سعي إلى ابنها حورس Hórus، ضائعاً هو الآخر، تقوم بإخفاء الصندوق مع جثمان زوجها فيما بين أقصاب بردي النيل. ولكن ست Tífon – Set بينما كان يصطاد خلال ليل قمره بدر، لاحظ الصندوق تحت أشعة القمر وتعرّف عليه. فقام بسحب الجثمان منه، وقام بتمزيقه أشلاء إلى أربعة عشر جزءاً ونثرهم في الرياح الأربعة.

تدرك إيزيس ما حصل، وتبدأ في البحث مجدّداً. وتقوم بجمع الجزء الواحد بعد الآخَر، وبقايا الجسم المقطع، تجمعها وتقيم المائت.

"تأخذنا هذه الرموز إلى معرفة الله" وفقاً لـ"بلوتاركوس" Plutarco، ولكنه هو نفسه غير قادر على فك شيفرة هذه الرموز.

الجسد هو نعش الروح المدفونة في هذا العالَم. وهكذا سقط "أوزيريس" في صندوق ست Set، في الجسد – النعش: وُلِدَ ومات طوعاً: "يعرف اليوم الذي يجب عليه إخلاء نفسه".

إن الولادة سقطة، والقيامة نهوض، أوزيريس يسقط لكي ينهض، ويُنهِض جميع الذين سقطوا، فهو يموت لكي يُولَد هو نفسه مجدّداً ويُنهِض الآخَرين.

إن النعش المصري غطاء خشبي وحجري للمومياء. وبالضبط يُعيد إنتاج لا هيئة الجسد فحسب، بل أيضاً فتحات وجه الميت نفسها. فالجسد يُعرَف من خلال النعش. إنه نعش المقاسات الدقيقة. فهذا هو مبدأ التمايز والاختلاف. فالإله المُقطَّع هو العالم المتعدِّد: "أنا واحد، مفعول اثنان، أربعة، ثمانية". ههنا السبب الذي جعل ست Tífon يُقطّع أوصال جسد أوزيريس بواسطة أربعة أحصنة.

ولكن إذا كان أوزيريس إله، فمن يكون ست Set؟ الشيطان؟ كلا.

"كمال الكائن هو أنني نكِرَة واللاشيء هو في داخلي: أنا ست Set، الصفر بين الآلهة. ومع ذلك يُوقِفُ حورس Hórus! ست Set يُستقبَل في عداد الآلهة". هكذا يقول أوزيريس Osíris لابنِه والمنتقِم له حورس Hórus.

هذا يعني أن أوزيريس وست هما واحد، كلاهما وجهان نقيضان للإله الواحد. أوزيريس يدرك اليوم الذي عليه أن يتخلى فيه عن أن يكون. هذا "الإخلاء لنفسه" هو بالضبط اللاشيء في الله أي ست Tífon – Set.

هذه هي الرموز التي تقودنا إلى معرفة الله.

القدّيس كليمنصو من الإسكندرية، كان قبل اهتدائه للمسيحية، مسارَراً في عدد كبير من الأسرار الوثنية، فيما بين الأخرى منها تلك التي لأوزيريس. تذكَّرَها عندما قال إن الحكمة اليونانية تنظر إلى الحقيقة الأبدية في "الصلب أو التقطيع الذي يقوم على تعليم لاهوت اللوغوس الأبدي".

عندما ماتت إيزيس، تمّ دفنها في حَرَج بالقرب من مِنفيس Mênfis وعلى جدثها تمّ تشييد تمثال مغطى بحجاب أسود من القدمين وحتى الرأس، وفي الأسفل كُتِبَت هذه العبارات الإلهية:

**أنا كنت ذلك الذي كان، وأنا كل ما سأكون، وما من أحد بين الفانين يتجاسر على رفع الحجاب.**

تختفي تحت هذا الحجاب الأسرار كلها، وعُرِفَ بعض منها من خلال الإنسان، حيث لم يعثر على حل لها. فقط استطاع الإنسان أن يرفع الحجاب الميترا والكريشنا والمسيح، وقد يكون بوسعه إذا ما أراد أن يتبع خطواتهم. وإذا ما ثابر الإنسان في شوقه للتأله، فإن النور سوف يلتمع من خلال الحجاب، وسوف يكون بإمكانِه أن يرى من ورائه.

لذلك يجب مواجهة الحقيقة من دون الأخذ بالحسبان كم تتعارض مع المعتقدات أو الآراء القديمة. إن عاشق الحقيقة يستطيع أن يرفع الحجاب.

إيزيس وأوزيريس هما أب وأم كل الأسرار. فالآلهة كلها هي بدائل عن هذين الاثنين وعن ابنهما حورس. إيزيس هي مايا، وماريا، والمادة Matéria، والأم Mãe، بقدر ما هي للإنسانية فهي كذلك للآلهة.

حورس Hórus هو الابن، اللوغوس، الفعل، المسيح، ابن مريم أم الله. إنه رمز النور الذي يقول: "أنا هو نور العالم فمن يأتي إليّ لا يمشي في الظلمات. أنا ما يكون الخالق عليه، وعلى الفور أكون هو وهو أنا".

بالنسبة لإيزيس نحن فانون، ولكننا نكسب الخلود من خلالها أيضاً.

ففي إيزيس – المادة ينام النور الإلهي للروح، ولكن النار "الخالق الأبدي" (أو الشوق الجنسي الذي هو نار ونور) لا يمكن إطفاؤها إطلاقاً.

وتتكرّر في ديانات الأسرار كلها. ففي الديانة الهندوسية نرىٰ أن شيڤا يبتر براهمان مثلما فعل Tífon مع أوزيريس والخنزير البرّي الذي قتل أدونيس.

أوزيريس الذي هو نار خالق إلهي في المادة، كان يُعبَد من خلال الشمس، ويُعرَف تحت أسماء مختلفة: فيما قبل كان يُدعَىٰ ميترا، ثمّ براهما في الهند، وفيما بعد أدونيس فينيقيا، وأپولو في اليونان، وأوديـن Odin عند الاسكندنافيين، وهو Hu عند البريتانيين، ويسوع عند المسيحيين... إلخ.

فإذا اتّخذ الشعب الشمس إلهاً عوضاً عن الشعور بالإله من خلال النار والنور الإلهي اللذين هما في كل كائن، لا يكن المسارَرون هم المسؤولون عن هذا الخطأ. أمَا قال نور العالم: "يا امرأة! سوف يأتي يوم حيث لا تعبدون الله لا في هذا الجبل ولا في أورشليم، ولكن في الروح والحق"؟ في حين أنه حتىٰ اللحظة الحاضرة فما زال الشعب يعبد الله بواسطة صورة مطبوعة أو هيئة ما. علَّمَ المُسارَرون دائماً أن الشمس مانحة الحياة لم تكن سوىٰ رمز القوّة الكونية الخلَّاقَة، والتي عُرِفَت وتمّ الشعور بها من خلال العظماء كالشعلة الداخلية والنور الذي لا يوصَف.

تلقَّت إيزيس أسماء، سيريس، إزلين، ڤينوس، ڤيستيا (إلهة النار المقدسة) حيث اتّخذ كهنة الإلهة اسمها لهم. وهناك فيما بين الهنود اتّخذت أسماء سيبيلس Cibiles ونيوبي Níobe، وماليس Mális، وأوسّي Óssi. وبين الصينيين پوسّا Pussa، وسيريديو Cerideu بين البريتانيين القدماء، وماريا بين المسيحيين.

العارِفون الكلدانيون كعلماء الفلك والمنجّمين المشهورين، اكتشفوا قوانين ما زالت صحيحة إلىٰ اليوم، وأعطوا اسماً لكل نجمة، وعيَّنوا لكل يوم من السنة نجمة. وفيما بعد جسّد اليونانيون هذه الأسماء في أساطير.

وفي النهاية تمت شخصنتها على أنها أشخاص. وتأصَّلَت في هذه الأساطير الملائكة، والجن، والأبطال، والقدّيسون.

تحوي الميثولوجيا في ذاتها الحقيقة الدينية كما يقول شيلينغ Schiling. فالدين ليس ميثولوجيا، وإنما الميثولوجيا هي دين.

الأسطورة الكونية للإله الذي يتألّم ويموت مقتولاً أو مصلوباً، ليست صادرة لواقع أنها حصلت ذات مرّة، بل في كونها تحدث دائماً، وأنه يتمّ الشعور بها مجدداً في حياة كل كائن إنساني. لم تحدث مرّة ولكنها تحدث دائماً. فالمسيح، هو النور المتخفِّي في الوثنية يتجلَّى في المسيحية.

قيل آنفاً إن الإنسان قد وصل الأمر به أن جعل من الله المفهوم الذي يُتاح له في تربيته الفكرية والاجتماعية. ولهذا السبب فكثير من الناس الحاليين، عند رؤيتهم للمعابد القديمة لـ Serápis، وثينوس، وأپولو، وآخرين، يسألون أنفسهم: "أي إله كانوا يعبدون هؤلاء الحمقى آنذاك؟" وبالنسبة لهم فإن بنّائي هرم خوفو Queóps، الرائعة العلمية عبر العصور، ليسوا أكثر من حمقى". تفاهات أبدية قيلت عن الأمور الأزلية. وعندما تمّ اكتشاف مومياء للفرعون رمسيس فقد تمّ تغليفها بأوراق صحيفة الزمان Les temps وتم نقلها إلى القاهرة في عربة. وقام بوزنها مفتش الجمرك، وبما أنه لم يعثر في التسعيرة على التصنيف المناسِب، قام بتطبيق ضريبة السمك المجفف عليها. وهكذا، بالنسبة إلى علمائنا الأوفياء، فإن جسد الديانات القديمة ليس أكثر من سمك مجفف.

هل حاول مسيحيّ ما على سبيل الذكر، على الأقل أن يبحث عمّا تحت غطاء الأسطورة لكي يعثر على السر؟ كلا، لأنه ما من أحد اشتبه بأن حقيقة الأسطورة تكمن أيضاً في السر.

عمر Omar عند إحراقه لمكتبة الاسكندرية، قال: "إذا كانت الكتب جيدة، فلن نحتاجها لأن كل الخير نملكه في القرآن الكريم، وإذا كانت الكتب سيئة فلا يجب لها أن توجد".

أوزيريس، وتموز، وأدونيس، وآتيس، وميترا، وديونيسيوس هم ظل الأمور المقبلة، ولكن لالتزامنا حدود المنطق فما علينا إلا الاستنباط بأن جسد المسيح لابد أنه كان موجوداً منذ الأزل، لأنه من دون الجسد فلا يمكن للظل أن يوجد. لقد علم القدّيس أوغسطين أن المسيحية وُجِدَت قبل المسيح. ويقول هرمس مثلّث العظمة إن كل شيء ليس بأبدي فهو ليس بحقيقي. وأسرار أوزيريس أزلية، فهي تتفتّح في الأديان كلها التي تعاقبت بعدها، بالرغم من تشويه معانيها.

"الجلَبَة تُضجِر الله. صلّوا في صمت أيّها البشر!"، وفقاً لما هو مذكور في بيت شعر لنشيد موجَّه إلى الإله – الشمس – أمون – را. وبعد آلاف السنين يكرر يسوع: "اغلق باب غرفتك، وصلِّ بالسرّ إلى أبيك السماوي وهو يستجيب لك".

"بدأتُ كائناً إلهاً واحداً، ولكن كان هناك ثلاثة آلهة في داخلي"، وفقاً لما يذكره كتاب مصري قديم عن الإله نون Nun. وعلى سبيل الذكر، هل تكلّم آباء مجمَع نيقيا بشكل أفضل؟! "المجد لك أنك تنزل في الظلمات" هذا ما يقوله بيت شعر من نشيد قديم. و"النور يضيء في الظلمات" هكذا يقول القدّيس يوحنا.

"الروح في المادة هي النور في الظلمات" هكذا يعلِّم السحرة. ويتساءل اسپينوزا: "لماذا على المادة أن تصبح لائقَة بالطبيعة الإلهية؟". ما من أحد أجاب عن هذا السؤال إلا مصر.

أسرار أوزيريس هي أسرار ديانة الجنس؛ ففي معبد Donderach في سرير جنائزي، ممدَّدَة، ومُحاطة في كفن، مومياء أوزيريس القائم مع "فالوس" منتصِب، والإلهة إيزيس على هيئة صقر بجناحين ممدودين، تنزل فوقَه وتحيا، وتتّحد بالميت وتستخلص من زوجها المني. فالجنس هو الحياة عبر الموت.

يُلفَظ اسم أوزيريس بالمصرية القديمة Usirit، أي ما تعنيه لفظة "أوزيريزس" في كلمة واحدة فقط، هي المعاني الذكورية والأنثوية: هو – هي، أندروجين (خنثوي)، رجل – امرأة. ففي كل رجل تختبئ امرأة، وفي كل امرأة يختبئ رجل. أوزيريس – روح يتّحد مع أخته – المادة ويولدان حورس Hórus، الذي كانت به الأشياء كلها. الله، إلوهيم خلق الإنسان على صورته ومثاله، خلقه على صورة إلوهيم، ذكر وأنثى خلقهما (هذا فضلاً عن الأصل يذكُرُ ذكر–أنثى). أولاً مفرد، وفيما بعد اثنان (صورة الله كائنة في الإنسان، فالله في واحد، ليس آدم فحسب، بل آدم وحواء Ieva، لأن الله نفسه هو مزدوج هو وهي. رجل – امرأة).

سرّ الجنس (من الواحد) هو سرّ الاثنين. يذكر التلمود:

**كان الرجل والمرأة في البداية جسداً واحداً بوجهين (قطبين)، ولكن على الفور قسمهما الرب إلى اثنين، ومنح كل نصف عموداً فقرياً. والحياة في ثنائية جنسية هي السير نحو الموت...**

ديانة مصر هي ديانة الجنس. ولكن الجنس الذي يُقيم، وليس الجنس الذي يقتل. ففي الجسد نفسه للإله أوزيريس المُقطّع، استَبدلَت إيزيس اختفاء "الفالوس" المقدّس بآخر خشبي لأجل القيامة... إيزيس هي زوجة

وأخت وأم. المادة هي ابنة وأخت وأم الله. والعذراء هي ابنة الآب، وزوجة الروح القدس، وأم الابن.

**خلال الأيام التي كانوا يحتفِلون فيها بأعياد الإله الطليق، كانت صورة "الفالوس" تُوضَع على عربات، وتُعرَض عبر المدينة بإكرامات عظيمة.**

هكذا يروي القدّيس أوغسطين وهو يتكلّم عن أسرار الوثنيين.

إن الختان شاهد زفافي من دم ولحم. وحتى اليوم، لا أحد، بالفعل لا أحد اكتشف معنى سرّ الختان. خاتم الختان هو خاتم الخطبة. إنه الاتحاد الروحي بين الإنسان والله. "أي أمر فظيع كهذا فيه تجديف!" ولكن أوَليس أقلّ فظاعة أن نأكل الله؟ ونتغذّى من لحمه ودمه؟ "من هو ذاك الذي بوسعه أن يسمع مثل هذا الكلام؟!"، صاحوا منذهلين تلاميذ الرب، عندما سمعوا لأوّل مرّة تأكيداً كهذا. فسر الختان هو التالي:

**من خلال ختان هذا الخاتم المقصَّص في اللحم يستغرق الإنسان في الإله الأبدي وعلى نحو غير طوعي. لماذا؟ لأن منتهى العضو هو النقطة الأكثر توهُّجاً، ولذلك فهذه النقطة الأكثر توهّجاً للّذة الجنسية يجري تكريسها لله ويرتفع الكون نحوَ الله من خلال هذا الخاتم. (معهد السحرة)**

حلقات السلسلة أو خواتم الختان – لحمية أو روحية – نعثر عليها في ديانة الآب في الوثنية القديمة كلها، وفي العهد مع الآب. عثر موسى على الختان في طريقه إلى مصر، لأن مصر هي منبع الجنس المقدّس. عبادة الآب بالروح والحق تعني الوصول إليه من خلال الشعور والحب. وعبادة الآب

تعني التواصل معه، والولوج إلى الداخل (المسكن). والتحدث معه يعني الشعور به سراً. هذه كانت وتكون ديانة العارفين والمسارَرين.

"لكن الآب لم يره أحد قط" يقول المعلّم الكبير. في حين أن الآب يولِد الابن ويقيمه، وعلى الفور فالفكرة الأولى للإيلاد والقيامة تتواحد مع فكرة الجنس. ولم تُقِم ديانات ميترا وأوزيريس إطلاقاً أيّ تمييز بين الفكرتين... تكمن قاعدة الديانة كلها في أن

**الجنس يتجاوز حدود الطبيعة. فهو خارجها وفوقها... إنه الهاوية التي تقود إلى سكّان الأجزاء الواقعة على الجهة المقابلة من الكون. إنه الصورة الوحيدة عن العالَم الآخر الذي يتمظهَر لنا في هذا العالم. (معهد السحرة)**

**الجنس هو الاتصال الوحيد للحمنا مع الماوراء. (معهد السحرة)**

العطش الجنسي هو العطش للعلم، لشجرة معرفة الخير والشر. فالاثنان يصبحان جسداً واحداً. نعم، ولكنهما ليسا واحداً بعد، إلا في الحب الفاني، ذلك أن كل ما يولَد يموت. شعرت مصر بالحب الخالد الذي يقيم.

لا يرمز "فالوس" أوزيريس إلى التكاثر والخصوبة والولادة والموت، وإنما يرمز للقيامة. "أيا آلهة خارجين من الطاقة الجنسية! مدّوا لي أيديكم" هكذا يتوسّل مائت ناهض من النعش (*كتاب الموتى*). يعترف ناهض آخَر: "يا طاقة أوزيريس الجنسية التي تبيد الأعداء المتمردين (ضد الإله)! فمن أجلها إنني أكثر قوّة من الأقوياء، وأكثر قدرة من القادرين".

الديانات القديمة لم تكن تعبد الجنس المُبتذَل، والأرضي، والحيواني، وإنما تلك النار الجنسية الرفيعة، والروحانية، والكوكبية، والكونية، تلك القوة الإلهية التي تقيم، ذلك أنه على الموتى أن يقوموا، وأن يلِدوا أنفسَهم

في الأبدية. تقول عقيدة مجمَع نيقيا: "أومن في قيامة اللحم". بينما تعتقِد الديانات القديمة في قيامة اللحم بواسطة الجنس الإلهي. ولذلك، فالمصريون يُقَطِّعون في بعض الأحيان "فالوس" المائت، ويحنِّطونه على نحوٍ منفصل. وكانوا يودِعونه إلى جانب المومياء في مِسلَّة خشبية ذهبية، مُمَثّلاً بشكل ضعيف الشعاع الشمسي أو "الفالوس" الإلهي الذي يُحيي: هيئة أخرى لاتحاد المائت مع الشمس. لذلك تعثر إيزيس على أجزاء جسد أوزيريس المُقَطّع كلها باستثناء "الفالوس" لأنه تمّ انتزاعه، وأُخِذَ إلى النقطة التي أتى منها، من هذا العالَمِ إلى الآخَر. واستبدلَته الإلهة بصورة خشبية من الجمِّيز.

أسرار إيزيس، وحجاب إيزيس! من يتجرّأ على البوح بها من دون أن يُحرَقَ حياً؟

ديانة أوزيريس هي ديانة الجنس الإلهي، التي يستطيع الإنسان من خلالها رؤية الله داخلياً وجهاً لوجه من دون أن يموت. أوزيريس هو النار – النور في الجسد كله، وفي كل خليّة من خلاياه. وهذه النار الخلّاقَة ليس مسكنها في الأجزاء الجنسية بل هي أكثر اتّساعاً من الجسد. ليست النار في الجسد، ولكن الجسد يكمن في النار. قد يسبب الجنس الموت، ولكن من دون الجنس ليس ثمة قيامة.

# ديانة الدرويد وأسرارهم

يأتي الدرويد (كهنة الطبيعة في بلاد الغال "فرنسا القديمة") بعد المصريين، في عبادة إله واحد. وقد شيّدوا للإله مذابحاً من الحجر الخام من دون صوت مطرقة، وأقاموا طقوسهم في حقول مفتوحة، وآمنوا بوجود سماء للأخيار، ووجود جحيم للأشرار، وآمنوا بخلود الروح. أكرم الدرويد آلهة كثُر كاليهود والمسيحيين الذين أتوا بعدهم، ولكن لم يكن ذلك وفقاً لأصول العبادة. فقد آمنوا بالثالوث الإلهي في ثلاث صفات، وقاموا بإسداء إكرام لكل واحدة من هذه الصفات.

لدى ديانة الدرويد وجهان: عبادة الإله الواحد، والإكرام لآلهة النجوم، والعناصر، والهضاب، والأشجار. وكان المسارَرون مطَّلِعين على طقوس الكاباري الفينيقي Cabari Fenicio وامتلكوا عقائد باطنية، واحتفالات دينية، ولكنهم لم يعطوا الشعب إلا ذلك الذي كان بوسعهم جعله مفيداً ونافعاً، وليس ذلك الذي لم يكن فهمه ممكناً.

إذا ما اقترف أحد ما مبتدئ أو مسارَر حماقة ما، فكانت عقوبته تتم بطرده من الجماعة، وكان ذلك عقاباً هائلاً. فالتعاليم الفلسفية والدينية الدرويدية (نسبة للدرويد) كانت مكتوبة على شكل مقاطع شعرية يصل عددها حتى العشرين ألفاً. وزُيِّنَت هذه التعاليم من قِبَل الكهنة العلماء، ولم

يكن مسموحاً كتابتها، وبهذه الطريقة كان المُرشَّح يبقىٰ أكثر من عشرين سنة تحت الملاحظة والدراسة.

كان الدرويد يستخدمون بارود في مسارَرتِهم لكي يُعطي رمزاً للشعلة المقدّسة التي يتوجَّب علىٰ التواق إليها أن يعثر عليها في ذاته قبل أن تتم مسارَرَتَه. وهم كانوا يدعونها "بهاء الله". وعندما يموت درويداً كانوا يضعون علىٰ صدره إناء يحتوي علىٰ تراب وملح، الأمر الذي يعني "فساد الجسد وخلود الروح الغير قابلة للفساد".

كانوا يتداوون قبل توقّع الداء الذي يَتطلَّب شفاؤه. وكانت لديهم عبارات كثيرة تُنسَب لشفاء الأمراض، كالتالي علىٰ سبيل المثال: "الجذل، والقناعة والنهوض باكراً يجلب الصحة والسعادة". واحدة من أعظم فلسفاتهم هي التالي: "القواعد الثلاث للأستذة: أن ترىٰ، وأن تدرس جيداً، وأن تتألّم كثيراً". وأخرىٰ تقول: "القواعد الثلاث للفكر: الصفاء، والرحابة، والدقة". وعلىٰ هذا النحو كانوا فلاسفة الروح والجسد.

يُعَدُّ الثعبان واحداً من أهم رموزهم، وكان وضع ثعبان ذهبي فوق صدر المسارَر إشارة للولادة الجديدة. وكان علىٰ المُسارَر أن يشعر أولاً بالثعبان الناري لكي يكون لديه الحق بوضع رمزه علىٰ صدره. فهو بحاجة لإيقاظ الشعلة المقدّسة لعضوه التناسلي عندما يتعبَّد للروح والحق. وكانت تجري عبادة الثعبان ضمن دائرة فيها نقوش سرانية. وكان يضع علىٰ رأسه تاجاً مثلثاً (رمز للنور أو الهالة التي تحيط برأس المسارَر). كما كان يتم إلباسه رداء أرجوانياً (رمز الحب النزيه تجاه الإنسانية)، مُزوَّقاً بصور

النجوم (ملَكَة النور والأفكار النورانية)، ويحمل عكازاً في اليد (صولجان مرتفع "الفالوس" المنتصِب). إنه ملِكٌ لأنه توصّل أن يصير مُسارَراً.

يرمز زحف الثعبان الناري على الأرض للتدمير، فهو هنا الطاقة المنوية المقذوفة على الأرض، ولكنه عندما ينتصِب فهو هنا رمز للخلود والحياة، وهو التجدّد وكل ما كان وسيكون. وكان فراعنة مصر يضعون على تيجانهم ثعباناً ذهبياً في الجزء الملائم للجبهة رمز المُسارَرَة العليا.

قذف العبرانيون منيَّهم على الأرض في الصحراء، فتحوّل المني إلى ثعابين سبّبت لهم الأمراض والموت. ولكن بأمر من موسى انتصب الثعبان وأصبح مانحاً للحياة ومُخلصاً للأرواح. فالثعبان في الجنس هو النار المرتفعة نحو عرش الله، فيجعل من نفسه نوراً مقدّساً وشعلة لا توصَف، تجذب وتجتاح الروح. لا يجب أن ننسى أيضاً أن للخلية المنوية هيئة ثعبان حيث يكمن الإنسان – الإله.

تكوّنت مذابح الدرويد من صخرة كبيرة موضوعة فوق عمودين خشنين ويأمر قانون الدرويد بأنه لا يجب لأيّ أداة أن تلمس الصخرة المقدّسة (لا أكثر ولا أقل من الشريعة الموسوية لسفر الخروج ٢٠:٢٥: "لا تبني مذبحاً من قطعة صخر"). ولكن هذه الوصية تمّ نسيانها آلافاً من السنين فيما بعد. ونُصِبَت هذه المذابح في ظلّ شجرة قوية، كشجرة البلوط، وهكذا رأينا حال إبراهيم من تحت شجرة بلوط منراح Menrah، فبنى مذبحاً للرب، وهناك استقبل ثلاثة ملائكة كضيوف حلّوا عنده.

عبد الدرويد الإله في الشعلة المقدّسة الداخلية وأكرموا علانية النار كشعار للشمس ورمز لنار الجنس الإلهية. وكان لدىٰ كل الأديان نيرانها المقدّسة التي ليست هي أكثر من رموز لنار الجنس في الإنسان. ولدىٰ الدرويد أديرتهم وأخوياتهم الأنثوية كالراهبات في وقتنا هذا، ولديهم أيضاً ثلاثة نذور بالنسبة لثلاث رتب. كان الأول نذر الخدمة بحرية في المعابد، ولم يبعِد الراهبات عن عائلاتهن. وكان الثاني بالنسبة لأولئك الذين كانوا يساعدون الكهنة في الخدمات الدينية. وكان الثالث بالنسبة لأولئك الذين ينذرون العفة والتوحّد والذين كانوا يشكلون أركان البريتانيين.

كان لدىٰ كاهنات الإلهة ڤستيا الواجب في إزكاء النار المقدّسة وعدم تركها تُطفأ، وإلا ستكون عقوبتهنّ الموت. بريجيت Brigit إلهة الشعر والفيزياء والحدادين في كيلدار Kildar، وكانت مهمّتهن في إيرلندا أن يحافظن علىٰ النار المقدّسة مشتعلة دوماً، وعندما تمّ إلغاء الدرويدية من هناك، أصبح الكهنة الدرويد رهباناً مسيحيين، وتحوّلت Brigit إلىٰ القديسة بريجيت أو بريجيتا، شفيعة إيرلندا. وخلال حكم هنري الثامن Henrique VIII تمّ إلغاء أديرتهم ورهبانهم.

وكان الكهنة الفينيقيون يستخدمون قمصاناً كهنوتية بيضاء، في حين كان الكهنة الفارسيون يستخدمون ثياباً خشنة Cordorinas من حيث أتىٰ المئزر الماسوني (الإزار الخشن). كما كان الكهنة الفارسيون يحملون قصبة فضية جوفاء في ملابسهم، والمطارنة الأورثوذكس في طقوسهم يحملونها في أثوابهم كما يفعل كهنة اليهود.

يتلاءم العكاز الأسقفي الرعوي وأصحاب المقامات الإكليريكية مع ألقاب الشرف الرومانية ومع عصا اليوغيين. إنه رمز الثعبان "الفالوس" على الصليب.

كانت تجري ممارسة الصيام قديماً من أجل تطهير الدم وتهيئة التواق لبعض الأعمال الروحية المتعالية. والشموع المشتعلة على المذبح هي ممارسة البقاء المستمر في النور، وفي المعابد.

كان المصريون يحتفلون بـ"عيد القناديل" فينزلون على قوارب في نهر النيل حتى يبلغوا معبد إيزيس Isis، وتبدلت هذه الخدمة في عشيات زماننا هذا.

كان الفارسيون يستخدمون ماءً مقدساً يسمونه Sor. إنه الماء مبدأ التناسل الذي يتحوّل إلى شعلة مقدّسة.

ومثَّل الدرويد بعض الرقصات الدينية والركعات التي كانوا يحاكون من خلالها مدارات الأفلاك السماوية. وقد احتفظ بها الكرادلة والدراويش والماسونيون عند تقدّمهم نحو الشرق.

وكان المصريون يقذفون تراباً على النعش ثلاث مرات ويقولون: "التراب للتراب، والغبار للغبار، والرماد للرماد".

تقديم البرشانة المصنوعة من الطحين قديم جداً قِدَمَ الأديان.

المعمودية ومسحة المرضى بالزيت المقدّس من أجل تطهير الروح كان طقساً يُلاحَظ منذ آلاف السنين قبل الفترة المسيحية. وكان الأطفال بعد

هذا الطقس يتلقـون إشـارة الـصليب وكـانوا يُعطَـون الحليـب والعـسل. وعندما كان الصبي يصل إلى عمر الخمـسة عـشر عامـاً يـضعه الكـاهن في الإسكيم (ثوب رهباني) ويُدعَى سودرا Sudra وكان يمنطقه ويُـشدِّد عليـه مدرِّباً إيَّاه على أسرار ديانته.

الصليب الذي هو رمز الحيـاة. الـصليب آنـساتا cruz ansata هـو رمـز فالوسي ويُمثِّل اجتماع مبدأين معاً. ويجري إكـرام الـصليب كرمـز للخلـق وتجديده منذ قرون سبقت صلب يسوع. فالصليب يُعثَر عليه عند الشعوب القديمة قاطبة على وجه الأرض.

# الماسونية - ديانة، وعلم، وفلسفة

**جورج آدوم**

لعلّنا لسنا بحاجة لكي نعلم ولا لمن يقول لنا إن ماسونيّة اليوم هي أبعد ما تكون عن ماسونيّة الأمس كما كانت في تأسيسها الأصلي. وأعمالها الحالية كلها ليست أكثر من تذكير بالمسارة القديمة في أسرار أوزيريس، وتلك التي للدرويد (كهنة الطبيعة) القدماء، جاعلين منها مثلها مثل الديانات كلها مؤسسة جرىٰ تحديثها من زمن إلىٰ زمن وفقاً لضرورات الظروف.

يكمن هدف الديانات كلها في روحنة الإنسان وجعله "السوبرمان" مُفكِّر وروحاني، ويتمتّع بسلطة أعظم على التحكّم بذاته، نافضاً عنه الجهل والأنانية والخوف. فالوصول لـ"السوبرمان"، أو المعلّم إنما هو الوصول إلى مواجهة الرب. ومع الشعلة الإلهية، ومع اللهب المشتعل من علّيقة على جبل حوريب، والإصغاء للصوت الداخلي الذي يصرخ إليه قائلاً:"اخلع حذاءك من قدميك، لأن الموضع الذي أنت واقف عليه هو أرض مقدّسة".

سرُّ النار في الماسونيّة قائم على أسطورة حيرام أبيف Abiffالتي تخبرنا عن الدرجة الثالثة للأستاذ الماسوني.

إن أسطورة هذه الدرجة هي اقتباس مُحَوَّر لرواية رمزية، يخفي قناعها الحقيقة الكبرى للمسارة الداخلية.

الأسطورة هي حقيقة مُقنَّعَة لأن الحقيقة العارية تجرح عيون الضعفاء، وهؤلاء يعملون على تدميرها كما يحصل مع الحقائق الدينية كلها التي تمّ كشفها لعامة الشعب.

الحقيقة العارية أدّت إلى تسميم سقراط، وصلب الناصري، وأحرقت الحلاج، وقتلت غاندي...

أسطورة الدرجة الثالثة هي حقيقة خفية. ويستطيع الأشخاص ذوو الإرادة الطيّبة أن يكتشفوا ويفكّوا ختم حجابها، فيصلون إلى إدراكها بواسطة الدراسة والإلهام والتنفّس والتأمّل، كما شرحنا في الفصول السابقة. ومن دون هذه المقتضيات لا يستطيع أحد الوصول إلى أن يرفع حجاب إيزيس.

تُحرِّض الأسطورة بطقسها المُبهَم الخيال أولاً، وعلى الفور تتحوّل إلى حافز للتخيّل الذي يقود إلى الحدس، ويفتح بوابة هيكل الحقيقة. إنه

لكذلك، فهي تمنحنا القدرة على اكتشاف الحقيقة لكي نستطيع الاستغراق في جمالها.

ومعنى الأسطورة: يكمن حافزها في بناء الهيكل من أجل أن يسكن فيه الإله الباطني. ولكي يتمتّع بحرية التجلي الكاملة.

الهيكل هو الجسد المُهيمَن عليه، والمثقف، والموجَّه من خلال أوامر الروح التي هي الحقيقة والفضيلة.

هيكل سليمان هو نموذج لجسد الإنسان. والهيكل مثل الجسد الإنساني، يمتدّ من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب، الأمر الذي يعني أن الإنسان هو عبارة عن وحدة غير منقسمة مثل الكون ذاته. رأسه الذي يرفعه باتجاه العوالم العليا يتحوّل من خلال الحكمة الروحانية عند سليمان الذي يرفع هيكلاً من أجل مجد المهندس الأعظم للكون الجواني.

حيرام – تقول الأسطورة: إن سليمان (في البرتغالية Salomao الأمر الذي يشير إلى المرادفة اللاتينية مجتمعة مع المرادفة الإنكليزية أي Sol Man أي الرجل الشمسي) أراد أن يجعل من جسده معبداً لائقاً للإله الباطني أو المهندس الأعظم "الأنا الشمسي"، ولأجل أن يفعل ذلك طلب من حيرام ملك صور (الوعي الأسمى، الشمس المرتفعة لأن حيرام يعني الشمس أيضاً) معلّماً مهندساً وورشة للعمل.

حيرام، الوعي الملك يبعث ويوصي إليه بحيرام أبيف (معلم بناء، وعي أسمى، الشمس الروحية في الإنسان). وهذا الأخير كان ابناً لأرملة. فالأمر هكذا، ويتجلّى في الطبيعة، ومن خلال الطبيعة كأم، إلا أنه لم يكن لدى هذه الأم زوج البته.

حيرام أبيف، الشمس الآب الداخلي، يتميّز كرئيس أعظم للعاملين (الذرات، والخلايا، والجزيئات) من أجل بناء الهيكل. وهؤلاء العمال (الذرات) الذين يدفعون الإنسان منذ حقب قديمة من أجل تكوين جسده-الهيكل في هذه المدينة أي "أورشليم الداخلية - مدينة السلام". ولديهم درجات متفاوتة من الإمكانية ومواهب ذريّة مختلفة. إذاً، كان من الضروري تقسيمها وفقاً لإمكانياتها (العليا، والمتوسطة، والدنيا) للتمكن من استغلال أفضل لعمل كل واحد في الورشة كلها.

حيرام كعالِم، عادل وعطوف، وزّع العمل ضمن ثلاث فئات: المريدون (هم العمال في العالَمِ الأدنى للإنسان الذي يشتمل على جزء المعدة وحتى الأسفل)، والرفاق (وهم عمال في العالَمِ المتوسط أي في القفص الصدري)، وأساتذة (وهم عمال في العالَمِ الأسمى الذي هو الرأس). حيرام - الوعي الأسمى - أعطى لكل واحد الطريقة التي تجعله يُعرِّف من خلالها على نفسه أي بواسطة إشارات، ولمسات، وكلمات موافقة لها، وهكذا أعطاهم القدرة على التأثير ببعضهم من خلال الحواس (الرؤية، واللمس، والسمع).

**العمودان**

بنى حيرام ونَصَبَ في الهيكل عمودين (الساقان) مجوفَّيْن من البرونز. وحدّد بأن المريدين (الذرات البناءة) يستلِمون راتبهم عند العمود الأول (المنفعل واليساري) وعلى هذا النحو يكون شعورهم بالهناء، والرفاق يتلقّونه عند العمود الثاني (الفعّال واليميني)، والأساتذة أي الذرّات العليا للدماغ والرأس عند "غرفة الوسط". فالعالَم الداخلي هو مكان سري حيث نعثر عليه داخل وفوق الاثنين.

ولكي تستطيع كل فئة من العمال الحصول على راتبها فما عليها إلا أن تُعَرِّفَ على نفسها من خلال المجهود والعمل اللذين كرَّسوهما للقيام بالعمل الموكَل إليهم.

## العمل الداخلي

تمّ توجيه العمل وتنفيذه بحكمة ونظام ودقة، وفقاً للأوامر المتلقاة من وعي الحقيقة أو الوعي الأسمى، وأخذ العمل يتقدّم ويرتفع بسرعة.

وعلى الرغم من أن عدد العمال الذين كان يراوِح ما بين الثمانين ألفاً، والقيام بكل نوع من العمل فلم يكن يُسمَع أي صوت لمطرقة ولا أداة من حديد (لواقع أن الهيكل-الجسد لم يتم بناؤه بأداة ولا بيد بشر). إنه الصمت والسكينة في العالم الداخلي، مصدر كل عمل روحي.

## هيكل المسارة

أثناء السنوات السبع وأكثر - وقت ضروري من أجل المسارة الداخلية الكاملة، ومن أجل التمكن من بناء هيكل لائق بالرب (لأنه كل سبع سنوات يجدّد الجسد المادي كلياً ذراته، وخلاياه المكوَّنَة بسبب رغبةٍ دُنيا. وبقوّة الطرق والعمل من خلال إلهامات جديدة وتنفّسات وأفكار) -

وأثناء هذا البناء، لم تمطر (الأمر هكذا، فلا أيّ فكرة، أو كلمة أو عمل سلبي يستطيع منع النمو الداخلي) لأن الهيكل كان مغطًّى باستمرار.

وملِكَ أيضاً السلام والازدهار أثناء بناء الهيكل، لأن المُسارَر يفصل ذاته عن الجميع الأمر الذي قد يشوّش روحه بواسطة الإدراك وقوة الإرادة.

## المعلّمون الثلاثة

طلب سليمان المساعدة من حيرام ملك صور. وهذا ساعده أن أرسل إليه بحيرام أبيف، المهندس. كان الثلاثة معلمي العمل يمثّلون الحكمة والقوة والجمال.

وهكذا أيضاً الجسد الإنساني الذي هو هيكل الرب، لديه في ذاته الثالوث الإلهي وهو: القدرة (الآب)، والمعلم (الابن)، والحياة في حركة (الروح القدس).

## الجريمة

هذا الهيكل - الجسد، روعة الأعمار كلها، تمّ بناؤه وتوجيهه من خلال القدرة، ومن خلال العلم، ومن خلال الجمال. وبالرغم من هذا، ففي العالَم الأدنى للإنسان يوجد دائماً بعض العيوب والرذائل التي تتسبّب بارتكاب أعمال وحشية غير لائقة. وهذه العيوب هي: الجهل، والخوف، والجشع. الجهل هو عيب يجعل الإنسان يعتقد أنه يعرف، ولا يرغب أن يتعلّم شيئاً. والخوف يلغي إيمان الإنسان بإلهه الباطني وبمرشديه الروحيين. والجشع هو ابن الأنانية الذي يطلب كل شيء لذاته، ومن دون استحقاق له.

إيه نعم، ثلاثة بنّائين من فئة الرفقاء، يدَّعون لأنفسِهم استحقاقهم أنهم لائقون بأن يكونوا من فئة الأساتذة، ويسعون للتوصّل إلى ذلك بالقوة كما يحصل مع الجهلة جميعهم، فقاموا بِحَبْكِ مؤامرة لكي يستولوا بالعنف على الكلمة المقدّسة، وبالتالي يُعرِّفون أنفسهم على أنهم أساتذة. وثالوث العيوب - الجهل، والخوف، والجشع - في الإنسان يدفعه دائماً للحصول على ما لا يستحقّه من العالم الروحي والمادي.

هذه العيوب الثلاثة الرديئة ورفاق الإنسان الذين يهدّدون كل الفتوحات والجهود الروحية تعاهدوا على اكتساب رضى عيوب أخرى، ورفاق داخل الإنسان، خادعوا فأقنعوا التسعة رفاق معلمين. ولكن هؤلاء، وفي اللحظة الأخيرة، تراجعوا بعدما اضطربوا بسبب فعل الندم.

أصبح المتواطئون الثلاثة وحيدين، وهم يدبرون الجريمة، فتوصلوا إلى حل في أن يحصلوا على الكلمة بالقوة من حيرام نفسه (الإنسان الأدنى يسعى دائماً لإجبار قدس أقداسه على أن يخوله كل القدرات الإلهية بالقوة، ومن دون استحقاق).

انتظر الثلاثة حيرام الذي لطيبته توقّعوا إخافته.

اختاروا منتصف النهار على أنه الساعة الأكثر مؤاتاة، لأن حيرام كان معتاداً في هذه الساعة أن يقوم بالزيارة والإشراف على العمل، ويرفع دعاءاته بينما كان الآخرون يستريحون. توجّه الثلاثة إلى بوابات الهيكل الثلاث، والتي تكون في تلك اللحظة مُقفَرَة، لأن العمال كلهم يكونون قد خرجوا للاستراحة.

وعندما أنهى حيرام دعاءه وأراد عبور البوابة الجنوبية، هدّده الرفيق المقيم هناك بمسطرته ذات الأربعة والعشرين إنشاً طالباً منه كلمة وإشارة الأستاذ. بيد أن الأستاذ أجابه: "إعمل ووفقاً للعمل الذي تقوم به تنال حصتك".

وقد رأى هذا الرفيق الجاهل عدم فائدة جهوده، فضربه بقوّةٍ بالمسطرة (الأمر الذي يمثّل اليوم بالأربعة والعشرين ساعة، ولكن لم يجر استغلالها إطلاقاً، لأن الجهل يحاول دائماً إعاقة العمل الإلهي الداخلي). وإذ رفع الأستاذ ذراعه اليمنى لإبعاد الضربة المرتجة نحو حنجرته أصابت كتفه اليمنى، شالّةً الذراع (الإيجابي).

إذاً توجه الأستاذ إلى البوابة الغربية، وهناك طلب الرفيق الثاني كما الأول، كلمة وإشارة الأستاذ فتلقى الإجابة نفسها: "إعمل ووفقاً للعمل الذي تقوم به تنال حصتك!".

إذاك وجَّهَ هذا الرفيق ضربة قوية في الصدر بزاوية المهندس (الكوس) الحديدي. فتوجّه حيرام وهو نصف مغمي عليه، إلى البوابة الشرقية، وعند هذه البوابة كان الثالث بانتظاره، وكان هو الأسوأ نيّة من بين الثلاثة، الأنانيّة، وتلقى الإجابة السلبيّة نفسها، فوجّه له ضربة قاتلة على الجبهة بالمطرقة التي كان قد أخذها معه.

وعندما التقى الثلاثة مجدّداً، أُثبِتَ لهم أنه ما من واحد منهم استطاع الحصول على الكلمة والإشارة، فارتاعوا بسبب الجريمة العقيمة، ولم يكن يجول في خاطرهم فكرة أخرى سوى إخفاء الجريمة، وإزالة آثارها. وهكذا ففي المساء، أخذوا الضحية باتجاه الغرب وقاموا بإخفائها على قمّة هضبة بالقرب من مكان البناء.

(الرمزية أو الأسطورة تُعلّمنا أن المعلِّم الداخلي الذي يعمل داخلياً دائماً من أجل خير الإنسان، ومن أجل تقدمه الروحي والنفساني، تمت مهاجمته من خلال العيوب الثلاثة، التي كانت في البدء خصائص أو سمات ضرورية للإنسان. فالرغبة بالتقدم تحولت من خلال الفكر إلى جشع أناني. والحب المتجاوز لذاته أصبح تعصّباً أحمقاً. ومن خلال الجشع والجهل والتعصب فقد الإنسان إيمانه واستولى عليه الخوف).

تقتل هذه العيوب الثلاثة الإنسان، فالأنا الأسمى في الجهة الشرقية، والشخصية في الجهة الغربية، والعقل في الجهة الجنوبية. وبعبارات أخرى: المعلّم الداخلي (الأستاذ)، الأنا الأسمى الذي هو الوعي، والشخصية أو الأنا الفردية الذي هو الإرادة، والعقل أو الذكاء، فهؤلاء يمثّلهم على نحو خاص تلك الأعضاء التي تعرضت للضربة: الذراع، والصدر، والرأس.

**البحث**

عندما لم يظهَر حيرام "الأنا الأسمى" في مكان العمل ارتبك الجميع، فتكهَّنوا بمصيبة.

انتهى اليوم، ولم يظهَر المهندس، وإذاك فالتسعة رفقاء الذين عارضوا مسعى الأشرار الثلاثة، قرروا إفشاء ما حصل للأساتذة. فذهبوا إلى حضرة

سليمان، الـذي بعـد أن سـمع تقريـر الأسـاتذة الثلاثـة والرفـاق التـسعة. الأولون الذين شكّلوا ثلاث مجموعات، كل واحدة منها اتّحـد الرفـاق فـيما بينهم ضمنها أُمِـروا بـأن يتقـصّوا أراضي ومنـاطق الـشرق والغـرب، وفي وضح النهار في بحث عن المعلـم الأكـبر والمهنـدس حـيرام أبيـف، وعـن الرفاق الثلاثة للكلمة الضائعة التـي حتـى سـليمان نفـسه لم يكـن يعرفهـا، والتي تمّ فقدانها مع اختفاء حيرام.

وبحثوا عنه خلال ثلاثة أيام من غير فائدة، إلا أنـه، وفي صـبيحة اليـوم الرابع، وجدت واحدة من المجموعات التي كانت تتوجه إلى الغرب نفسها على جبال لبنـان لكـي تعثـر عـلى مكـان حيـث تـستطيع أن تُمـضي الليـل، فسمعت إذاك أصواتاً بشرية في مغـارة. كـانوا هـم الرفـاق الثلاثـة القتلـة. ورأى هؤلاء الأخيرون الزوّار يقومون بإشارات العقـاب، وهـي إشـارات تمّ تبنّيها فيما بعد للدرجات الثلاث كواسطة للتعريف عن النفس.

هرب المجرمون الثلاثة من مخرج آخر للمغارة، وما مـن أحـد فـيما بعـد استطاع العثور على آثار أقدامهم.

وعندما دخلوا إلى القدس في ليلة اليوم السادس (بـالقرب مـن المدينـة) فإن واحداً من المسافرين الثلاثـة جـثم منهَكـاً فـوق تلـة، فلاحـظ إذاك أن التراب قد تمّ تحريكه مؤخراً وثمة رائحة نتنة لجثمان تصدر من هناك.

وبالشروع في الحفر توصّلوا إلى جس الجثمان، لكن وبـما أن المكـان كـان مظلماً لم يتجرأوا على الاستمرار في بحثهم. وأعادوا تغطية الجثمان ووضعوا على التلة غصناً من الطلح (الأقاقيا) acacia، صنف مـن الأشـجار العاديـة ذات زهور وأوراق دائمة. وفي اليوم التالي، عرضوا تقريـراً عـن اكتـشافهم

إلى سليمان. وهذا الأخير، قام بالإشارة ولفظ الكلمة، وهاتان الاثنتان أصبحتا تُستخدمان كإشارات للنجدة. وبالتالي طلب إلى المعلمين الثلاثة التحقّق فيما إذا كان الأمر يتعلّق بالمعلّم الكبير حيرام، والبحث فيه عن إشارات التعرُّف التي تمّ تثبيتها من خلال الكلمات التي تمّ لفظها في اللحظة التي تمّ فيها رفع الجثمان من القبر.

وهكذا فعلوا، وعند رؤيتهم للجبهة الدامية، ومغطاة بمئزر، وعلى الصدر شارة الدرجة، قاموا بإشارة الذعر التي أصبحت هي إشارة التعرّف في ما بين الماسونيين.

## معنى الأسطورة

مثل الأساطير كلها والأمثال المختارة من أجل أن تنقل حقيقة الأجيال السابقة، فإن معناها متعدّد.

ومع ذلك، فالأمر الوحيد الذي يهم المعلِّم الماسوني هو المعنى الداخلي والشخصي أو الفردي.

حيرام هو الشمس، وهو الأنا الأسمى، وهو الروح الإلهي في داخل جسم الإنسان، إنه مثال كل كائن يأتي إلى هذا العالم. وأخيراً هو الإنسان؛ هذا الإنسان-الإله يتمّ العثور عليه بشكل دائم لسبب أن عقله موضوعي، ومهدّد بالجهل، وبالتعصّب، وبالجشع. وهذه العيوب الثلاثة هي التي تُهيمن عليه وتَحُولُ دون تقدّمه. ومع ذلك، فالإنسان يُولَد وهو مُجبَر على بناء وقيادة هيكل الحياة، وجعله هيكل الإله الحي، أو النهوض به إلى مجد المهندس الأعظم للكون، معبّراً عن عمله، والحكمة والقدرة والحب.

إلا أن ميولنا الدنيا وأهواءنا متربّصة بنا دائماً، وتقتل داخلنا صوت الوعي، الصوت الداخلي، مرشدنا الوحيد. وعلى هذا النحو، يتمّ الاختبار في داخلنا، رمزية "موت حيرام" أو نوم "الأنا الأسمى"، وهذا مثال رفيع يقود حياتنا إلى نهاية أسمى.

عندما نستسلم إلى أهوائنا، وأعمالنا القائمة فإن تطوّرنا يتوقّف بسبب فقدان المرشد أو الأنا الأسمى.

لدى كل إنسان اثنتا عشرة موهبة من الروح كما رأينا في دراساتنا السابقة، ومع ذلك فإن كل موهبة تتعارض مع عيب عدو، ابن جهله وخوفه. فهؤلاء الاثني عشر رفيقاً الذين يعيشون داخل الإنسان والذين يرافقونه في كل مكان هم أولئك الذين يعملون في كل لحظة من أجل خلاصه! ولكن الأهواء الخسيسة المقابلة لهم ترمي أحجبة على مثالهم الذي يقع ميتاً ويتمّ قبره، إنه الروح الكامن في المادة.

وهكذا نرى أن الجهل يريد احتلال مكان الحقيقة، ويريد التعصب أن يُمنَح إليه كل إكرام، ويريد الجشع اغتصاب السلطة كلها من حيرام – مبدأ النور. وهؤلاء أعداء الإنسان الثلاثة يبتغون الاستيلاء على كلمة القدرة التي تخوِّلهم كل سلطة يتمّ بلوغها فقط من خلال التطوّر والمجهود الفردي، وليس من خلال القوة. وسُمِّيَت بالنور المعلم الذي ينير العالم.

ليس ثمة موت ولا فقداناً زمنياً لا يخدم ولا يكون سبباً لولادة جديدة. لا يمكن تدمير ما هو أزلي وخالد، وإنما نقدّم إليه الفرصة لولادة جديدة في هيئة جديدة، لكنها مضيئة كما يولد الروح في مساررته في الحقيقة والفضيلة.

لا يمكن للأنا الأسمى أن يموت أبداً، أياً كانت الضربات التي بوسع الأخطاء أن تطعنه بها، فهي تضرّ فقط هيأته الخارجية.

لقد قلنا إن القتلة الثلاثة هم الجهل الذي يحوِّل النشاط إلى تعصب، والجشع الذي يلي الدراما الكونية للاتطور. إلا أن الأنا الأسمى في الإنسان مع قدرة الإرادة بوسعه السيطرة على الرفاق – العيوب الثلاثة، بواسطة المعلّمين الثلاثة الذين ذهبوا في بحث عن حيرام، وهم: المعرفة، والإيمان، والحب. وهذه السمات الثلاث العليا تتوصّل إلى العثور وإيقاظ وإنهاض هذا النور الداخلي من أجل أن يؤكد سيطرته على المادة وينيرها لأن التطوّر يتبع اللاتطوّر.

الماسوني أو ابن النور هو المعلّم الأعظم حيرام أبيف، إنه أيضاً ممثّل الشمس الذي يطوف اثني عشر برجاً زودياكاً، والذي يفسّر الأسطورة الماسونية أو الدراما السرانية. ففي انقلاب الربيع تدع الشمس الأنثوي الحلو والمائي لبرج الحوت من أجل الدخول في ذلك الذي يميل للحرب والحازم والبرج الناري للحمل أو آرس (إله الحرب عند اليونان)، حيث يمجّد قدرته. وشهور الشتاء الثلاثة هم الرفاق الثلاثة الذين قتلوا ودفنوا الشمس في الظلمات، وفي البرد، إلا أن التسعة شهور أو الرفاق التسعة أخذوا يُمجّدونه لكي يلمع مجدداً في حياة المادة.

أعداء الإنسان الثلاثة يخفون المبدأ المنير "تحت أنقاض الهيكل – الجسد" من أجل دفنه في ليل النسيان فيتم إخفاؤه في الغرب. هكذا يكون، ففي الجزء الأدنى من شخصيتنا أو مع العدد السري الذي هو خلق الإنسان المتعاون مع الجزء الأدنى والأسفل من الجسم حيث تمكث الذرات الكثيفة

والخشنة والثقيلة. وهناك من الضرورة بمكان اكتشافها لكي تكون بعيدة عنا بشكل نهائي. هو موجود حيث يتم العثور على المبدأ المنير مدفوناً إلا أنه ليس ميتاً.

ونستطيع بعد هذا التطهير لقاء الإله الباطني مع الاثنتي عشرة موهبة للروح (مُمثّلة بالمعلّمين الثلاثة الذين أخذوا يبحثون عن القتلة وعن الرفاق التسعة الذي ساعدوا في نهوض حيرام)، وهكذا يجري تفعيل القيامة.

المعلّمون الثلاثة الأوائل هم: الإيمان والأمل والحب. أمّا التسعة الباقون فهم: الإدراك، والمعرفة، والربط، والمحاكمة، والغيرية، والذاكرة، والإرادة، والنظام، والضبط.

الكلمة المقدّسة والضائعة بالموت الرمزي لحيرام أبيف لم يكن يملكها سليمان ولا حيرام ملك صور. أكّدنا أن كلمة الدرجة الأولى هي الإيمان والثانية هي الأمل والثالثة يجب أن تكون المحبة أو الحب.

المعلّمان الاثنان الأولان، يرمزان إلى الإيمان والأمل، لا يمكنهما العثور على جثمان المعلِّم. فقط الثالث الذي هو الحب يستطيع العثور عليه. أولى الموهبتان الاثنتان ليس لديهما القدرة ولا دافع الثالثة، المحبة هي الوحيدة التي تستطيع فعل المعجزات.

يتوجَّب علينا غلبة الأنانية كلها، لكي نستطيع استخدام القوة الكلية القدرة للحب. لا يستطيع الحب التعايش إطلاقاً مع الأنانية لأنها تقضي دائماً على الإيمان والأمل في دواخلنا.

إذن، فالكلمة المقدّسة هي جوهر الإيمان والأمل والحب.

## ملخص الأسطورة

الهيكل هو جسد الإنسان.

بناء الهيكل هو التطوّر والارتقاء بالجهود إلى نهاية أسمى من خلال معرفة الحقيقة وممارسة الفضيلة.

هيكل سليمان هو رمز للجسد المادي، والقدس (مدينة السلام) هي العالم الداخلي.

النقاط الأربعة الأساسية للهيكل في الجسد هي: الرأس الذي يتوافق مع الشرق، وما أسفل البطن مع الغرب، والجانب الأيمن مع الجنوب، والأيسر مع الشمال.

بنّاؤو الهيكل الثلاثة هم: سليمان الذي يُمثِّل المعرفة، وحيرام ملك صور القدرة، وحيرام أبيف العمل. الثلاثة يمثّلون أيضاً الإيمان والأمل والمحبة. النار والنور والمغناطيسية.

لدى العمال ثلاث درجات، وينقسمون إلى ثلاث فئات: المبتدئون، وهم يعملون في الجزء الأدنى من الجسم والبطن، والرفاق يعملون في الجزء الأوسط والصدر، والأساتذة يعملون في الجزء العلوي والرأس.

عمودا الهيكل الاثنان هما القطبان الاثنان، المنفعل والفعّال الممثّلان بالساقين اليسرى واليمنى.

غرفة الوسط هي "المكان السري" أو العالم الداخلي للإنسان في القلب أو الصدر.

تستلم كل مجموعة راتبها وفقاً لعملها وكلمتها المقدّسة. يتلقّى المبتدئون راتبهم وفقاً لإيمانهم، والرفاق وفقاً لأملهم، والأساتذة وفقاً لحبهم.

وبالرغم من العدد الكبير للعمال داخل هذا الهيكل، فجميعهم كانوا يعملون بصمت في عمل المهندس الأعظم، ولم يكن يُسمَع أي جلبة، لأن هذا الهيكل لم يُبنَ بأيدٍ بشرية، ولا بأدوات مادية ومعدنية.

دام بناء الهيكل سبع سنوات لأن نتيجة المسارة الصحيحة والحقيقية يتمّ الحصول عليها بعد سبع سنوات: والتي هي ضرورية من أجل تطهير الذرات الدنيا، ومن أجل منح مكان للذرّات العليا.

حيرام أبيف "ابن الأرملة" هو الروح، والشعلة الإلهية الكامنة في الجنس الذي يُولَد ويتجلّى في المادة أو المادة – الأم، من دون رغبة لحم. إنها الأم العذراء دائماً لأن "أنا أكون" يدخل ويخرج منها وهي تظل عذراء دائماً.

المكان المختار للبناء كان جبل موريا. Moria اسم يعني الكثير بالنسبة للماسونيين والغيبيين لعلاقته مع المعلم الكبير موريا Moria.

عند الاقتراب من لحظة الانتصار النهائية تستحوذ على المسارر الإغواءات الثلاثة في صحراء المادة وهي الجهل والتعصّب والجشع، أو الرفاق الثلاثة الذين يريدون الحصول على راتب الأستاذ.

كان كل عيب مسلحاً بأداة. هاجم الجهل الجانب الأيمن – العاكس للقدرة الإيجابية – بمسطرة من أربع وعشرين إنشاً، الأمر الذي يُمثِّل اليوم بأربعة وعشرين ساعة، ومع جرح يد حيرام أخرجها من العمل أو وسيلة العمل أي اليد.

ضرب التعصّب القلب بزاوية المهندس (الكوس) الذي هو رمز الإنسان الأدنى المهيمِن عليه تعصّبه. وزاوية المهندس هي الهيئة المادية،

وهي المعرفة العقلانية الضرورية للإنسان، ولكن هذا في معظم الأحوال ينسى الفرجار الذي يُمثِّل الحدس الإلهي. وعند ضرب القلب يقتل فيه التسامح والحب.

ضرب الجشع الرأس بالمطرقة ممثّلاً في هذا الفعل الإرادة سيئة التوجه وسيئة السيطرة.

وعندما يموت الوعي يعمل الثلاثة على إبعاد الواقع إلى النسيان فيتم "دفن جسد المعلم".

ولكن الاثنتي عشرة موهبة للروح أو الاثني عشر معلّماً يبدأون البحث. والثلاثة الأوائل هم الإيمان والأمل والمحبة. ويزيل أولاء بدورهم العيوب الثلاثة. والتسعة الآخرون يُمجّدون النور الداخلي المدفون.

هذه الأسطورة هي واقع من الطبيعة. ينجزها المعلّمون وأنجزوها دائماً، كل المعلّمين ومخلِّصي البشرية مثل هرقل، وأوزيريس وميترا وتموز وشمشوم وكريشنا ويسوع... لأن الأسطورة تمّ استخلاصها من الدراما الشمسية التي تتكرّر كل سنة في الطبيعة، وكل معلم عليه محاكاة النجاح في العالم الأكبر (الكون) في حياته.

"اخلع حذاءك من قدميك، لأن الموضع الذي تقف فيه هو أرض مقدّسة!".

قديماً وعند اقتراب المُبْتَدِئ لتلقي المساررة في الهيكل كان عليه أن يخلع حذاءه من قدميه. والماسونيون يقومون بخلع حذاء قدم واحدة. ولا يتوجّب عليهم أن يجلبوا معهم أكثر من ثياب خفيفة (بيضاء). وفي معهد السحرة يستخدمون فقط عباءة بيضاء على الجسد العاري، ومئزراً يغطي

أعضاءهم التناسلية تحت العباءة. ومن أجل العبور من خلال هذا الطقس كان يتوجّب على المبتدئ أن يخضع لتدريب طويل على الصيام والتطهير ليس للجسم فقط بل للعقل أيضاً (بهذه الطريقة يعود الإنسان إلى خالقه كما قد خرج منه أي يكون طاهراً ونقياً).

الجسد هو هيكل الله الحي. يستطيع الله التجلي في هذا الجسد بواسطة النفس التي هي نار ونور في الجنس في حضوره دائماً في الهيكل المادي حيث كان يتم الاحتفال بالمسارة فيمثّل الجسد - الهيكل لـ"أنا أكون ذاك". والاحتفالات هي استدعاءات تساعد في العثور على النار المقدّسة والنور الداخلي. كان هذا ما أراد يسوع قوله: "ملكوت الله في داخلكم... أنتم هيكل للروح القدس...".

في مثَل الابن الشاطر (في الإنجيل) فهو قد ترك هيكله الداخلي وابتعد عن النور، وتاه بسبب الظلمة في عجز وجهل فأصبح أعمى. والمبتدئ المُحبَط والممتلئ بالعذاب يتذكّر (في مثَل ابن الشاطر) أنه يتساقط من مائدة أبيه فتاتاً زائداً عن وليمة المدعوين الكثُر. وإذاك يعود ويطرق باب هيكل الإله الحي في مسعى لولادة جديدة. ولهذا السبب فالمبتدئ يدخل المحفَل بعينين معصوبتين، ويسير في الظلمات ويطلب بحرارة أن ينتزعوا عنه العصابة التي تُخفي عن عينيه غير المسارتين الحقيقة الإلهية. فمن يبحث عن النور الداخلي الحقيقي عليه أن يتعرَّىَ بشكل كامل من الأفكار المكونة مسبقاً، ويعود طفلاً (مبتدئاً) للملكوت الداخلي، عارياً مثلما هو الأمر عند الولادة. وعندما يرى النور الإلهي داخل نفسه، ويشعر من حيث تأتي طبيعته وينبوعه فيحقق الولادة الثانية أو ولادة المسيح في القلب (المذود الإنساني).

يكتب يوحنا الرسول: "انظروا كم هي عظيمة محبة الآب التي منحنا إيّاها حتىٰ أننا أصبحنا نُدعىٰ أبناء الله...".

"محبوبون الآن (ذلك أننا مساررون) فنحن أبناء الله مع أنه لم يتجلَّ ما يجب أن نكون عليه. ولكننا ندرك بأنه عندما يتجلّىٰ سنكون مشابهين له، لأننا نكون علىٰ النحو الذي نعاينه فيها". يسوع وتلاميذه فيما بعد كانوا يظنّون أن الكلمة "آب" كانت أكثر من لائقة للإشارة إلىٰ "ينبوع الحب الإلهي الذي هو الله".

بناء هيكل سليمان عبارة عن رمز، لأنّ كلّ مبتدئ عليه أن يكرس نفسه لبناء هيكل الله الحي الذي هو جسده. هذا هو معنىٰ هيكل سليمان، هيكل الشمس، وهيكل الروح، وأنا أكون. ويجب أن يكون هذا الهيكل نقياً جداً ولائقاً بذلك الذي يقطنه، لأنه ههنا يجب أن يكون المكان حيث تتم عبادة الله بالروح والحق.

قال النبي "محمد": "لكل أمّة كتاب". والشعب الغربي لديه "الكتاب المقدّس". فإذا ما تمّ أخذه علىٰ أنه تاريخ، فالكتاب المقدّس عبارة عن كتاب طفولي، ذلك أنه كما تُرجِمَ عن الأصل اليوناني، واللغة العبرانية فهو مليء بالأخطاء إزاء العلم والمنطق وحتىٰ إزاء الإيمان العقلاني نفسه. لكن، وبالرغم من ذلك كله، فالغربيون حتىٰ اليوم يوعزون إليه القداسة، ولذلك يستمرُّ الكتاب مقدّساً من خلال الإيمان بما فيه. فهو المجموعة التي تحتوي علىٰ القانون المقدّس. والكتاب المقدّس بالنسبة للماسونيين هو كتاب النور. وكل مرشح سيتوجب عليه اتباع الطريق المرسوم من خلال هذا الكتاب المقدّس من أجل بلوغ الاستنارة.

الدائرة المُستخدمة من قِبَل الماسونيين والمدارس الأخرى والديانات تعبِّر عن الأزلية، فالله ليس له بداية ولا نهاية.

الآب الذي هو نور وروح وحياة العالَم. والشمس كمركز خارجي للإله الحقيقي. الـ"أنا أكون" الذي هو نور في الإنسان. وهكذا يمكن الشعور بما قاله هرمس: "هكذا كما في الأعلى يكون في الأسفل".

الماسونية اليوم هي انعكاس للأسرار القديمة وقائمة على أساس الثالوث الذي يرمز إليه المثلث المتساوي الأضلاع.

كان الصمت أوّل شرط مهم بالنسبة للمبتدئ. كان شرطاً أساسياً للتنسيب في الأسرار. وكان القسَم والنذور يتم تنفيذها بمساعدة اليد اليمنى، لأنها تمثّل التحقيق، وهي شعار الإخلاص. وهذا ما تعنيه التحية باليد اليمنى. فالإلهة فيداس Fidas أو الوفاء تُمثَّل أحياناً بيدين يمنتين.

في الأسرار القديمة كان يُستخدَم السيف مشهوراً، وموضوعاً على الحنجرة من أجل تأكيد القسَم، للاستناد في هذه الوضعية على السماء والأرض والبحر. لقد ورثت الماسونية السيف من الدرويد (كهنة الطبيعة) ومن ديانات أخرى.

وانتزاع الحجاب عن عيني المُبتدئ، لكي يرى النور هو رمز الاستنارة. إنه نهاية الرحلة السرانية عبر ظلمة الجهل، إنه انتصار النور على الظلمات. وطقس الاستقبال في الماسونية مكافئ للأسرار القديمة، التي كانت تُدعَى فحص الذات أو الاختبارات الأربعة للمعمودية من أجل أن تحرق معمودية "النار – النور" خبَثَ المعادن كلها وتضيء في الظلمة.

لدى الماسونية عدّة درجات كالمساررة الحقيقية التي كان يتمّ تلقينها تدريجياً.

لا يمكـن لأحـد الوصـول إلى المسـاررة وتلقـين الأسرار قبـل رؤيتـه وشعوره بشعلة النار المقدّسة في ذاته، لأنه "حيث لا يوجد نور فلـيس ثمـة روح، وبالتالي، فليس هناك خلود".

درجة المساررة الأخيرة قدياً تقوم على تسليم الكلمة الضائعة...

ويتماهى حيرام مع أوزيريس، ومعنى كلتا المأسـاتين هـو ذاتـه أي حيـاة روحية جديدة وأن يتجدّد روحياً. فالتجدّد الروحي لا يمكـن إنجـازه مـن دون وجود النار الرجولية في الجسد التي يجب إشعالها والتـضحية بهـا عـلى المذبح الباطني حيث تتحول إلى شعلة إلهية.

الشعلة هي روح الإنـسان الواعيـة. وعنـد ممـات الجـسم تتحـرر هـذه الشعلة بطريقة أنه مع موت حيرام وأوزيريس فالكلمة الضائعة لم تكن على جسد المعلم حـيرام وأيـضاً الفـالوس (القـضيب) كـان غائبـاً عـن جـسد أوزيريس خاصّته. إذن فالكلمة الضائعة لديها علاقة حميمة مع النار – النور والفالوس، لأنه من دون الفالوس (القضيب) لا يستطيع الرجل أن يكـون خلّاقـاً، ولأنـه بالنـسبة إليـه فالتجـدّد الروحـي مـستحيل لكـون الكـمال مستحيل.

كانت أسرار أوزيريس تشكل الدرجة الثالثة الرفيعة المقام، وكان الإلـه يُستبدَل من قبل المُرشّح مثلما هو الأمر مع حيرام في المساررة الماسـونية. وفي الديانة الشمسية، فالشمس هي الإله الآب، والقمر هي الإلهة الأم إيـزيس، وتيفون Tifon هو الشتاء. والقتلة الأشرار الثلاثة هم شهور الشتاء الثلاثة. الشمس، وكريشنا، وأوزيريس، ويسوع، والمخلصون الآخرون الـذين تـمّ قتلهم ثم نهضوا من بين الأموات. وعندما يبدأ الإلـه الـشمس نـار – نـور

بنشر أشعته المليئة بالقوة الفعالة والولودة، تحتل القيامة مكاناً عنده، مرسلاً الحياة إلى الأجسام كلها في الطبيعة. وعند الموت، تفقد الشمس الفالوس أو الطاقة المحيية لكل كائن في زوجته الطبيعة (إيزيس).

إيزيس، زوجة وأم تبكي موت أوزيريس، وسيبيلي Cibele تتحسر على تغير أتيس Atis. وعشتار تبكي موت أدونيس الذي جرحه خنزير برّي في أعضائه الذكورية. وفقد أوزيريس الفالوس الذي جعل في البداية قيامته صعبة. وعلى الفور النار – النور الشمس هو الفالوس المُخصِب للطبيعة التي تصبح حاملاً خلال الشتاء والربيع والخريف، وتُعطَى الثمرة الابن في الصيف. كانت الشمس هي الآب، ودُعِيَت أوزيريس، وكريشنا، وحيرام... الخ، وكانت الطبيعة الأم وفقاً للأسرار التي منحتها أسماء إيزيس، وفينوس، وعشتار، ومريم...

# ديانات قديمة في أشكال حديثة

قسَّم الكلدانيون السنة إلى اثني عشر شهراً، على أن يرأس كل ملاك كل شهر من السنة. غيَّرت الكنيسة الأسماء وقامت بوضع اسم قديس يرأس كل يوم من السنة.

الديڤا أو الآلهة الرومانية الدنيا حقّقت معجزات، ونصبوا إكراماً لها مذابحاً، لأجلها كانوا يبقون مشاعلَهم مُضيئة باستمرار، وجرت عبادة ذخائرهم، وبنوا أديرة لرجال ونساء متدينين تحت اسم "الديڤيون" أو الآلهة الدنيا مثل كويرانيليو (أتباع رومولوس) رومولوس أو كيرينوس Quirinos، ومريخيو "المريخ إله الحرب الروماني" وڤولكانيّو Vulcano، كما يوجد اليوم الفرانسيسكان، والأغسطونيون، والدومينيكان نسبة لفرنسيس وأوغسطين ودومينيك.

كان الديڤا الرومانيون شفعاء عدّة دعوات: نپتون Netuno للبحّارة، و"پان" للرعاة، و"پالس" Pales للأزواج، و"ديانا" للصيّادين.

وما لدينا في هذه الأيام هو القديس "نقولا" Nicolau شفيع للبحارة، و"يوحنا المعمدان" للأزواج، والقديسة "مريم المجدلية" للمومسات... الخ، وتلقَّى القدّيسون سمات الديڤا، ونُسِبَ للنبي "موسى" قرنا جوپيتر – أمون (إله الشمس)، وللقدّيس بطرس مفاتيح جانو Jano (من اللاتينية جانوس بوّاب السماء، ولديه رأسان وهو يغلق أبواب السماء حين السلام، ويفتحها حين الحرب). وأعلنت الكنيسة أيضاً قداسة آلهة قديمة كثيرة

مثل: باخوس إله الخمرة، وتمّ تعميده في الكنيسة تحت اسم القديس باخوس أو Bacchus. وبريجيت Brijit إلهة الدرويد التي تحوّلت إلى القديسة "بريجيت" شفيعة إيرلاندا.

عبادة العذراء مريم كانت هي أيضاً إكراماً لإيزيس والماريانا (السيّدة العظمى بالسنسكريتية) عند الهندوس. وإذا ما قارنا طلبات هذين الشعبين اللذين تكرّسا للعنصر الأنثوي من الألوهة مع طلبات الكاثوليكيين، وأيضاً الأورثوذكس. فالهندوس القدماء كانوا يعبدون الإله من خلال تجليه الأنثوي، على النحو نفسه الذي كانوا يعبدون فيه المرأة، موعزين إليها المواهب الإلهية كلها. ولكي تُبقَى العبادة والاحترام لها قائمين، فقد كان كهنتهم يصيغون في دعاءاتهم طلبة تستدعي العنصر الأنثوي الذي لا غنى عنه من أجل الحفاظ على الحياة والصحة والسعادة.

يصلي الهندوس وفق طقسهم على النحو التالي:

قداسة ماريانا، أمّ السعادة الخالدة

أمّ الله الإنسان المتجسد

أم كريشنا

الأمّ العذراء الأبدية

الأمّ الفائقة النقاء

العذراء البالِغة الطهارة

الأمّ الدائمة النقاء

العذراء الثمانية Trigama

مرآة الوعي الأسمى

الأمّ الفائقة العقلانية

عذراء اللوتس الأبيض

الأمّ الذهبية

النور السماوي

ملكة السماء والأرض

الروح الأم لكل الكائنات

سيدة الحبل بلا دنس

هذه هي طلَبَة الهندوس تستدعي قدرة الألوهة الأنثوية في المادة المتألّهة في المرأة. وبدورهم كهنة مصر استدعوا العنصر الأنثوي مع هذه الطلبة الأخرى:

قداسة إيزيس

الأمّ الكونية

أم الآلهة

أم حورس Hórus

روح أمّ الكون

عذراء الأرض المقدّسة

أم كل فضيلة

لتتمجَّد إيزيس الشغوفة والعادلة

مرآة العدالة والحقيقة

أمّ الإنسان الخفية

اللوتس المقدّسة

الصلاصل (آلة موسيقية) الذهبية

ملكة السماء والأرض

الأمّ العذراء

والآن ليس ضرورياً أن ننسخ هنا طلبة الرفيعَة القداسة العذراء مريم لكونها نسخة دقيقة عن السابقات. وهذا يُظهِر لنا بأن القدماء كانوا على علم أن الطاقة والشباب يصدران منها ويمنحان الخلود للإنسان: ذلك أنهما ليسا شيئاً من الجسد، وإنما من الروح التي هي بوابة السماء، مُعزّيَة الحزانى، وشافية المرضى.

كان الحمل (خلق موجود) سراً غير قابل للإدراك، وموعزاً بشكل مباشر لله. إيزيس هي الأمّ العذراء لأنها كالطبيعة: تمّ إخصابها من خلال الشعاع الشمسي الإلهي، ولذلك فهي تحمل بابنها من دون أن تفقد عذريتها.

الزنبق في يد العذراء مريم هو لوتس إيزيس المقدّس الذي تمّ تكريسه لها. وكان شهر أيار مكرّساً لإيزيس لكونه قد تمّ إيقاظه من قِبَل الربيع، وفي هذه الأيام فإن شهر أيار مكرّس للعذراء مريم.

القمر رمز الدورة القمرية للمرأة، فهو ملكة السماء إيزيس المتوَّجَة بالقمر، ومريم العذراء تدوس بقدمها على القمر. والصورة الأولى هي القمر هلالاً، والثانية هي الربع المتناقص أو ما يعنيه الأمر قبل أن يتمّ إخصابها من قِبَل الروح، فكانت متوَّجَة بقمر نصف دائري، ولكنها في هذه الصورة تظهر متوَّجَة بالشمس، وهي تدوس على القمر.

كان بوذيّو التيبت يحتفلون بعيد القديسين كلهم في اليوم الأول من تشرين الثاني، وكان يُحتفَل بيوم الموتى في اليوم الثاني من تشرين الثاني. وفي معهد السحرة يجري استدعاء احتفالي في هذه الليلة، ويضع الكثيرون منهم أنفسهم على تماس واعٍ مع أولئك الذين انتقلوا إلى الحالة الجديدة خلال الاثني عشر شهراً سابقاً.

كان اليوم الخامس والعشرون من كانون الأول محفوظاً ليوم مقدّس للشعوب كلها. وقد اعتبر المسيحيون هذا اليوم على أنه يوم ميلاد يسوع لكي يجذبوا للمسيحية الشعوب المختلفة الذين يحتفِلون بعيد ميلاد الشمس مثلما هو الأمر في شأن يوم الأحد الذي تمّ تقديسه على أنه يوم السيد، لكي لا يبعدوا "الشعوب الوثنية". إنه يوم "السيد الشمس" المكافئ للإله بعل في البلاد الكلدانية وللإله أوزيريس في مصر وللإله أدونيس عند الفينيقيين.

وإذا كان الدين للإنسان وليس الإنسان للدين. ولم يوجَد الدين من أجل يوم خاص، وإنما من أجل كل دقيقة في اليوم والأسبوع. ويكمن الهدف من الدين في إذكاء النار المقدّسة وإبقائها مشتعلة على الدوام. ولدى أتباع الإلهة ڤستيا. إذن، يوجد الإله الحي في الهيكل – الجسد متجلياً من

خلال النار والنور في الجنس، ولا يجب أن نسمح إطلاقاً بـأن تنطفـئ هـذه النار. ويتم العثور في هذه النار، وفي هذا النور على الحياة والموت، والخلـق، وتجديده، وتجديد كل ما كان، وكل ما يكون، وكل ما سيكون. "إبحثوا عن ملكوت الله وعمله اللائق وكل ما يزيد عن ذلك يُمنَح لكـم أضـعافاً... إن ملكوت الله في داخلكم...".

ومن يعثر على النار المقدّسة يمكنه معرفة الله في داخل ذاتـه، وفي داخـل جسده خاصته الذي هو هيكل الله الحي.

# تمزيق الحجب

كان عضو الذكورة "الفالوس" يُعتبَر – وهو المصدر المُجسِّد للكائن، ولشخصنة القوة الخلّاقة، والرمز المنطقي لخالق الحياة - كمُمَثِّل للقدرة الخلّاقَة للحياة الإنسانية، وتمّ تمجيده، وفي النهاية تمّ تقديم العبادة له. وتمّ تأليه القوة الخلّاقَة على أنها ألوهة عظمى هي عبارة عن آب متّحد بطبيعته، ومن خلال هذه الطبيعة تأتي إلى الوجود الكائنات كلها. وكان "الفالوس" هو التجسّد لهذه القدرة من أجل تنفيذ مهام الحياة الكبرى، والتي هي الخلق وتجديده. فالخلق جرى تمثيله بخط عمودي وتجديده بخط أفقي، وعلى هذا النحو تكوَّن الصليب، رمز "الفالوس" أو مُمثِّل القوة الفالية، أو تصعيد البذرة الخالقة. ويُمثّل الصليب النشاطين الاثنين معاً. وبالتالي اعتبرت معظم الديانات القديمة العقم كما لو أنه إهانة ولعنة. فالواجب الديني الأعظم لكل امرأة هو إعطاء أبناء وإدامَة بذرة الجنس البشري.

قديماً، رأى الرجل والمرأة في الخالق المصدر الأعظم للسعادة... وتوجَّهَت النساء نحو الله في سعيهنّ للحصول على أبناء... وكان الله حقيقة جوهرية محدّدة بوضوح. وكان على اتصال مباشر وشخصي مع فعل الخلق. وكان الخالِق نفسه هو الذي يذهَب إلى داخل المرأة من خلال الرجل. وكان الرجل ممثّل الله. وكان "الفالوس" الوظيفة الإلهية الفاعِلَة التي خلقها الله. ولهذا السبب فإنسانية تلك الحقبة كانت أكثر نقاءً بألف مرّة ممّا هي عليه اليوم، لأنها كانت ترى آنذاك في فعل الخلق الله فقط.

فسَّر كبير السحرة "الختان" حيث العضو الرجولي يتمّ اعتباره على أنه مكرّس خصوصاً للخالق، سواء كرمز، أوكقناة للقدرة وللرغبات الإلهية من أجل تحقيقها. وقديماً، ومن أجل اتخاذ قسَم شخص ما، كان هذا الأخير يتوَجَّب عليه أن يضع يدَه على "فالوس" الكائن الذي كان يُقسِم باسمه، أو ينذر نفسه له. واليوم يتم القسَم في العالَم المسيحي على "الصليب".

الماجِن الذي يُفرِط في استخدامه لقدرته الرجولية يقذف خارجاً روحه خاصّته. وإذا ما كان الصليب هو رمز الخلاص فهذا يعود لكون الصليب الفالوسي المُحترَم والمُكرَّم هو مصدر الصحّة والقدرة والاستنارة. الديانات القديمة والماسونية الحديثة لم يساروا ضمن أسرارهم أحداً مخصيّاً أو كائنات عاجزة جنسياً، لأن هؤلاء لن يستطيعوا لا الرؤية ولا الشعور بالنار الخلّاقة في ذواتهم. وبالنتيجة لن يستطيعوا الشعور بالله ولا الإحساس به. وكلّما كان الرجل أكثر رجولة، كلّما امتلك قيمة أكبر من أجل الخير، ويمنحه تبجيلاً أعظَم.

سجلات المصريين والهندوس الأكثر قدامة تشير إلى عبادة الصليب الفالوسي كديانة راسخة منذ آلاف السنين قبل الحقبة المسيحية التي أعطت مجالاً لولادة المنظومة اللاهوتية. وهذه الديانة، وتلك التي توالت بعدها كانت تهدف لعبادة القوى الخلّاقة. أمّا أولئك الذين يُدينون تلك الديانات القديمة فهم لا يُدينون سوى أنفسهم لأنهم يُظهِرون موقفاً عقلانياً قذراً وفاسداً.

تحكي لنا الأساطير دائماً بأن الإله كان يظهَر على هيئة نار. فالنار هي الحرارة التي تمنح الحياة، والروح الخالدة هي نار فحسب. وللحصول على الخلود الواعي فمن الضرورة بمكان رؤية النار الإلهية في الجسد حيث أن

الشمس والنار المادية هما رمزان. فأوزيريس كان يسكن في الشمس على أنه الخالق كلّي القدرة وقام البشر بشخصنته.

من عبادة النار الإلهية داخل الهيكل – الجسد تأصَّلَت عبادة الشمس على أنها الخالِق وحافظ الإنسانية. وصدرت عن العبادة الشمسية الديانات الموجودة حالياً كلها. وعندما تأمل الإنسان موت الطبيعة خلال شهور البرد بسبب غياب مانح الحياة الذي هو الشمس، فهو كان يُقدَّم له الاستقبال الحسن، وكان يشكر بفرح وحمد تَجدّد الحياة عندما كانت تظهَر الشمس "الآب" كلّي القدرة، والمخلِّص الذي يظهَر مجدّداً في الأفق بكل مجد وقدرة.

الإله هو روح الكون. والشمس هي روح منظومتنا (مجموعتنا الشمسية). الروح هي شمس الإنسان.

إن ولادة ابن من عذراء تعني أن العذراء قد تمّ اختيارها من أجل ولادة مخلوق إنساني يتمتّع برسالة مقدّسة، رافعة إيّاه فوق إخوته الفانين لكي يتلقَّى هؤلاء أي إخوته البشر "الروح الإلهي" باسمه السيادي. وهذا هو الحمل بلا دنس الذي يعطينا للضوء ولادة كريشنا مخلص الهندوس، والبوذا مؤسّس أعظم ديانات العالم، ويسوع المخلص الحديث للإنسانية وآخرون كثيرون.

وعبدت الإنسانية الله أيضاً على هيئة أنثوية، فكذلك هو الأمر، وقد تمّ التعرف على الحاجة لاتحاد الذكر بالأنثى من أجل تنفيذ الغاية المقدّسة من الخلق، مُفسِحاً المجال لعبادة المبدأ الأنثوي. ومن أجل قصد كهذا لدينا إيزيس، وعشتار، وڤينوس، ومايا، وأخيراً مريم. والروح المُعتبَر إيجابياً أو ذكورياً فهو الذي يخلق المادة (Mater) الذي هو العنصر المُنفعِل. فالروح

هو الخالِق، والمادة تتجلى في حبّ الطبيعة وتجديد الخلق من خلالها. وإذا كانت المرأة عذراء بشكل رئيسي، فتأثيرها السحري على الطبيعة الذكورية بواسطة الانفعالات والمشاعر كان يتم اعتباره أي تأثيرها السحري على أنه موقِظ النار الخلّاقة. وهذا البهاء الطبيعي كان يُنظَر إليه بالوقار الأكثر عمقاً، لأنه كان يتضمَّن الصحّة والاستنارة والغلبة. وسابقاً لدينا مثال عن النبي داوود والشابة المؤابية في الكتاب المقدس.

ويُنظَر للأرض على أنها الأنثى كلية الخلق وزوجها الشمس. ولذلك فالشمس كانت أوزيريس، والأرض الأم إيزيس، وحورس Hórus نتاج اتحاد الاثنين أي الابن.

رموز الأديان الأكثر قداسة هي تلك التي تُمثِّل رحم المرأة مثل، وعلى سبيل المثال، تابوت العهد، ففي هذا التابوت أو مذبح الهيكل، كان الكاهن فقط بوسعه الدخول. وكان قدّيس القدّيسين الذي يحتوي على رمز الحياة الإلهي، الذي من دونه لا يحيا الإنسان ولا حتى جيلاً واحداً. كما احتوت سفينة نوح الأسطورية على عناصر الحياة كلها. واحتوت المِظلَّة (الخيمة) على عصا هارون، وقَدَر المِنّ والوصايا العشر، ورموز الخلاص بواسطة المرأة. واحتوى صندوق المصريين على الصليب الفالوسي، والبيضة، والثعبان.

البيضة هي رمز كوني للمبدأ الأنثوي، أُعتبِرَت على أنها جرثومة الأشياء كلها، ورمز لتجدّد الخلق. ويمثِّل الفصح مع بيوضِه رمز التوالد، فهذه هي القيامة.

القمر منفعِل ومتلَقٍّ، وكان يُعتبَر على أنه أنثوي. إنه إيزيس، فهي إلهة قمرية معبودة. كانت تُعتبَر الزوجة العذراء للشمس. تُمثّل اليوني Yoni أو

الخط الأفقي من الصليب كرمز لطاقة الأنثوي الخلّاقة. والهلال هو رمز العذرية. والقمر يمثِّل الرحم، بوابة الحياة. وعلى سبيل المثال، فاستخدام الحذوة (نعل الفرس) يعود لعادة وضع اليوني Yoni (العضو الأنثوي) عند بوابات المعابد القديمة. وتمّ تبنّي هذه العادة من قِبَل الشعب كرمز للسعادة والحظ الجيِّد.

السمك رمز ديني قديم جداً مكرَّس لعشتار، وڤينوس وألوهيات أنثوية أخرى. ومن جهة، فهذا يعود لخصوبتها، ومن جهة أخرى، لأن فم السمكة يتشابه مع بوابة الحياة، وصندوق العهد. ويقوم ڤيشنو بإخراج سمكة كبيرة من فمه، أو كائنات العالَم كله.

وتعني أسطورة "يونان" أن الكائن الذي يرفض طاعة قانون تجديد الخلق، فهو يريد التوالد فقط وهو يُرمَى للموت ويُعاد رغماً عن أنفه إلى تجديد الخلق من خلال بوابة الحياة أو السمكة. وهذا هو معنى ميترا حيث يتخذ الأسقف الكلداني الذي يخدم هذا الإله هيئة رأس وفم سمكة أو بوابة الحياة.

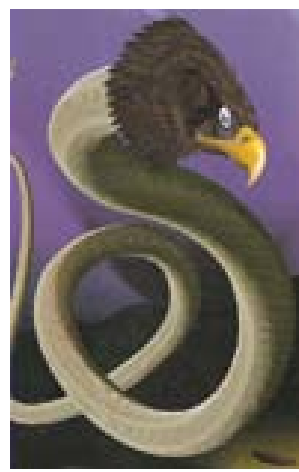

يُعتبَر الثعبان رمزاً للخالِق، ولعضو الذكورة. وقد شرحنا معناه سابقاً. ونستطيع هنا الإضافة: ذلك الذي يستطيع رفع ثعبانه لاكتساب الحكمة، والقدرة، والخلود، والطيبة، والحياة، والتجدّد الروحي حينما يُرفَع على الصليب. أما إذا زحف فسيكون ذلك سبباً للشر. وهكذا عرفوه في مصر وفي سورية، وفي اليونان القديمة، وفي الهند، وفي الصين، وفي البلدان الاسكندنافية، وفي أميركا. وتمّت عبادة الثعبان في كل الأزمنة. وكان يرمز للآلهة كلها.

الشغف الإلهي لدى الإنسان هو القوة كلية القدرة والنبع الحيوي للخلق كله. إنه القدرة الفاعلة للآب كلّي القدرة.

الثعبان أو الدافع الخلّاق هو مصدر كل خير وكل شر. (شرحنا السرّ ذات مرّة: إنه رمز الخير عندما يتمّ رفعه على الصليب، فالأمر هكذا يكون، وعندما يشتعل هذا الدافع الخلّاق أو الثعبان الناري نحو استنارة الكائن، ونحو الولادة، ونحو التجدّد الروحي. وقد رأينا هذا الثعبان في المعابد كلها ضمن هذه الوضعيّة. ولكن عندما يزحَف على بطنه فهذا منشأ السوء الذي يضرب عقب قدم الإنسان، إنه ثعبان المعصية، والممارسات الجنسية المنحطّة، والهوى الأعمى، ونار الفسق. هذا هو الشر، "إنه الشيطان" الضد للإله النار – النور الداخلي...).

هذا هو معنى الأسطورة الإنجيلية لآدم وحواء في الجنة. فآدم بمعصيته للإلهي الخلّاق فأكل من ثمرة شجرة معرفة الخير والشر، الأمر هكذا، فَعِوَضاً عن توظيف فعله نحو التجدّد الروحي، فقد استخدمه من أجل الإشباع الجامح لتلذّذه خاصّتِه. وهذا التلذّذ خاصّته استمالة نحو الثعبان أو

الهوى الخارج عن السيطرة. فالعناق الجنسي الذي رتّبه الخالق كان من أجل تحقيق غاية ربّانية، فعل ذي قداسة عظمى على الإنسان أن يحقّقه.

كان الصليب والثعبان الرمزين الأكثر وفاءً للفالوس. والمبدأ الخلّاق هو "الفالوس" المثالي، والمبدأ الخلّاق، والسمت المكوِّن. إن ولوج "الفالوس" العمودي في السمت الأفقي يشكِّل الـstauros الغنوصيين، أو الصليب الفلسفي للماسونيين. إنه مرساة الخلاص التي لديها هيئة الحرف اللاتيني الـT مقلوباً.

كان الصليب يُستخدَم دائماً كرمز ديني لكل الشعوب القديمة. وعندما وصل الإسپانيون القدماء إلى أميركا América، أصابهتم الدهشة عندما رأوا البدائيين هناك يقومون بشعائر العبادة لمخلص مصلوب، وأن الصليب كان رمز الخلاص والحياة المُقبِلَة. والصليب الأكثر قدامة هو حرف التاء اللاتيني أي الـT، وكان في بداية المسيحية ممنوعاً استخدام الصليب.

مثَّل الصليب دوماً ألوهية الاتحاد الجنسي باعتبار أن هذا الاتحاد يُفضي إلى التجدّد الروحي والخلاص والحياة الأبدية، لأن الإنسان يكتسِب ويُمنَح الخلود بهذه الطريقة للاتحاد الجنسي العميق.

الرجل والمرأة منعزِلان هما عقيمان، وعاجِزان جنسياً، وفقط بواسطة اتحادهما المقدّس يكونان قادرين على تنفيذ المشيئة الإلهية. وهذه هي الحقيقة المطلقة، والسبب الذي دفعها إلى خلق الإنسان في جنسين اثنين عِوَضاً عن تكوينه في جنس واحد فقط. وعندما يتّحد كلاهما من أجل الغاية المزدوجة للخلق والتجدّد الروحي، حيث يُقال في هذا القِران: "ذلك الذي جمعه الله، لا يفرِّقه إنسان".

الدعاء الأكثر تداولاً وقداسة والفعَّال بين الوظائف كلها هو الاتحاد الجنسي المقدّس من أجل الخلق، وعلى التوالي من أجل التجدّد الروحي. ما من فعل بوسعه أن يكون أكثر قداسة من ذلك الذي يحاكي الألوهة. فأن تكون مثل الله، وأن تفعل مثل الله لهو أساس الديانات والمساررات كلها. وإلا فماذا تعني هذه الكلمات للإلوهيم (اسم عالمي لله في التوراة): "ها هو الإنسان صار كواحد منا"، وإذا لم يُلغِ الإنسان من قلبه، ومن عقله الأفكار المُسبَقَة كلها، والمراءاة الذليلة، والفضيلة الزائفة، وإذا لم يضع في مكانها الحقائق الأساسية التي تلقّاها من روح الأديان ومن المساررة، فإنه لن يصل أبداً للشعور بالحقيقة والألوهة في داخل ذاته.

لدى الشعوب كلها أساطيرها الشمسية التي تتأسّس على قيامة الحياة. تزول الشمس (تموت مثل أدونيس، وأوزيريس... الخ)، وتدخل في الممالك المُظلِمَة للفلك الجنوبي، تاركةً العالم بارداً. وبعد غياب قصير حيث تبكي خلاله الطبيعة كلها، تعاود ظهورها بكل عظمتها وضيائها خاملة للأرض المخصَبة والفرح اللذين حُرِما منهما أثناء الشتاء. الأم الأرض تلد ابنها، والحياة تولد من جديد في ظل القدرة المُحيية للآب الشمس. والعالم كله، والطبيعة كلها هي رموز انتصار تجدد الحياة. "الروح وهي شمس الإنسان عليها اتباع مثال الأم الطبيعة، وعليها اتباع طريق الشمس، إيه نعم، الاستيقاظ مجدداً بعد رحلتها (إلى الماوراء) من أجل معايشة ونشر مجدها مجدداً.

خير وشر، ظلمة ونور، وانتصار النهار على الليل... الخ، هي مفاتيح الدين. وقد تمت شخصنة الشمس في شاب قام بقتله الشر مُمَثّلاً بالبرّ وأُخِذَ إلى العالَم الأدنى (الجحيم)، حيث جرى أَسْره من قِبَل إله الشتاء، حتى يُعاوِد الرجوع إلى الأرض التي تبتهِج بحضوره.

تُعتبَر الشمس المخلص الإلهي الذي يُخَلِّصُ العالَمَ من الظلمات. وكانت النجوم الصباحية بشائره. والليل هو عبارة عن طاغٍ قاسٍ يخشى الضياء، فقام بتحطيم البوابات الدنيا أو الأمراء، منتزعاً الأنوار كلها أو أمراء القبّة السماوية: هذه هي أسطورة قتل الأطفال عندما وُلِدَ كريشنا وأيضاً عندما وُلِدَ يسوع.

الأبراج الزودياكة الاثنا عشرة هي معاوِنو فادي العالَم، الشمس. والشهر الثاني عشر أو البرج الزودياكي (يهوذا الإسخريوطي) كان خائناً، فقد باعه، وتسبّب بموته ونزل إلى مسكن الموتى، لكي يقوم فيما بعد بمجد واقتدار. هذه هي حياة كل إنسان الذي بكونه مسرراً، عليه أن يتّبع قانون الحياة نفسه. فالنزول إلى المادة، وظلمة الرحم الأمومي، تسيطر عليه مؤثّرات أخرى، إلا أنه في النهاية تأتي قيامته (أي المسارر) وخلوده ويتّبع طريق النور.

المخلصون كلهم يُولَدون من عذراء في اليوم الخامس والعشرين من كانون الأول لأنه في هذا اليوم تُولَد الشمس (حيث يحتفل العالَم الغربي ببداية السنة بعد أسبوع تماماً من هذا التوقيت) متجاوزة الانقلاب الشتوي عندما تبدأ بإنقاذ العالَم بحرارتها.

لدى الأديان كلها احتفالاتها وطقوسها من أجل تهيئة الشعب شيئاً فشيئاً لإدراك أسرار الألوهة الكامنة في الجنس. وأحد هذه الطقوس الأكثر إدهاشاً وقداسة هو عبادة الألوهة بأكل لحمها وشرب دمها على هيئة خبز مكرس (محمول باستدعاءات مقدّسة) ونبيذ مخمَّر، كانا يُخدمان من قِبَل كهنة لابسين ثياباً كهنوتية بيضاء، وكانوا يشاركون المسارَرين في المناولة المقدّسة.

إن استخدام عصير العنب أو عصير الثمار الغير مختمِرَة في الأسرار المقدّسة عوَضاً عن استخدام النبيذ المتخمِّر ليس سوى رمي هذه الأسرار إلى الرماد عند العبيد والضعفاء. وهذا مجلبة لانحطاط المجتمعات والكنائس لأنه تعهير للسر الإلهي. يمثل عصير العنب الغير مختمر الإنسان المادي قبل التجدّد. وعندما يتحول النبيذ المختمَر إلى روح – روح الحياة – المسيح الناري (مسيح الأمم). ويكون إذاك مادي على قدر ما هو روحي أيضاً. فالروح مزدوَج.

رمزياً، يتلقّى الإنسان هذا الروح المسيحاني، وينال الخلاص به. ويجب استخدام العصير المختمر في سر الإفخارستيا، وإلا فإنه يتحول إلى تجديف أو إلى تقليد هزلي وملعون، ويكون مجلبة للشقاق في الكنيسة.

كان تناول "جسد ودم الرب" في هذا الطقس الديني سراً غامضاً في كل أنحاء العالَمِ القديم، خصوصاً في القارة الغربية قبل اكتشاف الأميركا بمدّة طويلة جداً، فالمكسيكيون، والبيرويون كانوا يحتفلون به ويسمّونه "الاحتفال الأكثر قداسة".

عُثِرَ في قبور كثيرة على "أوزيريس النابت"، وفي بضعة لوحات كانت مومياء أوزيريس مغطاة ببذور الحنطة، وفي أخرى كانت المومياء محاطة بعرانيس الذرة. يقول "كتاب الموتى": "يأكل الناس لحمك". ثمّة صلاة سحرية في ورق البردي: "فليكن هذا النبيذ دم أوزيريس". وتم تمثيل أسرار أوزيريس من خلال كأس النبيذ والسنبلة، نبيذ وخبز الإفخارستيا. إيه نعم، فيسوع في عشائه السري لم يفعل شيئاً أكثر من قيامه بالقانون المقدّس للمُسارَرين، الذين يحوّلون الخبز والنبيذ إلى الجسد والدم الحقيقيين للبطل السراني الذي كان يحتفل بِقُدَّاسِه.

وفي الأسرار الإليوسية فالخبز يُمثِّل سيرس Ceres، إلهة الحنطة، والنبيذ يُمثِّل باخوس إله النبيذ الذي أعطى دمه للبشر لكي يتغذوا. يلقى الخبز والنبيذ عبادة لأنهما كانا يُعتبَران على أنهما جسد ودم، أي في الحقيقة الجوهر الحقيقي لآب وأم الحياة. يمثّل النبيذ إيزيس، العنصر الأنثوي، وكان الخبز في شكله الدائري رمزاً لأوزيريس، أي الآب الشمسي، المبدأ الذكوري. ومشاركة الاثنين معاً يعني أن الحياة المُجدِّدَة للخلق آتية.

وفي مهرجانات الربيع، كان الرجال والنساء يستخدمون زينة مُبهِجَة على ثيابهم وقبّعاتهم، وكانت هذه الاحتفالات تُعتبَر على أنها احتفالات قيامة الحياة والقدرة المُوَلِّدة للطبيعة. والأمر الأكثر مفاجأة هو أن ملكة السماء أو إلهة الحياة للجرمان والساكسون القدماء كان يُدعى فصحاً. وكان شهر نيسان مكرّساً لإكرامها. وكان من المعتاد أن يقدموا هدايا كالبيض الملوَّن في احتفال هذه الإلهة لأن البيض كان يُعتبَر شعاراً مقدّساً للقيامة. ومنذ أربعة آلاف سنة كان الكلدانيون يحتفلون بإلهة الربيع، ومُجدِّدَة الحياة، وملكة السماء عشتار أو الأفضل بـ"فصح عشتار".

كانت الديانات كلها تحتفل بقيامة إله (مجدّد الحياة). استعادة الشباب بعد الشيخوخة، وفيما بعد البقاء ثلاثة أيام في القبر. وفلكياً فهذه الأيام الثلاثة هي تمثيل للشهور الثلاثة للشتاء، حيث تفقد الشمس قدرتها، ويُحرَم العالَم من مانحة الحياة هذه. كريشنا، وبوذا، وزرادشت، وأوزيريس، وميترا، وحورس، وباخوس، وآتيس، كويتزالكوت Quetzalcoat، ومخلّصو العالَم كلهم، فبعد نزولهم للعالم الأدنى نهضوا في اليوم الثالث وصعدوا إلى السماء... وفي المسارة الداخلية يتوجَّب على المسارَر النزول

إلى العالم الأدنى خلال الثلاثة أيام من أجل اختيار جهة المساعدة التي يتوجّب عليه أن يتبعها.

موت أدونيس وقيامته (واسمه يعني السيد، والنور الإلهي، ومن هنا أتت تسمية أدوناي "Adonai") كان يُحتفَل بهما سنوياً في الربيع من قِبَل الآشوريين والبابليين والفينيقيين واليهود والشعوب الأخرى. والنبوءات كلها التي تتعلّق بيسوع تشير إلى ابن الله أو الفادي، أو ذلك الذي كان يجلس إلى يمين السيد، فهي إشارات بسيطة لهذا المخلص. تموز أو أدونيس وإلى محبوبته عشتار التي كان لديها عدّة أسماء مثل عشتروت وڤينوس وعشتورث وأسماء أخرى، وفقاً للغة البلد. ذلك أن تموز، وأدونيس، وإله النور فقد اتّخذته الشعوب وترسّخت عبادته كعادة دينية. وقصة الولادة والموت والقيامة تمّ القبول بها على أنها رمز لقيامة الروح أو افتداء البشرية ككل...

باختصار يخلِّص الجنس من خلال الخلق وتجديده. ومخلّصو العالَم كله هم رموز لـ"نار – نور" في الجنس، مُرمَّزان بدائياً في الشمس. وقبل ذلك كله تمّ العثور على السر الأعظم للنور الإلهي، وبواسطته الحصول على خلود الروح، أو التجدّد الروحي للإنسان بينما هو على قيد الحياة. لأنه إذا لم يحصل ذلك الآن وهنا، فلن يستطيع التوصل إليه عندما تغادر الروح إلى الماوراء.

# ديانة الڤيدا

"السماء هي أبتي، والأرض هي أمي. والآب يُخصِب أحشاء تلك التي هي زوجة وابنة". هكذا كان يغني الشاعر والكاهن الڤيدي منذ نحو الخمسة آلاف عاماً أمام مذبح النار.

بعد انتصار رام Ram على طغيان المرأة وكاهنة الدرويد التي كانت تحكم في تلك الأزمنة (انظر "علوم نشأة الكون" للدكتور آدوم Adoum)، حصلت له رؤية: لقد رأى كائناً سماوياً ذا جسد كان يشعّ مثل الشمس، ووجد نفسه في هيكل مفتوح ذي أعمدة ضخمة. وعِوَضاً عن الخسارة التي يتكبّدها في الأضحية، انتصب هناك مذبح، جانباً حيث كان محارب يمسك في يده اليمنى مشعلاً، وفي اليسرى كأساً. وقال للرام Ram وهو يبتسِم: "أنا مسرور معك يا رام Ram. هل ترى هذا المشعل؟ إنه النار المقدّسة للروح الإلهي. وهل ترى هذه الكأس؟ فهي كأس الحب والحياة. أعط المشعل للرجل والكأس للمرأة"... وعندما أمسك الرجل بيديه المشعل، وأمسكت المرأة بالكأس، اضطرم الاثنان بذاتهما على المذبح. وتجلّى كلاهما، وتألّقا مثل زوج وزوجة إلهيين. وفي الوقت نفسه، انتصبت أعمدة الهيكل باتجاه السماء المُحدّبَة وضاعت في القبّة السماوية. وقبل ابتعاد الكائن السماوي عن رام Ram أشار باتجاه الشرق".

ومنذ ذلك الحين توقّف رام Ram عن محاربة قبائل أوروبا، فقرّر أن يأخذ الأفضل من شعبه إلى مركز آسيا Ásia وأعلن لأتباعه أنه ينوي تأسيس عبادة النار المقدّسة، وأنه عازم على جلب السعادة للبشر. ألغى إلى الأبد الأضاحي البشرية، وألغى الابتهالات إلى الأسلاف، والتي هي ممارسات كانت تنتمي لكاهنات سفاكات للدماء (انظر "علوم نشأة

الكون" للدكتور أدوم Adoum) وأمر بأنه يتوجّب لطقس الزواج أن يكون نشيداً للعبادة جنباً للنار التي تطهِّر.

كانت نار المذبح المرئية رمزاً للنار السماوية الغير مرئية. وفيما بعد اختار الأفضل من عرقه وخرج من أوروبا Europa في بحث عن أراض جديدة، حيث يستطيع تأسيس قانون وعبادة النار الخلّاقَة. كان الثور شعار شعب السلت (شعوب تقطن في شمال أوروبا)، عدوّاً لرام Ram، وهذا الأخير اختار الحمَل كشعار له.

وفي النهاية، هاجر رام Ram مع شباب شعبه، وكان حنوناً تجاههم، وتوجَّه في قافلة عظيمة إلى مركز آسيا. وعلى امتداد القوقاز نحت على كل صخرة رأس حمَل. وساعدت العناية الإلهية رام Ram الذي فرَض على شعبه القانون الاجتماعي كتعبير عن القانون الإلهي، الذي كان مثل نور بالنسبة للفاتحين الأتراك الأصل. أسَّس رام Ram مدينة الـ Ver، وعلّمهم الزراعة بالبذور، وغرس الكروم. وأوجد الطبقات وفقاً للمهن وقسَّم الشعب إلى كهنة، ومحاربين، ومزارعين، وعمّال يدويين. وكافح العبودية والقتل، مؤكِّداً أن عبودية الإنسان للإنسان كانت مصدر الشرور كلها.

وحتى ذلك الوقت كان الرجل يعتبر المرأة عبدةً له أو كاهنة. وكانت هذه الأخيرة ساحرة فاتنة ومرعبة ذات وسطاء للوحي يتمتّعون بالقدرات الأكثر إيذاءً. وكانت متعدّدة الأزواج، وكانت تضحّي بالأزواج بقطع رؤوسهم على مذبح الدم، وبذريعة إرسالهم كرسل لها إلى العالَم الآخَر. فحوَّلَ رام Ram المرأة إلى كاهنة البيت، ومؤتمَنَة على النار المقدّسة، ومساوية للرجل، ويبتهلان معاً للنار الإلهية الخلّاقَة.

رسَّخَ رام Ram من أجل شعبه أربعة أعياد: تمّ تكريس الحب الزوجي للربيع، والشباب للصيف حيث كان يقدِّم خبز التضحية كثمرة تمّ حصادها من عمله خاصته، وفي الخريف كان يُحتفَل بعيد الآباء والأمّهات الذين كانوا يوزّعون فيه هدايا للأبناء، والعيد الأعظم والأكثر قداسة كان ذلك الذي ندعوه بعيد الميلاد: كانوا يحتفلون به فيضرمون النار بمحرقات تصاحبها أغان، ومن أجل الاحتفال بولادة السنة الشمسية مجدداً على الأرض، وإنبات الحياة في القلب، والابتهال إلى الشمس "الطفل" الحمَل المنتصِر من قِبَل الليل الأم.

قدَّس رام Ram العيد الأكثر سرانية للميلاد، أو للمواليد الجدد، ولثمار الحب التي حُمِلَ بها أثناء الربيع، ولأرواح الأسلاف الموتى، مكوِّناً على هذا النحو جسر ارتباط بين المرئي والغير مرئي. وكان هذا الاحتفال كوداع للأرواح المتوارية، وتحية سرانية لأولئك الذين يعودون للتجسّد من خلال الأمهات، ويُولَدون مجدّداً كأبناء.

سُمِّيَ هذا الشعب آريّاً أو ابن الشمس، وكان يحتفل بمحرقات ذلك العيد لولادة السنة مجدّداً. وعلى هذا النحو، كما قال زرادشت Zoroastro: "راما Rama هو زعيم الشعب، والملك الأكثر غنىً، ڤالميكي Valmiki، شاعر هندوسي يغني في أشعاره: "راما صاحب العينين الزرقاوين، كان معلِّم العالَم، وسيّد روحه، ومحبّ البشر، كان الأب – الأم لتابعيه. وهو عرف إعطاء الكائنات كلها شبكة الحب".

إيران، والهيملايا، والهند، بيض وصفر وزنوج، كانوا كلهم أتباعاً لرام، وفقاً لما ذكره زند – آڤستا Zend – Avesta. وكمسارَر يُمثِّله الموروث وهو

يقوم بجعل الينابيع تنبلِج بالماء في الصحراء. وغذَّىٰ الشعب بـالمِنّ، وشـفاه من عدوىٰ مرَضيَّة بواسطة نبتة تُدعَىٰ هـوم Hom أو أمومـوس Amomos. وهيمَنَ علىٰ كهنة السحر الأسـود أو الطقـس الأدنـىٰ مـن خـلال الـسحر الأسمىٰ لرام أو راما. ومعجزات راما Rama هي أكثر مـن أن تُحـصَىٰ أو أن تُحكَىٰ هنا. كان نظَرُه يسيطر علىٰ الأسود والأفاعي. وأخيراً قم بغزو سيلان حيث كان الملاذ الأخير لساحر أسود دُعِيَ راڤانا Ravana، بينما كـان هـذا الأخير يقوم بإمطار راما ببرَد ناري!!

الديانة التي تركها رام Ram لشعبه هي ديانة الـڤيدا التي تعني "معرفـة" أو "غنوص". وكتبهم المقدّسة هي الـڤيدا ولها قيمة ثلاثية:

١) الأناشيد اللامعة التي تُبلوِر العقيدة السرية للأديان الآريـة. وتملـك ديانة الـڤيدا حكمة عميقة للطبيعة (نسبة للمذهب الطبيعـي، وهـو يعتـبِر الطبيعـة أنهـا المبـدأ الأول) والروحانيـة (الاعتقـاد بوجـود الروح). وتُمارَس علىٰ النحو التالي: عنـد انـبلاج الفجـر يكـون ربّ الأسرة واقفاً أمام المذبَح المُشيَّد من الأرض، حيث تُشعَل النار فوقـه في قطعتين من الخشب (علىٰ شكل صليب). الأب هو كاهن وملـك التضحية في الوقت نفسه. وعندما ينبلِج الفجر "مثل امـرأة خارجـة لتوهـا مـن الحـمام"، فـالزعيم يـتلفّظ بابتهـال للفجـر، وللـشمس، ولأرواح الحيـاة. والأم، مـع الأبنـاء الـذين يـشاهدون الخدمـة الابتهالية، يُسكَب المشروب الروحي المختمِر في السوما Soma علىٰ إله النار أغني Ágni.

٢) تَعْتَبِر ديانة الـڤيدا أن المادة هي حجاب شفاف، ومن ورائـه تتحـرَّك القـوىٰ الإلهيـة. وهـذه القـوىٰ هـي موضـوع الابتهـال والعبـادة والشخصنة، ولكن من دون ألعوبة المجازات.

٣) الشمس هي القدرة الخلّاقَة للحياة، ولكن ما وراءهـا، توجـد قـدرة كلّية الخلق تُحرّك المجموعات الكوكبية كلها للكون. "الشمس هـي عينه، والسموات هي حواسه، وكان هو الذي بنىٰ السماء والأرض. وهو بنىٰ كل شيء وحافظ علىٰ كل شيء. يعرف كل شيء ويرىٰ كـل شيء، ومن أعالي السماء، حيث يملك في قصر من ألف بـاب: يميّـز الكل ويحكم علىٰ أفعال البـشر، إنـه رحـوم بالإنـسان الـذي يتـوب ويعاقب المذنب. النار الإلهية هي العامل الكوني". لـيس فقـط هـي النار الأرضية، ولا هي البرق أو الشمس، وطنه الحقيقي هو الـسماء الغير مرئية السرانية، مسكن النور الأبدي. وتصدر مـن هـذا النـور المبادئ الأولىٰ لكـل الأشـياء. وينابيعـه لانهائيـة. يتفـتَّح مـن قطعـة خشبية، حيث ينام مثل الجنين في الرحم، وعلىٰ النحـو نفـسه الـذي يولَد مثل "ابن الأمواج" أو مثل دوي الرعد. إنه البكر بـين الآلهـة، يُحتفَل به طقسياً علىٰ الأرض ويخدم هو قداسه في الشمس.

إن سوما Soma مشابهة للنار. إنها العصير المختمِر لغرسة، ويُـسكَب في فعل التضحية ضمن إراقات للآلِهَة. لديـه مثـل آغنـي Ágni وجـود سراني وغامض. (كتاب الـڤيدا)

إن الصقر رمز للبرق أو للنار خاصّـته الـذي عنـدما يهـبط عـلىٰ البـشر يجعلهم خالدين، يغذي، يتخلّل الغرسات، يُحيي بـذرة الحيوانـات، ويُلهِـم

الإنسان للعبادة. "ڤيشنو Vishnu وآغني Ágni، زوج لا ينفصِل صَعَدَ إلى الشمس وإلى النجوم".

آغني Ágni– النار وسوما Soma هما المبدآن الجوهريان للكون. آغني Ágni هو الذكوري الأزلي، الروح الصافي، سوما Soma هي الأنثوي الأزلي، وروح العالم، والجوهر السماوي، ورحم كل ما هو مرئي وغير مرئي، وهي الطبيعة أو المادة الدقيقة في تَشكُّلاتها اللامتناهية. الاتحاد الكامل لهذين الكائنين الاثنين يُشكِّل جوهر الله. يقوم الڤيديون بفعل نشكوني (نسبة إلى علم نشأة الكون) فعل تضحية مستديم. وهذا الكائن الأسمى يضحّي بنفسِه من أجل أن يأتي إلى الوجود بكل ما هو موجود. يقسُم نفسه لكي يخرج من الوحدة. وهذه التضحية هي النقطة الأساسية لوظائف الطبيعة كلها. (كتاب الڤيدا)

أعطى هذا المُعتقَد أصلاً لعقيدة السقطة (السقوط) من "الجنة" وفداء الأرواح الذي تمّ إيعازه إلى هرمس وأورفيوس Orfeu. وتأسسَت منه عقيدة الفعل الإلهي، المعلَنَة من خلال كريشنا، ومتمَّمَة فيما بعد من خلال يسوع.

التضحية للنار ومن "النار"، والدعاء، والابتهال، والطقوس كلها التي ترافق التضحية، قد تمّت ممارستها حتى أيامنا هذه من خلال أديان العالم كلها. والكاهن الڤيدي والبراهماني لديهما اعتقاد بأن الأسياد الغير مرئيين وأرواح الأسلاف يحضرون أثناء فعل التضحية من خلال النار، ومصحوباً بالأغاني الدينية والدعاءات.

"الإنسان، وفقاً للـڤيديين، لديه جزء خالد هو النـار. إنـه الـروح التـي تذهب معه وتعود معه". هذه بعبارات قليلـة عقيـدة الـتقمص، والعقيـدة الأساسية للبراهمانية والبوذيـة والأوزيـريين والأورفيـين، والفيثـاغورييين، والأفلاطونيين، والفينيقيين، والغنوصيين، والأديان الأخـرىٰ التـي تنـبض فيها روح الحقيقة. ناهيكم عن كون مؤمنيهـا يجهلـون سرّ الأسرار وأركـان الأركانات.

الجنس هو بذرة الأديان كلها. وكل ديانة لا تكون مُستنيرة بالنور الإلهي للجنس فهي ديانة ظلامية... رجعية ومتخلِّفَة.

# الديانة البراهمانية

كان لدىٰ الهند طقسين مختلفين: عبادة الله علىٰ هيئة ذكورية، أو طقس الشمس، وعبادته علىٰ هيئة أنثوية، أو طقس القمر. كان الطقس الشمسي يمنح إله الكون جنساً ذكورياً مع الموروثات القديمة كلها: علم النار الخلّاقَة المقدّسة، والعبادة والمعرفة الإيزوتيرية للإله الأعلىٰ، واحترام المرأة، وعبادة الأسلاف، والملوكية البطريركية.

أوعـز الطقـس القمـري للألوهـة جنـساً أنثويـاً، أو الطبيعـة، وفي أغلـب الأحيان، طبيعة عمياء، لا واعية في تجلّياتها العنيفة والمُرعِبَة. وكان هذا الطقس يمارس عبادة الأوثان، والسحر الأسود، وهيّـأ الظـروف لتعدّديـة الزوجـات. وصراع أبناء الشمس مع أولئك الذين يتّبعون القمر قد ألهـم بالملحمـة الهنديـة ذائعة الصيت، وتُدعَى بـ"المهاباهاراتا". ففي البداية انتـصر أبنـاء القمـر، لمـدّة طويلة، وانتصر روح الظلمات على النور. وبناءً على ذلك كـان لازم عـلى أبنـاء الشمس أن ينسحبوا إلى الأدغال النائية، وصار الكثير منهم نُسّاكاً. واتّحـدوا في جماعات وقبائلَ وحافظوا على التأويل السرّي لكتـب الــثـيدا. وتوصّـلوا إلى تطوير قوة الإرادة على نحـوٍ مُـدهِش. كـان صـوت ونظـرة الناسـك يُبعِـدان الأفاعي ويُهدِّئان النمور. وبدأ الملوك يخشون أولئك اليوغيين أو النـسَّاك لأنـه وكما يقول الشاعر: "لعنتهم تلاحِق المذنب حتى الجيل الثالث".

من حضن أخوية النسّاك تَوجَّب أن تَتَفتَّح ثورة القوة الروحية على القـوة الزمنية، وتلك التي للناسك على تلك التي للملك. وتجسَّد الفعل الإلهـي في رجل، وكان هذا أول المسحاء، البكر بين أبنـاء الله، وكـان ذاك هـو كريـشنا.

(تمثِّل المهابهاراتا والبهاغافادجيتاالموروث الشعبي والموروث الإسراري. يحكيان عن ولادة، وحياة وموت كريشنا، لمن يريدون التعمق في الموضوع).

إن يوم ولادة الشمس في الهند هو يوم الجَدَل. ويتبادل الناس الهدايا، ويزيِّنون بيوتهم ويهنّئون بعضَهم بعضاً. وكان الفارسيون القدماء يحتفِلون بهذا اليوم مثل ذلك اليوم الذي يحتفِلون بالسيد والمخلص ميترا Mitra. وكان المصريون القدماء يحتفلون بولادة المخلص حورس Hórus. وهكذا في كل أنحاء العالَم، فاليوم الخامس والعشرون من كانون الأول كان يُعتبَر على أنه اليوم الأكثر سعادة في العام لأنه كان يوم الأمل وانتصار الخير.

وحُمِلَ بكريشنا المخلص الهندي من الروح القدس من خلال العذراء ديڤاكي Deváki. وُلِدَ في الخامس والعشرين من كانون الأول في مغارة منذ ألف سنة قبل يسوع الناصري. وتمّ إدراك قدومه من خلال نجمة لامعة. وظهرت ملائكة وأرواح مرحة في السموات، وبشَّروا بقدومِه أولئك الفانين المرعوبين والمندهشين. أنبياء كبار، ورعاة بسطاء ركعوا أمام الصبي الإلهي. وإذاك أمر الطاغية كانسا Kansa بقتل كل الأطفال المولودين في مملكته خوفاً من هذا الملك حديث الولادة، المخلِّص، إلا أن هذا الأخير قد أفلت من هذه المذبحة.

وفيما بعد كان يسافر عبر البلد كله مصحوباً بتلاميذه، واعظاً بالسلام والخلاص، شافياً المرضى، والعرج، والصم، والعميان، لا بل حتى أنه كان يقيم الموتى. وبعد مطاردات كثيرة بسبب خيانة أحد تلاميذه قدَّمَ حياته كفّارةً عن معاصي العالَم، واجه الموت على الصليب، وأصبح الصلب شعاره المقدّس. (تقول أسطورة أخرى إنه مات على أثر إصابته بسهام أعدائه). وفي ساعة موته أظلمت الشمس، وسقط من السماء نار ورماد،

ومشى الأموات على الأرض مجدداً. ونزل إلى مسكن أرواح الموتى، ونهض في اليوم الثالث من بين الأموات، وصعد إلى السماء في جسد، وفقاً لنبوءتِه خاصته، وسوف يعود مجدّداً في اليوم الأخير للعالم، عندما تحين الساعة. وبمناسبة قدومِه تظلم الشمس والقمر، وترتجف الأرض وتتساقط النجوم من قبّة السماء. ما هذا؟ إذا لم يكن هذا السرد خاصاً بيسوع المسيح، فهو يخصّ كريشنا قبل المسيح بألف سنة.

يتمّ العثور على العقائد التي تركها كريشنا في الكتاب المدعو البهاغاڤادجيتا،الذي يعني "نشيد السيد"، وبعد سبع سنوات من النسك والتأمّل شعر بطبيعته الإلهية أنها تسيطر على طبيعته الأرضية، فتماهى مع شمس ماهاديڤا Mahadeva لكي يستحق لقب ابن الله.

إذاك دعا النسّاك الشيوخ والشباب لكي يُظهِر لهم عقيدته. آرجونا Arjuna، وهذا الأخير هو واحد من أولئك المتحدرين من سلالة الملوك الشمسيين، وكان ممتلئاً بالنار، وأصبح التلميذ الأكثر شغفاً بكريشنا. وبدأ المعلم يُظهِر لتلاميذِه الحقائق المتعذَّر الوصول إليها بالنسبة للناس الذين يحيون في عبودية حواسهم.

تتلخَّص هذه العقيدة على النحو التالي:

"الروح خالدة وتتقمّص وهي تتحد سرانياً بالله. والجسد هو المسكن المؤقّت للروح. الجسد محدود، إلا أن الروح التي تسكنه هي غير مرئية، وغير قابلة للقياس، ولا للفساد، وهي أبدية".

"الإنسان الأرضي هو ثالوث على مثال الألوهة التي هو انعكاس لها، وهو يتكوّن من الذكاء والروح والجسد".

"إذا ما اتّحدت الروح مع الذكاء، يمكنها وقتذاك بلوغ الحكمة والسلام، وإذا ما عاشت متذبذبةً بين الذكاء وأهواء الجسد، فإنها تعلق في حلقة مفرغة جهنمية، ولكنها إذا استسلمت كلياً للجسد، فإنهاتسقط في الجهل، وفي الموت المؤقت. وهذه هي عجلة السمسارا التي يمكن لكل إنسان أن يلاحظها في داخل ذاته. وتجد الروح نفسها معرَّضَة على نحوٍ غير معصوم لقانون "العود للتجسّد" – أي (التقمّص) – ويمكث في هذا القانون السر كله. وعندما يتمّ إبطال الجسد (مُسيطَر عليه)، والحكمة تهيمن، فالروح تحلق إلى مناطق الكائنات النقية التي هي على اتصال مع الكلي القدرة".

"من أجل الوصول إلى الكمال فلا غنى عن اكتساب علم الوحدة، ذلك أنه ضروري للارتقاء حتى الكائن الإلهي من حيث انبثقت الروح وهي موجودة داخل كل واحد منا. إنه طريق الخلاص الحقيقي".

"ليس كافياً أن نفعل الخير، بل من الضروري أن نكون طيبين. ويجب أن يكون حافز الطيبة ضمن الفعل في حدّ ذاته، لا من أجل ثماره. فمن الضرورة بمكان تقديمه للكائن الأسمى. فمن يعثر في ذاته على السعادة والنور فهو واحد مع الله، وتتحرّر روحه من عجلة الولادة والموت (التقمّص اللاواعي).

قال آرجونا: "أرنا المهاديفا Mahadeva"، وأجابه كريشنا: "إذا ما صعدت إلى السموات، ففي الوقت نفسه، يكون بهاء ألف شمس يشابه فقط لجزء أو شعاع من عظمة الكلي القدرة".

قصة ساراسفاتي Sarasvati، أختها نيشدالي Nichdali مساوية لقصة مريم المجدلية ومارتا. كانت ساراسفاتي خاطئة. وقالت لها أختها: "أنا أغفر لك، ولكن أخي لن يغفر لك أبداً. فقط كريشنا بمقدوره منحك الخلاص".

كان ابن الله جالساً أمام طاولة مأدبة في منزل أحد الزعماء، حينما طلبت المرأتان أن يُقدِّموهما للنبي. فتركوهما تدخلان بسبب فعل توبتهما. ركضت ساراسفاتي، وركعت عند قدمي كريشنا، وأخذت تغسلهما بدموعها وهي تقول له: "إذا شئت فبمقدورك أن تخلّصني". قال الراجاوات (جمع راجا وهو أمير هندي أو ملك من ملوك الهند): "لماذا يدَع قداسة الريشي هاتين المرأتين من الشعب تضجرانه بكلماتهما الحمقاء؟ أجابهم كريشنا: "دعوا

قلوبكم تلين. فهذه المرأة أكثر استحقاقاً منكم أنتم. لأن هذه المرأة تملك إيماناً، وتلك تملك حباً. ساراسڤاتي Saravasti فلتكن معاصيك مغفورة منذ هذه اللحظة لأنك آمنتِ بي... من الضرروري أن تتعرفي على أمي النيِّرَة التي تحيا في شمس ماهاديڤا فهي سوف تعلِّمك أسرار الحب الأزلي". ومنذ ذلك اليوم وهاتان الأختان تتبعان كريشنا في كل مكان.

حياة، وآلام وموت يسوع في الإنجيل إما هي نسخ عن حياة وموت كريشنا، أو تكرار رائع للأحداث نفسها مع اختلاف بالأمكنة والأسماء.

رسم كريشنا تلميذه آرجونا كملك متحدِّر من السلالة الشمسية، وخوَّل السلطة للكهنة لكي يكونوا مستشارين للملوك كما فعل يسوع مع بطرس.

بَيْدَ أن الأكثر إدهاشاً في عقيدة كريشنا هو رمزية الحروب بين الجيشين اللذين تجابها وجهاً لوجه في البلدة الجديدة التي بناها كريشنا ونسّاكه، وأطلق عليها تسمية دڤاركا Dvarka. وملوك الطقس القمري (الشر) ضدّ الطقس الشمسي (الخير). إذاك يسأل المعلم تلميذه الملك آرجونا بصرامة" "لماذا لم يتوَجَّب منذ بدء المعركة جعل أبناء الشمس ينتصرون؟" فيجيب آرجونا: "لم يكن ذلك ممكناً تحقيقه من دونك. انظر إلى هذين الجيشين الضخمين من الرجال الذين يقتتلون فيما بينهم...! أيُّ متعة سيكون بمقدوري اختبارها في قتل أعدائي؟ موتى هم الأشرار، والمعصية سوف تحلّ علينا. لا لن أقاتل".

"آرجونا، جسدك قد غلب روحك. أنت تبكي أولئك الذين لا يجب أن تبكيهم... الرجال المتدرّبون لا ينوحون أبداً لا الأحياء ولا الموتى... لطالما

أن الأبدي موجود في الأشياء كلها، وهو موجود أيضاً فوق الدمار. ستدوم الأجساد قليلاً أكثر، والروح المتجسّدة فيها هي أبدية، غير قابلة للدمار، ولا نهائية. الروح لا تقتل ولا تموت، ولا السيف بقادر على قطعها، ولا النار ولا الشعلة هما قادرتان على إحراقها، لا الماء ولا الرطوبة هما قادرتان على بلّها، ولا الهواء بقادر على تجفيفها... (البهاجاڤادجيتا)

وهكذا عندما أصبح كريشنا مُتيَقّناً من انتصار الروح على جيش الهوى المؤذي، انسحب إلى منسكته لكي يُهيِّئ نفسه للتضحية.

ما من أحد من تلاميذه توَصَّل للنفاذ إلى نواياه. فقط ساراسڤاتي وأختها نيشدالي Nichdali تمكّنتا من فكّ شيفرة نيّة المعلّم بسبب قوة الحب الموجودة عند النساء. قالت له ساراسڤاتي: "لا تتركنا يا معلّم"، وتابعت أختها نيشدالي: "أنا أعلم إلى أين أنت ذاهب، ولكننا أحببناك كثيراً، فدعنا نتبعك". أجاب كريشنا: "في ملكوتي لا يُرفض الحب، فتعالا".

وقال لتلاميذه في مناسبة أخرى: "إنه ضروري على ابن ماهاديڤا أن يموت مخترِقةً إياه السهام لكي يؤمن العالَم بكلمته".

"إشرح لنا هذا السر".

"سوف تفهمون ذلك بعد موتي. فلنصلِّ"

وقام المعلّم بوضوءات وأصوام لمدّة سبعة أيام، فتجلى وجهه وبدا شمساً نيِّرَة. وبعد سبعة أيام، وصل رماة السهام التابعين للملك كانسا Kansa، لكي يُمسكوا به. فأحاطتا به الامرأتان لكي تدافعا عن ذلك الكائن الربّاني الذي كان يجعل النمور والأفاعي تهرب منه بنظرة بسيطة: فركع عند شجرة أرز كبيرة، واستسلم لصلاته. وما من أحد كان بمقدوره

إخراجه من تأمّله. وإذاك ربطَه رماة السهام بشجرة وبدأوا بإطلاق سهامهم تجاهه. وعندما رأى السهم الأول وقد أصابه، فصرخ: "ڤاسيشتا Vasishta (كان اسم معلّمِه الذي سلَّمَه القدرة)، إن أبناء الشمس منتصِرون!"

وعندما تلقّى السهم الثاني قال: "أولئك الذين يحبّونني فليدخلوا معي في نورك". ومع تلقيه السهم الثالث، همْهَمَ فقط باسم "ماهاديڤا Mahadeva"، وبعد هذا الاسم بينما كان اسم "براهما Brahma" بين شفتيه أسلم الروح.

إذاك، احتجبت الشمس، واجتاح الأرض إعصاراً، وسقط ثلج هيماڤات Himavat على الوديان والسهول. فأظلمت السماء، وجرفت زوبعة سوداء الجبال. وهرب القتلة المذعورون، وهم مرتاعون، والامرأتان مجمّدتان من الرهبة ماتتا مع المعلّم، فرموا بهما في المحرقة لكي يجتمعا به.

ومنذ ذلك اليوم تبنّى قسم كبير من الهند عبادة ڤيشنو Vishnu، الذي صالح بين العبادتين "الشمسية" و"القمرية" في الديانة البراهمانية.

يعتقد كثيرون من الأوروبيين أن أسطورة كريشنا Krishna هي من الحكايا الخرافية التي تمّ تطبيقها على الأسطورة الشمسية. فلندع هؤلاء العلماء يتجادلون في ظلماتهم، ولنتطرَّق للعظائم الموجودة في البوذية، وليدة أسطورة كريشنا، وفقاً للعارفين الغربيين، المدعومين بدياناتهم... ذلك أن البوذية قد هيمنَت بالرغم من الاجتياحات المنغولية، وبعدهم البريطانيون. ولأول مرة فإن خلود الروح، والثالوث، والفعل الإلهي، والتقمّص، وفكرة الإله، والحقيقة، والجمال، والطيبة اللانهائية تنبعث مع كريشنا

Krishna. غزا كريشنا بعقيدته الخالدة آسيا وأوروبا. أما في بلاد فارس فكانت هناك عبادة ميترا Mitra المصالِح بين أهورمازد المضيء، وأهريمان المظلِم، وكانت هناك في مصر عبادة حورس Hórus، ابن أوزيريس وإيزيس، وفي اليونان كانت هناك عبادة أبولو Apolo إله الشمس والقيثارة. إنه ديونيسيوس Dionísio إله الخمرة، وهو إله وسيط. وأخيراً فالإله الحقيقي هو ذلك النور الغير موصوف، نور المسحاء. إنه النار – النور الخلّاق.

# الديانة البوذية

بوذا (يعني اسمه "الرجل السماوي")[1] وهو اسم ثلاثة مصلِحين،

1 – وفقاً لمعطياتنا فإن كلمة "بوذا" تعني الاستنارة... أي الكائن المستنير أو الكائن الذي بلغ الاستنارة، وقد تعني أيضاً "اليقظة الروحية" أي الكائن الذي استيقظ... بها بمعناه "اليقظة الروحية" فبالنسبة للعلوم الروحية كلنا في حالة تشبه النوم، نوم الوعي، ونتصرف على نحو آلي من خلال الفكر... الخ، ونتصرّف على نحو واع بضعة لحظات فقط، وثمّ ننساها... ونغوص في غفلة الوعي، وقد تطور عن البوذية بوذية الزن أيضاً تناساها صديقنا جورج علماً أن لها أهميتها ومكانتها في اليابان... ثم قصة البوذا الأخير أي الغوتاما بوذا حتى اسمه سيدهارتا لم يتطرق إليه المؤلف، والقصة الشهيرة حول نبوءة العرّاف حوله وخشية أبيه من تحقّق النبوءة التي كانت تقول إنه سيكون أحد اثنين إمّا قائداً عسكرياً يغزو مناطق هائلة ويوسع مملكته أو يصبح حكيماً ويترك القصر، فخشي عليه والده فزوّجه إلى أن قرر الابن الأمير المتزوج وينعم بالقصر بكل شيء ولا ينقصه شيء رؤية ما خارج القصر وفقاً للموروث البوذي فرأى أولاً رجلاً عجوزاً فعرف من خلاله الشيخوخة، ثم رأى رجلاً مريضاً فعرف من خلاله المرض ثمّ رأى رجلاً فقيراً متسوّلاً فعرف الفقر وأخيراً رأى كائناً يرتدي لباساً أرجوانياً، فسأل عنه قال سائقه إنه "ناسك"... هنا استيقظ النمر الذي كان في سبات وذهب إلى الغابة يستغرق في التأمّل حول ما رأى وحول معاناة الإنسان والسبيل لإنهائها، إلا أنه ولفرط تقشّفه كاد يصبح هيكلاً عظمياً عندما اقترب من ينبوع ماء ليشرب فرأى فتاة تقدّم له شيئاً من الطعام وفي هذه اللحظة أشرقت في داخله فكرة "الطريق الوسطى" التي أصبحت منهجه لكي يحافظ على جسده فقلّل من حدّة التقشف والزهد إلى أن أتته الرؤية تحت شجرة

ذكراهم له توقيره عند الهنود كألوهيات تتحدث عن حقب متأسِّسَة على الكواكب أو المجرّات المُشخصنة من خلال وجوه صعبة الفهم. ويعتقد الهنود بأن بوذا نزل إلى الأرض لمساعدة الإنسان في وصوله للكمال. وهو يعمل على أن يستطيع فيما بعد أن يكوِّن مع الإنسانية وحدة كاملة لا غير. ووفقاً للموروث فقد مات بوذا على الصليب[1]، ولذلك فالهنود يقدِّسون

---

البودهي الشهيرة... وإذاك انطلق يبشِّر بعقيدته التي تهدف إلى تخليص الإنسان من المعاناة والألم وانعتاقه من عجلة الولادة والموت أي عجلة التقمّص.. وتحقيقه الاستنارة الروحية واليقظة الداخلية، ومنذ ذلك الوقت انتشرت البوذية في أنحاء العالم وتطوّرت منها مدارس عديدة ذكرنا أشهرها وهي مدرسة "الزن" ولعل أيضاً نمت شهرة الكثير من الرهبان البوذيين مثل مهاكاشياب وبودهي مؤسّس الزن وسواهما... لا أدري لماذا أغفل صديقنا جورج أدوم الموروث الأصلي لهذه الديانة ويعود إلى فكرة واحدة يريد من خلالها إلباس العقائد كلها لباس المسيحية وعقيدتها... أتساءل كمترجم: هل كان صديقنا جورج متعصّباً لمعتقده المسيحي؟؟؟ وأتساءل لماذا أغفل مثلاً: الإسلام؟؟؟ وهو ديانة شغلت مساحة واسعة من العالم وظهر منها رافد هو التشيّع والتشيّع الإسماعيلي الباطني، وغيره... ربما هذا يحتاج إلى كتاب آخر للإجابة عنه، خصوصاً أنه ليس بوسعنا ما أتى به التصوّف الإسلامي من خلال أعلامه مثل مولانا جلال الدين الرومي والشيخ الأكبر محي الدين بن عربي، وفي بدايات إرهاصاته على يد الشيخ الجنيد ثم السهروردي المقتول وهناك علَم كبير آخر هو: "الحلاج"!! وأخيراً وليس آخراً لعل الفلسفة الرشدية لها مكانتها في سياق ما أنتجه الإسلام من روحانيّات وفلسفات وأدب وحضارة... (المترجم)

1 – أعود وأكرّر ينالني العجب من الكاتب جورج الياس أدوم ذكره على أن بوذا مات على الصليب رغم قراءاتي العديدة للكثير من البوذيين وعلى رأسهم الدالاي لاما

هذا الرمز الذي يشير إلى الحكم بالإعدام. (لطالما أن المسارَرين يقدِّسونه كرمز للتجدّد الروحي). وعلى الأرجح أن البوذا الأول قد تواجد نحو الخمسة آلاف وخمسمائة سنة قبل حقبتنا هذه. أما البوذا الثاني، ويُدعَى بوذا – شاوكاسام Budha – Chaucassam فقد عاش ما بين ٣٢٠٠ و٣١٠٠ قبل الحقبة المسيحية وكان مؤسس العقيدة المحتواة في الباهغوت – غوتا Bahgout – Goutta. ويُعتبَر هذا المصطلَح تجسداً للكائن الأعظم، وفي الوقت نفسه، وسيط ومُكفِّر عن جرائم الناس. والبوذا غوناغون – Budha Gonagon الذي عاش في عام ١٣٦٦ قبل المسيح. وهو مصلِح مؤلَّه بالتجسّد الثالث للألوهة.

---

والأوشو. فما من أحد ذكر في أعماله حتى التانترا البوذية، على أن بوذا مات على الصليب، كان حريّ هنا بالكاتب أن يذكر شخصاً في البوذية قريب جداً من شخص المسيح هو البودهيساتفا الذي تنزل من أناملـه قطرات مفعمة بالنكتار معونة لمن هم في الجحيم فالبودهيساتفا كائن كلّي الرحمة وهو كائن يرفض الدخول في النيرفانا أي الجنة بمصطلحاتنا العربية، لسبب واحد هو أن هناك من لا يزال يعاني على الأرض وبالتالي عليه الاستمرار بالتناسخ لمساعدة هؤلاء الكائنات، ومعونتها في بلوغ الاستنارة والموكشا أي الانعتاق. وثمّة البعض يذهب إلى ما هو أبعد ويقول أن المسيح هو واحد من هؤلاء البودهيساتفا الذي كان المجوس الثلاثة على علم بتناسخه في شخص يسوع من خلال قراءتهم للأفلاك وأتوا بعد رحلة طويلة حتى وصلوا إلى الصبي الإلهي يسوع فننتقل هنا إلى الرواية المسيحية للموروث. (المترجم)

غوتاما بوذا Budha – Gautama فيلسوف عميق، مؤلف الغاندسور Gandsourالذي يحتوي على عقائده وتعاليمه. مؤلَّه بالتجسّد الرابع للإله. وُلِدَ نحو عام ٦٠٧ قبل الميلاد. ووفقاً للموروثات فقد نزل بوذا من السماء إلى بطن مالهامايا Malhamaia. ابنة أو أخت سودهودانا Sudhodana. وحمَلَت به من دون أن تفقد عذريّتها، مانحة له النور عند تمام العشرة شهور من دون أن تشعر بأيّ وجع. وُلِدَ عند جذع شجرة، ولم يلمس الأرض لأن براهما الذي كان هناك ينتظر قدومه إلى العالَم، تلقّى إيّاه على صينية ذهبية. شاهد ميلاده آلهة كثيرون متجسّدون، والمانوات (جمع مانو). والحكماء البيانديون فأطلقوا عليه اسم ديريتا – ديرا Dereta – Dera الذي يعني "إله الآلهة". والملك سودهودانا Sudhodana قلِق إزاء ولادته، فقرر قتله. ولذلك أمر بقتل كل الذكور المولودين في ذلك الوقت. فخلَّصَه الرعاة

واقتادوه إلى الصحراء، حيث عاش حتى الثلاثين من عمره. إلا أنها توجد أسطورة أخرى تقول إن بوذا عاش من دون خطر إلى جانب عائلته الملوكية، ودرس بتقدّم لا يُصدَّق، وتزوج بأميرة من سلالته، وأنجب منها ابناً وابنة. وأخيراً تملَّكَه حبٌّ شديد للإنسانيّة متأثِّراً بالأوجاع التي تصيب أمثاله. فامتلأ رغبة لافتدائهم وتحريرهم من عذابات كهذه، وذات يوم غادر قصره منسحباً إلى الصحراء حيث بدأ رسالته الإلهية في تعليم البشر على أن يتحرّروا من الجهل. وهناك تمّت سيامته كاهناً وحلق شعر رأسه من دون أن تبقى شعرة واحدة على رأسه. وعاش خلال سنوات طويلة مستسلماً لحياة ممتلئة بالحرمان وفي صحبته خمسة من تلاميذه النخبة.

وذات يوم توصّل إلى الاستنارة بعد ذلك التقشُّف، وبدَّلَ اسمه من سيدهارتا إلى غوتاما Gautama. وبدأ الوعظ بعقيدته المقدّسة وهو يُعلّم القانون للبشر. وبعدما حقّق المعجزات الأكثر إدهاشاً تغلّب على الحكماء الزائفين، ليس فقط من خلال علمه وإنما من خلال قوّته، وأجبرهم على الخضوع له، وتقديم الإكرام إليه. وكانت عقيدته استمراراً وتنفيذاً لعقيدة كريشنا[1] فسادت عقيدته حتى أصبحت هي المنتصِرَة في كل بلاد الهند

1 – وهنا أيضاً أستغرب قول المؤلف أن البوذية هي استمرار للهندوسية ذلك أن غوتاما بوذا حقّق ثورة في الأوساط الهندوسية أي مؤسسها راما وبعده كريشنا، حيث نجد في الهندوسية النظام الصارم للطبقات التي تبدأ بأرفعها وهي طبقة البراهمان وتنتهي بطبقة الكشاتريا أي المحاربين، ثم توجد طبقة المنبوذين وهي الطبقة الموجودة فقط لتخدم أسيادها من الطبقات الأخرى كالبراهمان وصولاً للكشاتريا وهذه كارثة روحية في حدّ ذاتها ثار عليها غوتاما بوذا وألغاها، وحاول تحرير الدين الذي أصبح لصيق الشعائر في الهندوسية والتركيز على الحياة الروحية الداخلية من تأمّل مستمر

(إندوستاو Industao). وعند موته ترك لتلاميذه الـ"إنجيل" الذي يحتوي على عقيدته.

ونتّخذ منه ما يلي:

"من يترك أباه وأمه لكي يتبعني سوف يكون إنساناً كاملاً سماوياً"

"من يطبِّق تعاليمي حتى الدرجة الرابعة من الكمال يكتسب ملَكَةَ الطيران عبر الهواء ويجعل السماء والأرض تتحرّكان، ويمدِّد أو ينقص من طول حياته".

"الإنسان السماوي يحتقر الغنى ويستخدم فقط الأكثر ضرورة حصرياً، يُميت جسمه، ويغلب أهواءه، لا يرغب، ولا يتعلّق بأي شيء، ويتأمّل من دون توقف في عقيدتي، ويعاني بصبر من الإهانات، ولا يشعر إطلاقاً بأدنى كراهية للقريب".

"الأرض والسماء تزولان، احتقروا جسدكم المُكوَّن من العناصر الأربعة الزائلة ولا تعتنوا إلا بروحكم التي هي وحدها خالدة".

"لا تصغوا إلى غرائز اللحم، والأهواء تُنتِج الرعب والكرب، أخمدوها ودمِّروها".

---

وهكذا نستطيع القول إن فن التأمل نبع من المدارس البوذية على اختلاف مشاربها، كما أن البوذا ثار على فكرة التناسخ عند الهندوس، وقال إن الإنسان يتناسخ إنساناً ولا يمكن للإنسان أن يتناسخ حيواناً أو كائناً أياً كان، لأن طاقة الإنسان لا تحويها إلا جسد إنسان. وبالتالي من الجدير بالذكر أن البوذية ثورة على الهندوسية في كل مستوياتها وإصلاح هائل للخلل الذي أحدثته في الحياة الروحية للإنسان والمعتقدات الباطلة. ثم أتى غاندي من الأوساط الهندوسية نفسها وهذا الأخير عمل كل حياته على إنهاء وجود طبقة المنبوذين من المجتمع الهندي.

"إن كل من يموت من دون اعتناق ديانتي سيعود للعيش بين الناس حتىٰ يحصل علىٰ الإدراك".

"أحبّوا كل كائن حي"

كانت عقائد خلود الروح، والرحمات، والمكافآت المستقبلية، والتقمّص، والوحدة مع الله، وثالوث طبيعته وصفاته، وتجسد الكائن الأسمىٰ والفداء عن المعاصي الإنسانية. فالبوذية هي واحدة من أعظم أديان العالَم الحالي. وتملأ معابدها الهند، والصين، وتايلاند، وأماكن أخرىٰ كثيرة. يُمثَّل بوذا في عدّة أشكال، إلا أن الأكثر شهرة هي تلك التي تُستخدَم لفعل التأمل، عارياً، وذا جسد أسود وبشعر قصير ومجعَّد، الذي هو في الحقيقة ليس المقصود منه "شعر رأسه" حرفياً ذلك أنه كان قد حلق شعر رأسه كله. وبالتالي فالمقصود من وجود ذلك الشعر المجرّد هو رمزية نمو المركز المغناطيسي (الشاكرا) ذي الألف بتلة...

يتأسَّس التعليم الإيزوتيري للبوذية علىٰ تطوير أو إيقاظ الكونداليني Kundalini أو الثعبان الناري داخل كل كائن، وذلك بواسطة العفّة، ولذلك يُنصَح ألا تمنح إصغاءك لغرائز اللحم. والهالة التي تحيط برأس البوذا فهي تبدو من أول نظرة كشعر قصير ومجعّد، إنه أثر الانتقال من الطاقة الخلّاقَة للنار إلىٰ نور أو شعلة مقدّسة تحيط برأس القدّيسين كلهم الذين توصّلوا إلىٰ تحويل المعدن الأدنىٰ إلىٰ أسمىٰ وفقاً لتعبير الخيميائيين.

الفكرة التي مفادها أن الله هو الحقيقة، والجمال، والطيبة اللانهائية تتجلىٰ في الإنسان الواعي مع قدرة يتمتّع بها لمنح الخلاص للآخرين، وينهض حتىٰ السماء بقوة الحب والتضحية. وهذه الفكرة الخصبة بين الأديان كلها

انبعثت لأول مرّة مع كريشنا الذي أظهر فكـرة الفعـل الإلهـي المكـوَّن مـن اللحم واستمر يتجسد في الديانات الأخرىٰ كلها، حتىٰ في الأواخر المتقدمة لحقبتنا. ولهذا نرىٰ الفكرة نفسها في بلاد فارس، متجسدةً مرة ثانية في ميـترا Mitra وفي مصر في حورس Hórus، وفي اليونان في أبولـو Apolo وفي الهنـد في البوذاوات... الخ. وهؤلاء المصلِحون كلهم أو تجسّد الألوهة هـي رمـز النار الإلهية التي نزلت علىٰ الناس.

# عقيدة الكتاب المقدّس

لدىٰ كل مؤسِّس دين شخصيّتان: واحدة سرانية وأخرىٰ تاريخية. ولذلك نرىٰ أنه حول كل مؤسّس أو مصلِح يُنسَج دوماً لباسٌ أسطوريٌّ من حيث تلمع نقاط الحقيقة المضيئة. جميعهم يولَدون من عذراء وفقاً لما تمّ شرحه، وعلىٰ هذا النحو يتوجّب علىٰ كل مخلِّص أن يحاكي في حياته مبادئ القانون الكوني. فالشمس علىٰ أنها آب، والأرض علىٰ أنها أم، والحياة التي تتفتّح من خلال اتحاد الآب مع الأم العذراء، هي الفعل الابن المكوّن من لحم ودم، والذي يسكن فينا لكي يخلّصنا.

يجعل سرد الكتاب المقدّس موسى Moisés يهودياً من قبيلة لاوي Levi. مُنتحِلاً قصة أسرهودان Asserhudan نفسها، والذي تمّ إنقاذه من الماء من قِبَل ابنة ملك، فسجَّلوا بأن موسى تمّ أخذه من قِبَل ابنة فرعون عندما كانت هذه الأخيرة تستحمّ في مياه النيل. وأمور غير معقولة كهذه لا يمكن قبولها أكثر بسبب عقلانية واضحة، ذلك أنه من غير الممكن الاستحمام في نهر النيل لأنه مليء بالتماسيح، فضلاً عن ذلك، فإن مجلس فرعون يُعثَر عليه على بُعدِ أكثر من ثلاثمائة كيلومتراً عن ضفة النهر. مانتهون Manethon كاهن مصري، ندين إليه بالمعلومات الأكثر دقّة حول سلالات الفراعنة، فهو يؤكّد أن موسى كان كاهناً لأوزيريس. إستراباو Estrabão الذي كان يملك معلومات الكهنة المصريين نفسها، يؤكِّد أيضاً ما قلناه لتوِّنا. إذن، فالمصدر المصري لموسى لديه هنا قيمة أكبر من المصدر اليهودي، والذي بسبب مسألة القومية شاء هذا المصدر الأخير أن يكون مؤسّس أمّته رجلاً من الدم نفسه. والحقيقة أن مسارة موسى قد تمّت في العلم المصري. ويؤكّد الكتاب المقدّس أن موسى قد تثقّف في قصر فرعون، وتم إرساله من قِبَل حكومته لكي يكون مراقباً لليهود.

أحسَّ كاهن أوزيريس بتعاطف سرّي تجاه هؤلاء الكائنات ذوي "الرقبة الصلبة"، وكان يعلِّمهم القدماء عبادة إله واحد، وكانوا يتمرّدون في العمل ويحتجّون على حُكّامِهم لأنّهم يعتبِرون أنفسهم شعب الله المختار. وذات يوم رأى موسى جندياً مصرياً يسيء معاملة يهودي أعزل، فثار الغضب في قلبه وقتل موسى الجندي في اللحظة نفسها، وهكذا غيَّر هذا الفعل من مسار حياته كلها.

تم الحكم على الكاهن القاتل من قِبَل المدرسة الكهنوتية فأحسّ باقتراب الخطر، وهرب إلى الصحراء لكي يكفِّر عن جريمته. وصل إلى مديان في شبه الجزيرة العربية حيث كان هناك معبد لأجل عبادة الله الواحد، يُدعَى إلوهيم Elohim. وأصل هذا المزار بابلي كان يُفيد بكونه مركزاً دينياً للعرب الهاربين من مطاردة الفاتحين الجديدين لبابل. وتمّ العثور على هذا المعبد في سيناء، ولاذ فيه موسى.

كان يثرون حميه Jetro كبير الكهنة (رعوئيل Raguel ويعني "الذي يسهَر على الله") وكان رجلاً عارفاً: في ذاكرته وفي مكتبات معبده الحجرية عُثِرَ على كنوز متراكمة من العلم. وكان يحمي أناس الصحراء، باعتباره صنفاً من الأب الروحي تجاه أولئك الكائنات الخطأة والأحرار. ذهب موسى إليه وطلب منه اللجوء باسم إلوهيم – أوزيريس. وفيما بعد، أمضى بضعة أعوام وهو يعتني بقطعان ماشية كبير الكهنة، وتزوّج من إحدى بناته السبعة. هذه هي السيرة الدنيوية لرجل يُدعَى موسى وفقاً للكتاب المقدّس، ذلك الذي وفقاً للترجمات الإثيوبية والكلدانية التي عُثِرَ عليها في المعبد. يمكنه التأمّل بما كان قد تعلمه في المزارات المصرية. وفي بيت يثرون حميه Jetro عُثِرَ على كتابين في علم نشأة الكون: حروب يهوه وأجيال آدم ذات دراسة تكرست لهما. وأراد محاكاة أولئك الذين سبقوه مثل راما، وكريشنا، وهرمس، وزرادشت وفو – هي بدأ بتكوين ديانة فكان سفر بيريشيت Sepher Bereshit أو كتاب المبادئ. وهو تركيب مُركَّز للعلم السابق، وإطار أساسي للعلم المُقبِل.

يؤكِّد عارفون حديثون كثر أن "سفر التكوين" ليس من عمل موسى (ولديهم حق) ذلك أنه وفقاً للكهنة الحديثين في عدّة أماكن من الكوكب،

فقد أُثبِتَ أن "سفر التكوين" قد تمت كتابته منذ آلاف السنين قبل موسى. ويُنكِر آخرون وجوده (أي وجود موسى) ويقولون إنه لا يتعدَّى كونه كائناً أسطورياً تمّ إبداعه مؤخّراً بعد أربعة أو خمسة قرون من قِبَل كاهن يهودي لكي يُعطي أصلاً إلهياً لديانته. أظهر النقد الحديث بوضوح أن السفر تمّت كتابته على الأقل بعد موت موسى بأربعمئة سنة. وفي الحقيقة، فإن أسفار موسى الخمسة تعطينا سرداً أسطورياً لحياة موسى، ولكن هذا لا يعني أن موسى التاريخي لم يكن موجوداً، على النحو كما لو أن الموروثات الإلوهيم واليهوية قد تمت كتابتها بعد أربعمائة سنة للسبي، ولا يُفهَم أنهم مبدعو "سفر التكوين" بل أنهم لجأوا إلى وثيقة سابقة فهموها بشكل سيئ.

لدى الكهنة المصريون ثلاث طرق للتعبير عن أفكارهم: كانت الأولى واضحة وبسيطة، والثانية رمزية وتصويرية، والثالثة مقدّسة وصعبة الفهم. ولدى الكلمة نفسها بالنسبة لهم معنى خاص، المعنى المصوَّر والتجاوزي، ذلك أن سفر موسى تمت كتابته في هذه اللغة المتعالية كونه مستحيلاً أن يُفهَم المعنيان الاثنان من دون مفتاح لهما، على رغم ما يقوله لاهوتيو الطوائف الناشئة عن اليهودية والمسيحية (راجع أعمال الدكتور جورج أدوم: شعب ألف ليلة وليلة El pueblo de las mil y una noches وسفر التكوين معاد صياغته). كتب موسى "التكوين" بلغة صعبة الفهم، وبثلاثة معان، وأودع مفاتيحها شفهياً، وتفسيراتها لخلفائه؛ وفي هذه الأثناء، ترجموا "التكوين" مؤخّراً في هيكل سليمان في حروف فينيقية، وأيضاً بعد الأسر البابلي عندما تمت كتابته في أحرف آرامية وكلدانية، فالكاهن العبري لم يكن يتحكَّم أكثر بتلك المفاتيح. والرجل الوحيد الذي أعاد صياغة علم نشأة

الكون عند موسىٰ هو عبقري في هذه الأيام علىٰ وشك نسيانه، يُـدعَىٰ فـابر دوليڤـت Fabre D'Olivet الـذي كتـب اللغـة العبريّـة معـادة La languehébraique restitué، وعلىٰ هذا النحو يمكن إحياء بعـض الفـصول من التكوين (انظر "التكوين" معاد صياغته للدكتور جورج أدوم).

ونحن نحلِّل، ناهيكم سطحياً، الديانة التـي تركهـا موسـىٰ، نـرىٰ أنهـا تتناول نـسخة دقيقـة عـن تلـك التـي تعـود إلىٰ هـرمس، وحـول إيـزيس وأوزيريس. وفقاً للعلم الهرمسي، لدىٰ إيزيس ثلاثة معان مختلفة، في المعنىٰ الخاص هي المرأة أو النوع الأنثوي للكـون. وفي المعنىٰ المقـارَن تشخـصن الطبيعة الأرضية بكل كموناتها المدرَكَة، وفي المعنىٰ المُبالَغ فيه، فهي الطبيعـة السماوية الغير مرئية، أو عنصر النفوس والأرواح، والنور الروحاني والجـلي لذاتها. والذي يُمنَح للمُسارَر.

الرمز الذي يناسب إيزيس في نص "التكوين" وفي العقلانية اليهودية – المسيحية يكمن في إيڤا (حواء)، المرأة الأزلية. وحواء هذه ليست فقط امرأة آدم، وإنما هي أيضاً زوجة الرب. وإذا ما لاحظنا اسم Jehova أي يهوه هـو Ieva، ويتكوّن من السابقة YOD اللاحِقَة EVA.

ههنا نكتشف سرّ الجنس علىٰ قاعدة الديانة اليهودية – المسيحية. وكـان كبير كهنة القدس ينطق مرّة واحدة في العام بالاسـم الإلهـي، وهـو ينـشده حرفاً حرفاً علىٰ الطريقة التالية: YOD-HÉ-UHU-HÉ. يعبّر الحـرف الأول عن الفكرة الإلهية، وعلم أنساب الآلهة (طبيعـة الطبيعـة Natura naturata) وفقاً لاسبينوزا، فالأحرف الثلاثة لاسم إيـڤا EVA، هـي القـوانين الثلاثـة للطبيعة (a natura – naturata) لاسبينوزا. فاللاموصوف يحتوي في حضنه

العميق الذكوري الأزلي والأنثوي الأزلي. ومن اتحادهما غير القابل للانفكاك تنتج قدرته الأزلية والسرانية. يعادل حرف YOD العدد ١٠، وهو عدد 10=4+1+4+1 :A-D-Ã-O، مُمَثِّلاً الحرف I أو YOD والذي يعني الفالوس وهو منتصِب. EVA تُدعَىٰ أيضاً عائشة Aisha، أو أنها أمّ الحياة، متّحدة بـYOD (الفالوس) يشكلان Ieva، وهكذا نرىٰ أن أمّ الحياة في جوهرها تشكّل ثلاثة أرباع الاسم الإلهي Ieva (يهوه) الاسم الغامض: الذكوري متّحد مع الأنثوي، والله متّحد مع الطبيعة، وأوزيريس مع إيزيس، والرجل مع المرأة، لكي يلِدا الفعل. وبالتالي فهذا كله يُظهِر ديانة الجنس الإلهي، سرّ النار، التي هي علّة الحياة كلّها. وهكذا فالمرأة تتحوّل إلىٰ زوجة الله، وأمّ الله، وابنة الله.

ثعبان "سفر التكوين" المدعو ناهاش Nahash يعني "الحياة الكونية عندما تكون في دائرة". النور النجمي هو عامل سحري لهذه الحياة الكونية. وهناك أيضاً معنىً آخر، أكثر عمقاً: ناهاش Nahash هو القوة التي تدفع هذه الحياة إلى الحركة، انجذاب جسد إلى جسد آخر. يسمّونه اليونانيون بالإيروس، فهذا هو الحبّ أو الرغبة.

وعلى هذا النحو، فالخطيئة الأصلية تتحوّل إلى لولب (حلزون) واسع للطبيعة الإلهية، والكونية، مع ممالكه، وأنواعه، وأصنافه ضمن دائرة عظيمة. ولا يمكن تجنّب الحياة فيها. بالنتيجة، كان السقوط الرمزي قانوناً ضرورياً من أجل التطوّر اللانهائي للكون... ومن هذين المثالين لـ"التكوين" نرىٰ أن المعنىٰ الخفي في علم نشأة الكون بالنسبة للمسارَر، بينما هو بالنسبة للدنيوي ليس أكثر من وصف لحياة رجل وامرأة. إن سفر Sepher موسىٰ ليس سيرة دنيوية، وإنما سيرة تطور النفس الذي يمنح تفسيره في مظهره الداخلي. لم يكتشف العلم القديم إطلاقاً بأن الحياة هي كل شيء، فكل شيء موهوب بذكاء، وروح، وإرادة. وهكذا مثلما هو الأمر

في الجسد الإنساني فالحركات فيه تُترجَم من خلال روح غير مرئية وغير منهزِمَة، فهكذا هو الأمر أيضاً في الكون حيث الحركات كلها ليست أكثر من إعادة مسيرة قانون غير مرئي.

تعنيكلمة إلوهيم "إله الآلهة" أو "Ele-Eles" لأن الكلمة "El" "إيل" كانت تميّز الله دائماً، كما هو الأمر في بابل Babel "بيت الله" أو "باب الله"، وهذا الإيلوهيم (الله) قال: "ليكن نور" فكان نور. يذكر الأصل RouaElohimAuor وتعني "نفخ إلوهيم نوراً" أو، في أربعة كلمات من نفَس Ele-Eles. وُجِدَ نور التجلي. لكلمة "نَفَس" تناسب aRoua أو الروح الذي من هناك يأتي الزفير، والتنفس، والزفير والشهيق، الخ. والحال هذه، جيد جداً، فإذا عكسنا الكلمة Roua التي تعني روح، لكان لدينا (نور) Auor. النفَس الإلهي وهو عائد إلى ذاته يخلق النور الجلي. (ههنا يبدأ سرّ التنفّس...).

تكلّمنا حتى الآن عن موسى وفقاً للسيرة، والآن سنتناول موسى وفقاً للأسطورة. تكمن الأسطورة الأولى في شعلة حوريب، ومحادثته مع الله الذي أراد أن يعيد إخراج شعبه المختار من مصر. "الله لم يره أحد قط" هكذا قال يسوع. وبالنتيجة، فإذا كان الله هو خالِق الشعوب كلها، فهو ليس لديه الحق باختيار شعب على أنه خاصّته، وتركه الشعوب الأخرى. ههنا تبدو عزيمة المؤلِّف الآخَر "للتكوين" بإيعازه لعرقه صداقة الله. بيد أن إذا ما نزعنا الأسطورة من ثيابها الخيالية، فسيلمع النور الأزلي الذي يسكن في كل كائن. والأسطورة الثانية هي تلك التي تحكي عن اللعنات التي حلّت على مصر. وبالتالي، فالخروج وشطر ماء البحر الأحمر، وموت

فرعون وجيشه غرقاً في البحر. وعلى هذا النحو نرى عجائب كثيرة تمّت على يد موسى، محاكياً الآلهة القدماء. وشعب إسرائيل لم يتوصّل إطلاقاً للاعتقاد بشكل محدد بإله واحد فقط، على الرغم من التوحيد الذي أراد موسى غرسه في قلوبهم. وعلى هذا فقد كانوا يقدمون أضاحياً بشرية لآلهتهم. وموسى وأخوه هارون عملا على إزالة كل الأوساخ القديمة من القلب القاسي لذلك الشعب. فصعد إلى جبل سيناء وجلب معه لوحَي الحجارة للقانون المُسجّل بإصبع الرب نفسه، لكنه، وعند رؤيته للشعب وهو يتعبَّد للعجل الذهبي حطَّم لوحي الحجارة وعاقب المذنبين.

هذان اللوحان الحجريان اللذان تمّ التسجيل عليهما بإصبع الله أعطى فرصة لانتقادات كثيرة، ذلك أن الكائن المطلق يُمثَّل على أنه رجلٌ يتكلّم، وينظر، ويذهب، ويأتي، وفي النهاية يكتب على الحجارة بعضاً من الوصايا المنسوخة عن البراهمانيين والشاسترا Shastra القديمة، وإمبراطور الصين كام – هي Cam – Hi، ومخاطبة الذّات لكونفوشيوس، ولأسرار مصر القديمة... الخ. كتب باخوس القديم وصاياه على الرخام. وأيضاً سار باخوس على مياه البحر الأحمر لكي يذهب إلى بلاد الهند برفقة جيشه. ويقذف باخوس أيضاً بأشعته مثل موسى، لكي يقدم شهادة على استمرار تبادليته مع الآلهة.

يطلب موسى إذاك من الله: "دعني أر مجدك" ويقول له الله: "... لا تستطيع رؤية وجهي، ذلك أنه ما من فانٍ يستطيع رؤيته من دون أن يموت... سأريك ظهري، ولكن ليس وجهي..." وكل هذه الحكايات تنتمي إلى موسى الأسطورة. سيميلي Sêmele ماتت لأنها رأت زيوس في كل مجده... وهكذا نلتقي في الكتاب المقدّس خرافات وأساطير منسوبة إلى

موسىٰ، لكي يُمنَح إليه مجد أعظم وتشهد علىٰ ذلك ما تقوله بضعة آيات سابقة: "كان السيد يتكلّم مع موسىٰ وجهاً لوجه، مثل رجل يتكلّم مع صديقه...". لذلك فكل هذه النجاحات الخارقة هي منسوخة عن أمثال قديمة موعزة إلىٰ آلهة وثنية والتي لا نجد فيها لموسىٰ أيّ مشاركة ككائن تاريخي..

الديانة اليهودية كما سبق وذكرنا سابقاً، هي ديانة جنسوية أو ديانة نارية. حتىٰ ولو أن اسم الله في الكتاب المقدّس هو "يهوه" الأمر الذي شرحناه آنفاً علىٰ أنه فحل وامرأة، ذكر وأنثىٰ. نفخ إلوهيم نوراً. والنار الإلهية العائدة إلىٰ ذاتها تلد النور الجلي. حتىٰ أيضاً كلمة تكوين "Genesis" تأتي من التوالد "geração" والتكويني "genésico".

غالباً ما تمّ ظهور الله للإنسان في مجد وبهاء متخذاً أشكال النار والنور. ففي سفر الخروج Êxodo 19:16 حتىٰ ٢٢ يروي: "... والجبل يلفه دخان، لأن الرب نزل عليه بالنار، فتصاعد دخانه كدخان أتون، واهتزّ الجبل اهتزازاً شديداً..."

وفي سفر تثنية الاشتراع Deuteronómio 4:11 12: "فاقتربتم ووقفتم في أسفل الجبل والجبل مضطرم بالنار إلىٰ أعالي السماء وعليه الظلام والسحاب والضباب، فكلّمكم الرب من وسط النار..."

وفي سفر الخروج Êxodo 3:2 حتىٰ ٥: "فتراءىٰ له ملاك الرب في لهيب نار من وسط العلّيقة. ورأىٰ موسىٰ العلّيقة تتوقد بالنار وهي لا تحترق..."

وعلىٰ هذا النحو في عدّة أمكنة من الكتاب المقدّس، كما أتىٰ في سفر "لاويين" Levetico9:24؛ وفي قضاة Juizes 6:21؛ وفي أخبار١ Crônicas 2 7:1، وفي ملوك١ Reis 18:36١ حتىٰ ٤٠... الخ.

تسكن الألوهة في العوالم المضيئة واللمبة الوحيدة التي تضيئها هي لمبة الحبّ الأعظم. فقط الحب هو قدرة. الحب يوعَز استثنائياً للقلب. والقدرة لا تأتي من النفس وإنما نعم من خلال نار الحب، ليست نار الرغبة، بل الحب الذي هو نار حيوية نقيضة لنار الهوى التي تفعل في الإنسان الأدنى. يسكن الله في داخل النار من وراء الشعلة الأفعوانية. كل تجليات الروح هي هيئات على شكل ناري.

وعالم الروح هو النار النقية، مُستقطَبَةً داخل الجسد الإنساني، ولدى نَفَسه السلبي مسكن في الدماغ. أما القطب الآخر للنفس فهو متموضِع في المنظومة التناسلية – الدماغ الثاني أو الدماغ الحوضي.

الشعلة الكونية هي قاعدة النار الكونية، وهي قاعدة النار الكونية التي لها القدرة على النمو، والانفعال، والجمال، والقوة، والحرارة، والطاقة والنار الأساسية للوجود كله. إن نار الجنس هي تجلٍّ مباشر لكلّي القدرة. والأفكار الأكثر علواً، والأكثر ارتقاءً والأكثر حلاوةً هي تجلي للقوى الجنسوية التي هي المبدأ والغاية للتجلي الأعظم والإلهي في الإنسان. "في هيكل النار هذا حيث إيل الذي كان يتحوّل إلى إيل يكون، وإيل يكون، يتحوّل إلى إيل سيكون". الحب، والجنس والنار هم ثالوث واحد.

وعندما تتكاثف في الإنسان القدرة السحرية المولِّدة تتكون دائرة من نور مضيئة حول رأسه فهي تجلٍّ.

التيجان والأكاليل وكل شعار من اللياقة هي محاكاة لهذه الدائرة المنيرة التي تحيط برأس الإنسان القديس.

لدى المُسارَر معموديّتان: تلك التي للماء، وتلك التي للنار. معمودية النار هي تلك التي للروح القدس. وفي الحال، عند التكلّم عن النار فإننا

نشير إلى النار الروحانية وليس إلى المادية. أنا أعمّدكم بالماء، ولكـن هـا قـد يأتي بعدي من هو أكثر قدرة مني. وأنا لستُ لائقاً حتى لفك سيور حذائـه. هو يعمّدكم بالروح القدس (بالنار الإلهية).

# الديانة المسيحيّة والمسيح السراني

المسيحية هي خلاصة الأديان كلها. وتكمن في الديانة المسيحية العقائد، والرموز، والطقوس، والاحتفالات، والقصص والأعياد الاحتفالية عموماً، إلا أنها فقدت المعنى السراني كله وهو الأكثر أهمية، فأضحت فقط ذات وجهة تاريخية محيِّرَة جداً. يدرك العارِفون أن مُعظمَ هذه الحكايات الدينية تملك عمقاً لمجرّد المجاز. يحكم بعض الأشخاص بأن الدراسة الأسطورية والسرانية للمسيحية أمر خطير جداً على المسيحية نفسها. وهؤلاء الأشخاص الذين يعيشون في الظلمات لا يستطيعون أن يفهموا بأن الجهل هو الأكثر خطورة وتهديداً للحقيقة.

تناقضات الأناجيل التي تخدع العلماء، وهذا ما يحصل، فالذين يعتبرون أنفسهم عارفين، هم براهين كافية لإظهار الحقيقة المجردة لديانة المسيح. فالعارفون الحقيقيون يعتقدون بمسيح يتم إظهاره وفقاً للأسطورة، ووفقاً للسيرة، ووفقاً للروح السرانية. هكذا بيَّنَ بمناسبات كثيرة في رسائله المهندس الحقيقي للمسيحية، القدّيس بولس São Paulo.

الديانة المسيحية هي مجرّد ديانة شمسية. وصار علم الأساطير المقارن سلاحاً خطيراً لمحاربة الديانات كلها. وضرباته الأكثر خطورة كانت موجّهة ضدّ المسيح. ولادته من عذراء، ومقتل الأطفال، ومعجزاته، وتعاليمه، والصلب، والقيامة، والصعود إلى السماء، وأحداث إضافية تمّ إظهارها عبر التاريخ، ويظهر لنا هذا كله هوية الحكايات مع حيوات أخرى، الأمر الذي يبعث من ههنا الحيرة إزاء الوجود التاريخي ليسوع.

الأسطورة هي أسلوب روائي للحركات التي تعكس ظلالاً، واللغة المُوَظَّفَة في هذه الروايات هي ما يُدعَى بـ"اللغة الرمزية". فالرموز تُمثّل أبجدية تصويرية موظفة من قِبَل مؤلفي الأسطورة، وكل رمز يملك معنى مجرّداً. ومن دون معرفة الرموز، فقراءة الأسطورة مستحيلة، ذلك أن المؤلفين الأوائل للأساطير الكبرى كانوا مسارَرين معتادين على توظيف لغة رمزية ضمن معنى ثابت وملائم.

ولدى كل رمز معنى رئيسي، وعدّة معان ثانوية تُترجِم المعنى الأول. فالدائرة على سبيل المثال هي رمز الله اللامتناهي، ولكنها ترمز أيضاً إلى الشمس التي بدورها ترمز إلى اللوغوس، وتُجسّد اللوغوس. وهناك أيضاً المُرسَل. فالمُسارَر ومصمِّم العالَم يتمايزان من خلال الرمز الشمسي. لأنه كما أن الشمس تنقذ العالَم، فكذلك المُرسَل أيضاً يخلّص الإنسانية. وعلى هذا

النحو فإن كل مُصمِّم أو مُرسَل هو لوغوس "ابن الله"، حيث ينزل إلى المستوى المادي من أجل إنقاذ العالَم من ظلمات الجهل والاستغلال كما أن الشمس تنقذ الأرض من ظلام البرد والموت. فهذه هي الأسطورة الشمسية.

الشمس هي الظل الفيزيقي للوغوس أو كما هي الشعلة الإلهية في جسد اللوغوس. وإذاك فإن تَجسّد اللوغوس يتمثّل من خلال ظل في جسد فانٍ. والأسطورة الشمسية فهي أسلوب روائي حيث يبدو في الدرجة الأولى نشاط اللوغوس أو الفعل في الكون، وبالنتيجة في وقائع حياة كائن هو تجسد اللوغوس، مُمثّلاً كإله أو نصف إله، لكون مهمته ستتحدد من خلال مسار الشمس باعتبار أن هذا النجم هو ظل اللوغوس. اللوغوس المتجسّد يُولَد مع الشمس، ومثله في الانقلاب الشمسي الشتوي، فهو يموت في الاعتدال الربيعي، ويغلب الموت ويصعد إلى السماء. فالإله الشمسي يشغل الشهور الستة الأوائل من العام بعمل صعب في حين أن الشهور الستة الأخرى هي مرحلة حماية ومحافظة. ويولَد دوماً في الانقلاب الشتوي، بعد اليوم الأكثر قِصَراً من العام (في النصف الكرة الشمالي) في المساء بين ٢٤ و٢٥ من كانون الأول، وهي الليلة المقدّسة بامتياز في العام كله. والبرج الزودياكي للسيدة السماوية للحبل بلا دنس، يكون في الأفق الشرقي عند منتصف الليلة، والشمس (الصبي) للعام الجديد يعطي إذاك البداية لمسيرته، اعتباراً من النقطة الأكثر جنوباً باتجاه نصف الكرة الشمالي، لكي تحرّر هذا الجزء من الظلمة والبرد، ومن الرطوبة والجوع اللذين ليس بالإمكان تجنبهما إذا ما استمرّ دائماً تحت خط الاستواء.

يولَد الصبي الشمسي من عذراء (برج العذراء) الذي يكون في الأفق وتُحافظ على عذريتها بعد ولادة الصبي الشمسي. الصبي يكون ضعيفاً وواهناً، لأنه يأتي إلى العالَم عندما يكون النهار أكثر قصراً، والمساء أكثر طولاً (عند شمال خط الاستواء)، وتُحاط طفولته بمخاطر شتّى، لأنه في هذه الأوقات يكون ملك الظلمات هو الأكثر قوة منه، وصغار الكواكب والنجوم ونيِّرات السماء تُقطَع رؤوسها مع اقتراب الصبي الشمسي في الانقلاب الشتوي. ويصل أخيراً إلى الاعتدال الربيعي إلى مكان انتقاله، ويحدث الصلب في تاريخ يتغيّر سنوياً.

الإله المولود في فجر ٢٤ من كانون الأول يُصلَب دوماً في الاعتدال الربيعي، ويَمنح حياته لكي يتغذى بها متعبّدوه. هذه هي السمات الأكثر أهمية للإله الشمسي. تاريخ ولادته ثابت، في حين أن تاريخ موته متغيِّر، بسبب واقع أن التاريخ الأول يتناسب مع وضعية ثابتة للشمس، بينما

التاريخ الثاني يكون في وضعية متغيرة، لأن الفصح Páscoa (مـن Passo) – عبور – موعد متغير ومحسوب وفقاً للوضعيات التابعـة للـشمس والقمـر، ولأن هذا التاريخ لا يشير إلى تاريخ رجل، وإنما إلى تاريخ إله شمسي.

إيزيس المصرية، ومريم من بيت لحم، فكل واحدة منها هي سيدة الحبـل بلا دنس، ونجمة البحر، وملكة السماء، وأمّ الله. وكلتاهما تُمثَّلان من خلال القمر، إيزيس ورأسها متـوج بـالقمر، وتمثّـل انجـذاب المـادة، في حـين أن العذراء مريم تدوس بقدميها على القمر، وتُتَوَّج باثنتي عشرة نجمة أي أنها الروح مهيمنة على المادة.

تُمثَّل إيزيس بهلال على الرأس وهي تقوم بإرضاع حورس Hórus. وهي جالسة على كرسي صغير بالرغم مـن أن الابـن يحمـل صـليباً عـلى ظهـره. وعذراء الزودياك Zodiaco تُمثَّل في رسوم قديمة مـن خـلال امـرأة تُرضِـع حبيباً، يُمثّل نمط كـل الأرواح المـستقبلية مـع أبنـائهم الإلهيـين، ويُمـثّلان دِفـاكي Deváki مع كريشنا Krishna بين ذراعيها، وعشتار في بابـل، غالبـاً

مع تاج من النجوم، وابنها تموز Tamuz،وهرقل Hércules، وبرسيوس Perseu، وميترا Mitra، وزرادشت Zarathustra، فجميعهم كانت ولادتهم إلهية بقدر ماهي إنسانية.

يعلِّم المسيحيون القدماء أن يسوع لم يُولَد في يوم ٢٥ من كانون الأول. وتمّ الاختيار بين مائة وثلاثين تاريخاً. ففي البداية، ومن أجل عدّة ملل كانت هذه تواريخ ولادة الناصري حتىٰ أنه في القرن الرابع اختار البابا جوليو Júlio الأول يومىٰ ٢٥ من كانون الأول: "ويوم ٢٥ من كانون الأول في روما تمّ اختياره لأجل يوم ميلاد يسوع، حتىٰ أن الوثنيين المشغولين باحتفالاتهم (إكراماً لباخوس) يتركون المسيحيين يحتفلون بطقوسهم خاصتهم من دون أن يُزعَجوا". وفي أيدينا مصادر تاريخية كثيرة، ولكن ما أوردناه هنا فهو كاف.

الحيوان الذي يرمز للبطل أو المخلص فهو البرج الزودياكي، حيث تبلغ الشمس الاعتدال الربيعي، وهذا يتنوع وفقاً مع أسبقية الاعتدالات.

لدىٰ بلاد آشور برج الحوت أو السمك، كان يُعتبَر تحت هذه الهيئة: نلاحظ أن كبار كهنة بابل أو آشور لديهم ميتراواتهم (جمع ميترا)، وزينة للرأس علىٰ هيئة سمكة، ممثِّلةً للخصوبة. ويتوافق ميترا Mitra مع برج الثور. وأوزيريس كان يجري إكرامه علىٰ هيئة Ápis (العجل المقدّس عند الفراعنة) أو صورة "الثور". والشمس في Áries، الحمَل أو الخروف رمز عشتروت لـ جوبيتر – آمون Júpiter – Amon ويسوع حمَل الله، وأيضاً تمت مطابقة السمك مع يسوع كما يُرىٰ في المدافن.

إن موت وقيامة الله الشمسي أو فعله في الاعتدال الربيعي أو بالقرب من هذا التاريخ، نعثر عليهما شائعين، تماماً كما هو الأمر إزاء ميلاده في

الانقلاب الشمسي الشتوي. ويتم رثاء تموز Tamuz عند موته كل سنة في بابل وسورية Síria. ويتمّ رثاء أدونيس Adônis في سورية واليونان. ويُرثىٰ آتيس Átis في فريجيا Frigia، وميترا Mitra في فارس وباخوس وديونيسيوس في اليونان. ونعثر علىٰ الفكرة نفسها في المكسيك México مصحوبة بالصليب (Williamson, Great Lan, pags 40,42,157…) الخ.

تُوجَد عادة مشتركة منذ القِدَم، وتقوم علىٰ عدم أكل اللحم عندما يموت كائن عزيز. وتُظهِر هذه العادة الغمَّ والحزن الكبير للأقارب، فهذا إرث منذ الأزمنة الموغلة في القِدَم. وعندما مات تموز Tamuz أخذت عشتار تبكيه، ولم تقبَل أيّ طعام بسبب حزنها العميق. وبالطبع فإن هذا الحزن قد ربطَنا بالصيام الذي يسبق موت الشمس في الاعتدال الربيعي (الصيام الكبير)، ونعثر علىٰ هذه العادة في المكسيك، وفي بابل، وفي آشور، وفي مصر، وفي فارس، وفي آسيا الصغرىٰ. ويدوم في بعض الحالات أربعين يوماً. (Williamson, ob. Cit. 120 – 123)

كان الحمل هو برج الاعتدال الربيعي في حقبة المسيح، عند العبور Passar ويأتي من هذه الكلمة ما يكافئ كلمة الفصح (Páscoa) في الدائرة الأفقية الكبيرة، "كان حمل الله مصلوباً في الفراغ".

ولم تُشر هذه الروايات إطلاقاً إلى الطريقة الخاصة لفرد يُدعَى يسوع، وأوزيريس، وكريشنا أو مؤسس آخر لدين ما، باستثناء المسيح الكوني. وكان مسيح الأسطورة الشمسية هو مسيح الأسرار، ومسيح الأسرار هو الإنسان – الإله أو الإله – الإنسان، إنه المسيح السراني.

وفي معابد السرّ كلها، فإن كبار كهنة الأسرار الإليوسية أدركوا أنه تُوجَد في الشمس قوة روحية، كما هي حال القوة الفيزيقية. وهذه الأخيرة هي واحدة من الأشعة الشمسية التي تُخصِب الطبيعة مثل الآب الذي يُخصِب الأم. يُنتِج نمو النباتات، وبالتالي يدعم ويحافظ على الممالك الحيوانية والإنسانية. إنها طاقة بنّاءة وخلّاقة، ومصدر لكل قوة فيزيقية.

إن دراما المسيح الشمسي، والمسيح السراني هي دراما الإنسان كما سنرى فيما بعد، ذلك أنه للإنسان ولادتان واحدة جسمانية، وأخرى سرانية. والميلاد الجسماني قد يحصل في أيّ حقبة، إلا أن الولادة السرانية من خلال المساررة كان يُنفَّذ في المعابد القديمة عند منتصف ليل ٢٤ من كانون الأول، وأثناء الطقس، كان المبتدئ، الصبي يرى الشمس الروحية (نجمة "بيت لحم" أي "بيت الخبز)، وكان يرى المسيح، مخلّصه الروحي، وفي القلب، هكذا كما أن الشمس المادية كانت مخلِّصتُه المادية.

# المسيح السراني

كثيرون هم الأشخاص الذين يتشكّكون بالوجود التاريخي للمسيح. سوف ندعهم مع هذرهم، لأنه ليس لدينا وقت لكي نبرهن عن وجود الشمس.

إن سرد نزول الفعل إلى أعماق المادة لهو أمر كامل وحقيقي تماماً كنزول "أنا أكون" إلى جسدي.

تماهى يسوع مع المسيح، الفعل الذي به كان كل شيء، وبالنسبة للكنائس فهذا الواقع الإلهي أصبح تواريخ لحكايات يسوع الذي اعتبروه الألوهة المجسَّدَة (مسيح سراني) ومثلما هو مسيح الأسرار، واللوغوس، والشخص الثاني من الثالوث فكذلك هو الكون الأعظم (Macrocosmos)، وكذلك أيضاً الكون الأصغر (Microcosmos) أو أن الإنسان يختتم ويمثّل المظهَر الثاني لمسيح الأسرار. فهو إذن، حياة المسارَر، وحياة الولادة الثانية في الملكوت الداخلي. وخلال هذه المساررة الداخلية، فإن المسيح يُولَد في الإنسان. وفيما بعد مؤخراً يتمجَّد لكي يصبح أكثر سهولة لإدراك طبيعة الروح في داخل المسارَر.

يستطيع الإنسان وبواسطة الحب فقط أن يتوق للمساررة. وبوسع الإنسان من خلال الحب الحقيقي أن يصبح نقياً وقديساً ومن دون أي لطخة، وأن يحيا من دون أي خرق للقانون، وأن يصل على هذا النحو عبرالمُسارَرة، ويكون مسيحاً على نحوٍ واعٍ. وهذا هو طريق التجارب

(الإغواءات) الذي يقود إلى "الباب الضيقة"، "طريق القداسة"، وأيضاً "للجلجثة حاملاً صليبه على ظهره".

المسيح الشمس في الإنسان هو النار الإلهية للروح التي يتوجّب تحويلها إلى نور. "إن إلهنا نار" صرَّح عن ذلك موسى. إنه الصبي الذي يولَد كإنسان في مذود بيت لحم (بيت الخبز) أي الجسد المادي.

يجب على المرشَّح أن يطوِّر هذه الصفات بشكلٍ كامل، وذلك قبل أن يتمكّن المسيح من الولادة فيه. عليه أن يُهيّئ المسكن بالنسبة لهذا الصبي الإلهي الآخذ بالنمو في داخله. والتعاليم الضرورية من أجل تطوير هذه السمات موجودة في موعظة الجبل، ولا شيء أكثر يتوجب علينا أن نقوله حول هذا الشأن.

١- في البدء كان الكلمة، والكلمة كان لدى الله، وكان الكلمة الله.

٢- كان ذاك في البدء عند الله.

٣- به كُوِّنَ كل شيء، وبدونه لم يكن شيء واحد مما كُوِّنَ.

٤- فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس.

٥- والنور يضيء في الظلمة، والظلمة لم تدركه.

٦- كان إنسان مُرسَلٌ من قِبَلِ الله، اسمه يوحنا.

٧- وهذا قد جاء للشهادة ليشهد للنور حتى يؤمن الجميع على يده.

٨- لم يكن هو النور، بل ليشهَدَ للنور.

٩- أما النور الحقيقي الذي يُنير كل إنسان، فكان آتياً إلى العالَم.

١٠- لقد كان في العالَم، والعالَم به كُوِّن، والعالَم لم يعرفه.

١١- أتى إلى خاصّته، وخاصّته لم تقبله.

١٢- أما جميع الذين قبلوه، فقد آتاهم سلطاناً أن يصيروا أبناء الله، هم الذين آمنوا باسمه.

١٣- الذين لم يُولَدوا من دم ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة رجل بل من الله.

١٤- والكلمة صار جسداً، وسكن في ما بيننا. وقد شاهدنا مجده: مجداً من الآب لابنه الوحيد، المُمتلئ نعمة وحقاً.

وضعت الديانات كلها، القديمة والحديثة على مذابحها صورة رجل أو امرأة لكي ترمز للقدرة الإلهية، والقيام بعبادتها من خلال الصورة. سفينة نوح، والأرض الموعودة، ومغارة بيت لحم، والقبر المقدّس، وخيمة العهد، والقدس، وهيكل سليمان...الخ، ليسوا أكثر من جسد الإنسان نفسه تماماً حيث تشتعل النار المسيحانية.

الإنسان عبارة عن منظومة كونيّة مكوّنة من نجوم، وكواكب، وشموس، وأقمار، ومذنّبات، ودرب التبّانة، ومجرّات، ويجب اتّباع القانون نفسه للنظام الأعظم. وبقدر ما يكون الإنسان كاملاً فإن التزاماً أعظم يمنحه إزاء هذه القوانين، كما قام به يسوع المسيح. فنحن أيضاً "يتوجّب علينا الوصول ذات يوم إلى قامة المسيح".

ثَمَّةَ ديانة واحدة فقط لها مؤسّسات دينية كثيرة، تماماً كما هي الحال بالنسبة لإنسانية واحدة بأعراق وعادات كثيرة. وأركان الديانات الكبير، كما رأينا يكمن في قدرة النار المسيحانية والنور الغير موصوف. وكانت الشمس ودائماً الشمس تُعبَد على أنها النار الكبرى التي تشتعل في وسط الكون. وعلى قدر ما أن النار الإلهية هي أكثر تجاوزاً للشمس المادية. ولأجل هذه النار الإلهية الداخلية تمّت عبادتها في المبتدأ، وترك لنا الإنسان

رمزاً لها في الشعلة، وفي السيف اللامع، وفي التاج الذهبي بنقاط تتشابه مع الأشعّة الشمسية. وكان لكل الرجال – الآلهة أسماء تعني نار – نور: جوبيتر Júpiter، وأبولو Apolo، وهرمس Hermes، وميترا Mitra، وباخوس Baco، وأوديـن Odin، وبوذا Buddha، وكريشنا Krishna، وزرادشت Zoroastro، وفو – هي Fo–Hi، وآغني Ágni، وحيرام أبيف HiramAbiff، وشمشون Sansão، ويشوع Josué، وڤولكانو Vulcano، والله Alá، وإيل El، وبعل Baal، وسيراپيس Serápis، وسليمان Salomão، ويسوع Jeshua، وألوهات أخرىٰ كثيرة.

إن أسطورة پروميثيوس Prometeu، هي عبارة عن حجاب للحقيقة، والروح الإنسانية عند حصولها علىٰ النار الإلهية للإنسانية، استخدمتها للدمار، فتمّ تقييدها إلىٰ صخرة (الجسد) وأخذ يفترس كبده نسر (الرغبات) حتىٰ توصل للهيمنة علىٰ النار وأصبح كاملاً. وقام بهذه النبوءة هرقل (المسيح) الذي (مولوداً علىٰ أنه نار الروح نفسها) حرَّره، وكان خاضعاً خلال سنوات طوال للعذاب (مولوداً في قلبه من خلال الولادة الثانية أو المساررة).

النور الذي يُضيء في الجهاز العصبي هو الوسيط بين الإله الداخلي والإنسان الخارجي. إنه الجسر الذي يوحِّد الروح مع المادة (راجع ديانة العارفين La Religión de los sabios) وبسبب هذا النور يُدعَىٰ ابن الإنسان بابن الله. وتوصّل أبناء النور إلىٰ رؤية الشمس الداخلية الغير مرئية. وكانت الديانات القديمة تبحث عن الطريقة التي يستطيعون بها التقاط النار الكونيّة التي تدور في الأثير، ولذلك كان الكهنة يُقدِّرون النباتات، والحيوانات، والمعادن التي لها خصائص ممتصَّة لهذا النور الغير مرئي. وتستخدم المسيحية النار في طقوسها مع البخور لكي ترمز إلىٰ النار كيف تحرق البخور وهذا

الأخير يتحوّل إلى دخان عَطِر، والنار الإلهية أيضاً تحرق في الإنسان النفس كلها بقدر ما هي كثيفة لكي تحولها إلى عطر ذكي. وأبراج الأجراس، والقلاع، والمسلاّت، والأهرامات هي رموز للفالوس حامل النار.

تعني شجرة عدن الفالوس وثمرتها النار الكونيّة. ولدى ذهب المعادن لون نور الشمس. والشموع المشتعلة في المذابح والقنديل الصغير أحمر اللون يمدّه زيت الزيتون بالنار يمثّل النار الإلهية.

إن الزيت رمز للدم: وهذا أيضاً هو شعلة الإنسان المقدّسة، الأمر نفسه ينطبق على الدم الذي يدعم الشعلة الماديّة.

الدم هو عربة الشرارة الإلهية. وهذه الشرارة تتحرّك مع السيلان الدموي، ولا يُعثَر عليها في أي نقطة خاصة من العضوية. واهتزاز هذه الشرارة يمكن توجيهه، وموضعته في أيّ جزء من الجسد بواسطة الإرادة المركّزة. يقوم الدم بإشعالها في الأوعية الدموية، وتتجلى النار الإلهية الداخلية.

قلنا سابقاً أنه على الإنسان أن يُولد مرّتين. واحدة مادية وأخرى روحانية. وعليه أن يكون إنساناً ومسيحاً في الوقت نفسه. ولنتطرَّق الآن إلى فك شيفرة سر المسيح في الإنسان المادي كما فككنا شيفرة معنى المسيح الشمسي.

تبقى حُبَيْبَة الحياة مودعةً في الرحم الأمومي، بوابة الحياة، خلال تسعة أشهر: وبعد هذا الوقت، يُولَد، وتظلُّ الروح في المسيح في مربَط القلب في الجسد (بيت لحم). الصبي – المسيح في الإنسان مُحاط بحيوانات: الجهل (الجحش)، والضعف (الخروف)، والوحشية (الثور). وملك الظلمات في الجسد مع الجشع والغرور يسعى لقتل الملك الجديد لكي يتحرر من التحسّر، وتكون لديه حرية واسعة لاتباع رغبات اللحم. يُهاجَم المبتدئ من خلال خيال العتبة في الولادة الثانية، ويُلاحَق من خلال أضداد الجحيم كلها (العالَ

الأدنى). فيهرب إذاك إلى مصر، وهذا ما يحصل يلجأون إلى العالم الداخلي، متخلّين عن إغواءات الجسد وأهوائه من أجل أن ينمو روحياً ويعود فيما بعد لتحقيق رسالته في الحياة. وهكذا كما الشمس تطوف ظاهرياً اثني عشر برجاً زودياكاً، وأيضاً على الروح المسيحاني أن يطوف عبر التعلقات كلها لمنظومته في الجسم الذي هو صورة مصغَّرة عن الكون. فالرأس هو شرق الإنسان من حيث تشرق الشمس المسيح، ويتوجَّب على المسارَر توجيه أفكاره وممارساته دائماً إلى الدماغ، حيث يجب أن يدخل المبتدئ. ومن خلال هذه البوابة، فالمبتدئ أو المولود حديثاً يُساق إلى محرقات المعمودية (حيث يوجد الكبد، العضو الذي يُشكِّل الجسد النوراني أو الانفعالي من خلال انفعالاته ورغباته)، وهناك يُعمَّد ويخضع لامتحان الماء، الأمر الذي يعني مجال (حيِّز) الرغبة. يُقسِم المولود حديثاً أمام مذبح القلب حيث تتلألأ شمس، وست نيِّرات. (الشمس مثُلَت فيما بعد من خلال كوستوديا Cústodia رمز الشمس الساطعة أو رمز النار الإلهية، ومراكزها المغناطيسية أو الكواكب، ويجري ترميزها من خلال ست شموع).

(لتعميق الدراسة حول المساررات لكل الديانات وعلاقتها مع الإنسان فمن الضرورة بمكان دراسة عمل الدكتور أدوم مُعنوَن: مفاتيح الملكوت الداخلي أو معرفة الذات).

نستنتج من الفصل السابق بأن الكريستوس Chrestos (الذي يعني في اليونانية "الطيب") إنها سمة يتوجّب اكتسابها قبل التمكّن من يصير مسيحاً، أي ممسوحاً. وبعد التوصل في أن يحيا حياة افتراضاً إيزوتيرية (باطنية)، سيتمكّن من الشروع في الرحلة أو الطريق من أجل المساررة، طريق الاختبار – الطريق التي تقود إلى الباب الضيقة – طريق القداسة – طريق الصليب. وعلى

التواق اكتساب الفضائل السبعة لكي يشعر بحميَّة سعادة رؤية الله والاتحاد به. "طوبى لأنقياء القلوب، فإنهم يعاينون الله" متى ٥:٨.

الروح الذي يسكن في الجسد هو شذرة غير مرئية من الله. إنها ثالوث لكونها الله. فهي قدرة وحبّ ومعرفة. فالآب هو القدرة، والابن هو الحب، والروح القدس هو المعرفة. تقوم المسارة على منح حرية كاملة للداخلي لكي يعمل من خلال صفاته الثلاثة: المسيح السراني إذن، هو الكائن الداخلي في الإنسان، وبالتالي، فهو مزدوَج. إنه اللوغوس Logos، الفعل أو الشخص الثاني من الثالوث الذي ينزل إلى المادة. ومن ثمَّ فالحب، وفقاً لمظهر الروح الإلهي يقوم بتطوير الإنسان. واحد يُمثّل السياقات الكونية في الأسطورة الشمسية، والآخَر يُمثّل ما يحصَل روحياً لدى الفرد. كلا الجانبين، الشمسي والفردي، يلتقيان في سرد الأناجيل. فاتحادهما يقدم لنا صورة المسيح السراني، والمسيح الكوني، الألوهة التي تتداخل مع المادة، إنها تُجسِّد اللوغوس والإله الذي صار من لحم ودم. وهذه المادة – الأم تتلقّى الشخص الثالث من الثالوث، الروح القدس، الحياة التي تحيي المادة، وتتيح لها أن تتخذ شكلاً. وبالتالي، فالمادة المكثّفة مُقَوْلَبَة من خلال الابن وفقاً لـ"اللوغوس" الذي يضحّي بنفسه منهياً العمل، أو صالِباً نفسه حتى يتحوّل إلى "إنسان سماوي".

ومن جسده تتشكّل كل الأشكال. وهذا هو السياق الكوني على نحو درامي مُمَثَّل في الأسرار.

"ويرف روح الله على وجه المياه، وكانت الظلمات على وجه الغمر"، كما عبَّر سفر التكوين.

وللحال تمّ منح الهيئة من خلال "اللوغوس": "به كان كل شيء، ومن دونه لم يكن شيء واحد ممّا كُوِّن". صرَّح القديس يوحنا في إنجيله.

وذات مرّة ينتهي عمل الروح، فالمسيح الكوني والسراني يمكنه أن يلبس المادة داخلاً في حضن المادة العذراء. وتمّ إحياء هذه المادة من خلال الروح القدس من أجل تلقي اللوغوس الثاني، وهكذا فالمسيح يتجسّد ويصير من لحم ودم. وتحتويه الحياة والمادة كلباس مزدوَج. إنه نزول اللوغوس إلى المادة، وتُوصَف على أنها ولادة المسيح من عذراء. ويتحوّل هذا إلى أسطورة شمسية، وهذه هي ولادة الإله الشمس في اللحظة حيث برج العذراء أو العذراء تنهض في الأفق. تبدأ هنا رموز الأساطير. فالصبي المولود مُعرَّض لكل الأوهان الطفولية. وإذاك فهو يُمثِّل الروح الهشة التي تولَد من أجل التطوّر. والمادة تحتبسه من أجل قتله، ولكنه ينتصر ببطء، ويُقَوْلِب الجسد من أجل قدر رفيع. يتوصّل إلى نضج الجسد، ويُصلَب في هذه المادة لغاية أن يسكب فيها من الصليب طاقات حياته كلها، التي تمّ التضحية بها في سبيل الخليقة.

يتألّم وفيما بعد، يموت بالنسبة للحواس، ويُدفَن، ولكنه ينهض بجسد نوراني يشعّ ويصبح عربته أو ثوب (الروح) ويحيا عبر الأعمار. وصلب المسيح جزء لا يتجزّأ من التضحية الكونية. ومجازات الصلب هذه كلها في الأسرار كانت تتحقق في المادة حتى النقطة التي تصبح فيها موت حقيقي لشخص يتألّم على الصليب، وفي صلب لكائن إنساني يموت.

وهذه السيرة كلها اليوم هي سيرة رجل تمّ إلباسها إليه وهو المعلم الإلهي يسوع، وتحوّلت إلى تاريخ موته الجسماني، وهكذا مثل ولادته من عذراء، وطفولته المحاطَة بمخاطر. فالقيامة والصعود تحوّلا إلى واقعتين في حياته. واختفت الأسرار، ولكن الأساطير قد وصلت حيِّزَ إلباسها لمعلّم بيت يهوذا Judéia. واختفى المسيح الكوني في المسيح التاريخي. إلا أنه بالنسبة للمُسارَرين كان المسيح وسيظل دائماً واحداً من الأسرار المتّصلة بالقلب الإنساني على نحو حميمي. ومسيح الروح الإنساني. المسيح الموجود

في كل واحد منّا والذي يولَد فينا ويحيا فينا ويُصلَب ويقوم من بين الأموات ويصعد إلى السماء وسط العذابات، وعند غلبة "ابن الإنسان" للكل. فإن حياة كلّ مسارَر في الأسرار السماوية مرسومة بخطوط كبرى في السيرة الإنجيلية لحياته الشخصية. ولذلك فإن القدّيس بولس يتكلم عن الولادة، والتطوّر، والنضج الكامل للمسيح في التلميذ. كل إنسان هو مسيح على نحو كموني، ويتبع المنحى العام لرواية الأناجيل للأحداث الرئيسية، ولكن كما رأينا فلهذه الأحداث سمة كونيّة لا جزئيّة.

تنتظر التواق للمسيح خمس مساررات كبرى. الأولى هي الولادة الثانية للمسيح في القلب ذلك أن التلميذ يُولَد في ملكوت الله الداخلي مثل صبي. "إذا لم تعودوا فتصيروا كالأطفال فلن تدخلوا ملكوت السموات" كما صرّح يسوع. وُلِدَ يسوع في مغارة (إنها مغارة المسارة المعروفة من قِبَل القدماء على أنها "مغارة المسارة".). وتلمع في أعلى المغارة نجمة المسارة، ذات نور يتألق عند ولادة النور الغير موصوف. وتكون حياته في خطر بسبب قوى الشر المظلمة. وبالرغم من كل الخطورة، يبلغ الحالة الرجولية، لأنه ذات مرّة يولد فيها المسيح فلا يمكن له أن يموت، وعليه إنهاء تطوّره في الإنسان. وتنتشر حياته في جمال وقوة، وهو ينمو في الحكمة والروحانية حتى يبلغ المسارة الثانية.

المسارة الثانية هي معمودية الماء أو الهيمنة على الرغبات كلها، الأمر الذي يمنحه القدرات الضرورية التي هو بحاجة لها باعتباره معلّماً. وإذاك ينزل الروح الإلهي عليه بمجد الآب الغير مرئي، فينيره، وهكذا يصير "الابن – المحبوب جداً الذي يجب أن نسمع له".

وللحال، يؤخَذ إلى صحراء المادة لكي يتعرّض للإغواء. والعدو السري الذي يمكث في أسفل البطن أو في الجحيم (الجزء الأدنى من الجسد)،

ويجتهِد لكي يُظهِرَ له صعوبة الطريق الضيقة، فيدعوه لخدمته في سبيل طمأنينته خاصّتِه، وفائدتِه الشخصية. بَيْدَ أنه يغلب المُجرِّب والإغواء ويرجع إلى البشر من أجل تغذيتهم بخبز الحياة ويشفيَهم من الأمراض.

وبعد خدمات لا شخصية كثيرة وعذابات داخلية، يصعد إلى الجبل المقدّس للمسارارة الثالثة حيث يتجلى، فيصبح كله نور مثل الشمس.

إنه الآن مُهيّأ لمعمودية النار أو معمودية الروح القدس، والدخول إلى المرحلة الأخيرة من طريق الصليب. وإذاك يُلاحَق، ويُعنَّف لكنه لا يتخلَّى عن نمو حياة الحب. يشرب من الكأس المُرَّة للخيانة، والتخلّي عنه، والرفض من جميع خاصّتِه. يمشي متوارياً عن الناس حاملاً صليبه حيث يتوجّب أن يموت، متخلّياً عن حياة العالم الأدنى، محاطاً بالأعداء المنتصرين، ويُطلِق قلبه البطولي صرخةً للآب الذي يبدو أنه قد تخلّى عنه هو الأخير. وإذاك يترك جسد الرغبات. وهو – المُسارَر، ينزل إلى عوالم الجحيم لكي يتمكّن من إنقاذ من يطلب المساعدة، والذرّات التي ترغب بالعمل تحت إشراف الأنا

الأسمى (راجع كتاب: "مفاتيح الملكوت الداخلي"). يرجع فيما بعد إلى النور تاركاً الظلمات الدنيا بشعور أنه الابن الغير منفصل عن الآب.

وذات مرّة، وقد انتهت واجباته في الحياة الأرضية، فهو يصعد إلى الآب بواسطة المسارة الخامسة لأنه قد اتّحد بالإله الباطني.

هذه هي قصة المسحاء والأسرار أو مسيح الأسرار تحت مظهَر مزدوج: اللوغوس والإنسان، الكوني والفردي.

يُعتبَر يسوع على أنه المسيح السراني والإنساني الذي يكافح ويتألّم وينتصر أخيراً: إنه الرجل الذي ترى الإنسانية فيه ذاتها مصلوبة، وقائمة من الموت، وذات سيرة تعِد بنصر لجميع الذين هم مثله ظلوا مؤمنين حتى الموت، وحتى ما وراء الموت.

# قانون الإيمان

لدىٰ كل ديانة قانون إيمانها ذلك أن قانون الإيمان هو رمز العقيدة الدينية. وكل قانون إيمان يكون مُبهماً في معناه الداخلي. ووفقاً لما قد تعلمناه سابقاً، فما من ضرورة بعد أن نتغلغل في المعنىٰ الداخلي لكل قانون إيمان. وفي هذه الصفحات سنحدّ أنفسنا في النقل، مع بضعة ملاحظات، وقوانين الإيمان للممالك التي سبقت خاصتنا.

قانون إيمان البراهمانيين الأنقياء: - أنا أعبد الكائن الذي ليس هو عرضة للتغيُّر، ولا للقلق، وذا طبيعة غير مرئيّة وروحانيّة لا تقبل انقسام واحدة من صفاته، ذاك الذي هو علّة وسبب وجود الكائنات كلّها، والتي يُقَولِبها كلّها بامتياز، أنا أعبد هذا الكائن الذي هو دعامة الكون ومصدر القوة الثلاثية، الإله الحقيقي الغير مخلوق، والروحاني، والغير مرئي، وكلّي القدرة، والعادل، والرحوم، وإنه موجود في كلِّ مكان، ويرىٰ كلّ شيء ويسمع كلّ شيء. وسيكافئ الأخيار وسيعاقب الأشرار. واتّخذ أشكالاً مرئيّة عبر العصور حيث تجسّد لكي يحقّق رحمته أو ينفّذ انتقامه. إنه يظهر في الأرض الأيّام كلها، ما أن نلتمسه بقلب نقي، ومليء بالإيمان. وعند الوصول إلىٰ نهاية الأزمنة مثبتاً بأمور عالية أزليّة، سوف يدمر هذا العالَم، كما دمّره في الحقب الثلاث السابقة.

قانون إيمان الراهمانيين لكل الطوائف: - أومن بالإله الحقيقي الغير مخلوق والروحاني، والغير مرئي، والكُلّي القدرة، والعادل، والرحوم. إنه

موجود في كلِّ مكان، يرىٰ كلَّ شيء، ويسمع كلَّ شيء: لا يمكن إخفاء أيّ شيء عنه، ذلك أنه يرىٰ حتىٰ الأفكار، وسوف يكافئ الأخيار ويعاقب الأشرار. واتخذ بتواتر هيئات مرئيّة، مُجسِّداً إيّاها لكي تتبع خطوات رحمته أو انتقامه، ويتجلّىٰ علىٰ الأرض الأيّام كلها، وعندما يسمع دعاء قلب فاضل ومليء بالإيمان. وعند بلوغ نهاية الأزمنة، مثبتاً من خلال أمور عالية أزليّة، سوف يدمّر العالم في هذا العمر الرابع، كما دمّره في الأعمار الثلاثة السابقة.

قانون الإيمان عند الشاسترا Shastra القديم – الله هو ما كان عليه دائماً، خلق كل ما هو موجود. وتكمن صورته الباهتة في الدائرة التي ليس لها بداية ولانهاية. وهو يُحيي، ويحكم المخلوقات كلها من خلال العناية الإلهية الشاملة، ومن خلال مبادئه الأزلية الثابتة. "لا تتقصّىٰ إطلاقاً بأيّ طريقة كانت طبيعة وجود ذلك الذي وُجِدَ دائماً، لأنه مسعىٰ لا يُفضي إلىٰ شيء وإجرامي في حدّ ذاته. عليكم أن ترتضوا من يوم إلىٰ يوم، ومن ليلة إلىٰ ليلة، بأعماله التي تعلن عن حكمته، وقدرته ورحمته. (شاسترا Shastra من خلال هويل Howel).

قانون الإيمان الصيني (من خلال الإمبراطور كام – هي CAM-HI) – الإله المبدأ الحقيقي للأشياء كلها، والذي ليس له بداية، وأخرج الأشياء كلها إلىٰ الوجود، والتي يحكمها وهي من السيّد. إنه طيب وعادل علىٰ نحو لا نهائي، وهو ينير، ويسند، ويدير كل شيء بسلطته المطلقة وعدالته العليا. (مجموعة دوهالِس Compilação Duhales).

قانون إيمان الإسرائيليين: – إعبدوا إلهاً واحداً فقط. إحفظوا الوصايا العشر للأسرار المصرية التي تبناها موسىٰ لخلُق العبرانيين، وهو يقول لهم إنه تلقّاها من يدي السيد Adonai علىٰ قمّة جبل حوريب في سيناء.

قانون إيمان الأسرار اليونانية القديمة: - إمضوا من خلال طريق العدالة. واعبدوا السيد الأوحد للكون. إنه واحد، وهو الكائن الوحيد الذي أوجد ذاته بذاته والذي يعود إليه وجود الكائنات كلها. وهو يعمل فيها ومن خلالها، وهو يرىٰ كل شيء، ولم يُرَ إطلاقاً من خلال عينين فانِيَتَيْن.

قانون إيمان الفارسيين القدماء: - النار هي رمز الطبيعة، والشمس هي عرش الخالق، وعمله الأكثر جمالاً. ومع انقضاء اثنتي عشرة ألف سنة تبدأ الدينونة الأخيرة. وسوف يُحرَم الأشرار إلىٰ الأبد من مشاركة المختارين، وهم عابدو النار الحقيقيون.

قانون إيمان الأسرار الحديثة – قانون إيمان مجمع نيقيا Nicéia للمسيحيين هو رمز الديانة الشمسية، ذلك أن الشمس تُولَد وتموت وتقوم وتعود إلىٰ المدار: تنهض، وتتألّق في الانقلاب الصيفي، وتتجلىٰ بالقرب من المدار الثاني، وتنحدر في الانقلاب الشتوي، لكي تعود فتُولَد من جديد في الميلاد مثل ابن الله، ضمن نوعية مُخلِّصَة الطبيعة، التي تجد نفسها مهدّدة بالدمار في الأعوام كلها.

يصرِّح قانون الإيمان المسيحي علىٰ النحو التالي: نؤمن بإله واحد آب ضابط الكل، خالق السماء والأرض، وكل ما يُرىٰ وما لا يُرىٰ، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مَولود غير مخلوق، مساو للآب في الجوهر، الذي به كان كل شيء. والذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا، نزل من السموات، وتجسّد من الروح القدس، وتأنّس في مريم العذراء، وصار إنساناً، وصُلِبَ عنا علىٰ عهد بيلاطس البنطي Pônico

Pilatos تألّم ومات – ناهيكم عن كونه رمزاً لتيفون Tífon الذي قتل أوزيريس Osíris يمكن أن يكون أيضاً Pônico Pilatos، كما شرح ليدبيتر Leadbeater في عمله "قانون الإيمان المسيحي"، أن اسم Pônico Pilatos يعني "البحر الكثيف" أي أنه بحر المادة – قُبِرَ وقام في اليوم الثالث كما في الكتب، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين الآب: وأيضاً يأتي بمجد عظيم ليدين الأحياء والأموات، الذي لا فناء لملكه. وبالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب، والذي هو مع الآب والابن يُسجَد له ويُمَجَّد، الناطق بالأنبياء، وبكنيسة واحدة جامعة مقدّسة رسولية، نعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا وللحياة الأبدية. ونترجَّى قيامة الموتى والحياة في الدهر الآتي. آمين. وكما يُرَى فقانون الإيمان المسيحي هو مزج من رموز المسيح الشمسي مع تلك التي للمسيح السراني – التاريخي لا أكثر ولا أقل. كذلك الأسرار الدنيا لديانة المسيح والديانات كلها الموجودة في العالم.

# قانون إيماني

كما في الأعلى، فكذلك يكون في الأسفل. وهكذا كما يحدث في الكون الأكبر (الماكروكوزم) فإنه يحدث على نحو حتمي في الكون الأصغر (الميكروكوزم). وفقاً لما هو كائن في جسد الكون، فهو كذلك كائن في جسدي... وبالتالي، يتوجَّب على الإنسان أن يكون لديه قانون إيمانه الداخلي الذي يعكس قانون الإيمان الكوني.

أومن بإله واحد كلّي القدرة أظهرَ من ذاتِه الأشياء كلها المرئية، والغير مرئية بالنسبة للحواس.

إنه غير مرئي إلا أنني أشعر به لأنني أنا فيه وهو فيَّ.

أومن بـ"أنا الفعل، ابن الله، الذي كان في المبتدأ، والذي كان مع الله، وأنا الفعل الذي كان الله. إله من إله، ونور من نور، ابن مولود، غير مخلوق، مساو في الجوهر. وبالنسبة لي. فأنا الفعل الذي به كان كل شيء.

أومن بـ"أنا أكون" نزل من حضن الآب، وتجسّد من خلال اهتزازات الروح القدس والمادة العذراء، وصار إنساناً بواسطة الجنس.

أومن أن "أنا أكون" تألّم ويتألّم بسبب تقيّده في بحر المادة، وعلى المادة تمّ صلبه، ومات عليه، ودُفِنَ.

أومن أنه نزل إلى العوالم المادية الدنيا، وبعد ثلاثة أيام التي تمّ دفنه خلالَها، انتصب كالنار الإلهية وصعد إلى سماء الدماغ، وهناك جلس عن

يمين الآب القادر على كل شيء، ومن حيث يجب أن يعود للمرّة الثانية (المجيء الثاني) لكي يرشد الأحياء والأموات، ولن يكون لملكه نهاية. وأومن بالروح القدس، الصفة الثالثة للإله المطلق، واهب الحياة، ذلك الذي من خلال اهتزازاته ينير كل كائن.

أومن بالكنيسة المقدّسة الجامعة التي هي جسد الإنسانية كلها، وفي عمل الأخوية الكبرى للمكرسين أنفسهم من أجل التطوّر الإنساني.

أومن بالتحرّر من الخطايا بواسطة قداسة الحكمة، وبالمعمودية الحقيقية التي تقوم من خلال الهيمنة على الرغبات الدنيا.

أومن في قيامة الجسد (التقمص)،

أومن في الحياة الأبدية لأنني أبدي،

أومن أنني أنا هو وهو أنا

أومن أنني الله في هيئة جسمانية.

# السر العظيم

الحقيقة ثلاثية كما أن الله ثالوث، أما الشخص الأول من الثالوث، فهو ما يحتوي على سرٌّ عظيم لا يُصرَّح عنه، الأركان Arcano الغير قابل للإدراك يمكن التصريح عنه بالشكل التالي: "ألوهية الإنسان، الإنسان هو الله".

سرٌّ لا يُصرَّح عنه لأنه ما أن يتمّ تأكيده حتى يُعبَّر عن كذبة؛ والأكثر فظاعة من بين الأكاذيب، لواقع أن الإنسان ليس هو الله، ومع ذلك فهو مكتوب: "أنتم آلهة (...) وها هو الإنسان يصير واحداً منا". القول إن الله إنسان، فأيُّ تجديف هذا!، لذلك يقود هذا إلى الصليب على أنه مُنتهِك حرمة المقدّسات، وعلى أنه مُجدِّف! وهكذا يُرمَى المُسارَرون في النار!

الشخص الثاني من الحقيقة يصرِّح هكذا: "الله صار إنساناً" (بواسطة الجنس).

أيُّ سخف! ومع ذلك فيوحنا João يؤكِّد في إنجيله: "والفعل صار جسداً، وسكن في ما بيننا".

أول إنسان فان قبل السقوط كان رجلاً – امرأة: آدم – حواء. والإنسان اللاحق، المنبعِث (oressuscitado) سيكون أيضاً رجلاً – إمرأة. هكذا يجب أن يكون في ذلك الانتصار بالموت على الموت، وبالجنس على الجنس. وأنسنة الله تمنح المرتبة في لحظة تألّه الإنسان، ويتوجَّب علينا أن نذكِّر أنفسنا

بأن على الإنسان أن يكون الله. وفي أيامنا هذه الآلهة الفانية في القِـدَم كانـت إنسانية بإفراط، ولـذلك فالكـاهن القـديم كـان يقـوم بالـدعاء في خدمتـه الكهنوتية اليومية وهو يقول: "لا تأتوا على قتل الله، وإنما قومـوا بإحيائـه". ولكن أيُّ إله هـذا، وكيـف علـيهم أن يقومـوا بإحيائـه؟... بـالجنس، لأن الجنس يمتلك القدرة على قتـل وإعـادة إحيـاء الآلهـة. فـالجنس قـد أنـسن الآلهة، والجنس سيؤلِّه البشر.

الوجه الثالث من الحقيقة هو:

"الإنسان يصير إلهاً بواسطة الجنس". كيف؟

يسود صمت!

"من يعرف لا يتكلّم، ومن يتكلّم لا يعرف شيئاً". هكـذا قـال لاوتـزو حكيم الطاوية العظيم.

# للختام

**إعداد: المترجم**

حان الوقت لكي نقول كلمتنا إزاء هذا العمل الجميل والجريء الذي قدمه لنا الدكتور جورج أدوم حول الأديان وأسرارها، ولن نذهب في قراءة عمله هذا إلى التعصب، أي لابد من قراءة نقدية أيضاً لعمله هذا الذي أنهينا ترجمته بعونه تعالى.

قبل كل شيء لابد من الأخذ بعين الاعتبار خصوصية الدكتور جورج أدوم التي ظهرت واضحة لا بل مكشوفة في تعاطيه للأديان الأخرى المتأثّرة بأصوله المسيحية من جهة وإغفاله الإسلام من جهة أخرى، وما انفجر عن الإسلام من ينابيع تصوّف أغنت العالَم بأسره.

إذن، جورج أدوم وصل في نهاية القرن التاسع عشر مع عائلته المهاجرة من لبنان إلى الإكوادور في أميركا اللاتينية حيث تابع دراسته ونال درجة الدكتوراه، وخاض تجربة روحية عميقة (بالمفهوم الشرقي تُدعى: "استنارة") وهو يعبر عن تجربته الروحية العميقة هذه من خلال قوله: نزول "أنا أكون" الإلهية إلى كيانه العميق، وشكّلت تحوّلاً في كيانه هذا واتحد مع الكون بأسره، والألوهة الحية فيه. وباتت تجربته الروحية وفقاً لأصوله المسيحية اللون المهيمن في أعماله التي كتب معظمها باللغة الإسبانية، علماً أنه انتقل إلى البرازيل وتوفّي وواراه الثرى هناك.

حسناً، فالأمر الأساسي الذي يركز عليه عمل الدكتور جورج أدوم هو "الجنس" فالأديان كلها بالنسبة إليه تتمحور حول أهمية ورمزية الجنس حيث يشكّل الجنس تلك الطاقة الخام التي من دون تحوّلها من نار إلى نور لن يكون هناك دين حقيقي ولا تجربة روحية عميقة.

وعلى الأرجح أن الدكتور جورج أدوم لم تساعده الظروف آنذاك على الاطلاع على علوم التانترا الشرقية سواء الهندوسية منها أو البوذية وأسرارها، ومخطوطاتها المحفوظة في أديرة التيبت البوذية منذ آلاف السنين!!..

ربما تكنولوجيا الاتصالات والإنترنيت لم تساعد الدكتور جورج أدوم على الاطلاع على علوم التانترا لعدم توفر هذه التكنولوجيا في وقته ذاك!!، ومن هنا أتى عمله "من الجنس إلى الألوهة" كما لو أنه رؤية داخلية عميقة للتانترا كحضور حي في كل الأديان الحية. وما يدعو للدهشة أنه لم يكن على دراية بعلوم التانترا، ومن هنا نستطيع الحكم بمصداقية تجربته وعمقها وأهميتها كونه من خلال تركيزه على الجنس وأهميته في الحياة الروحية من جهة والأديان الحية من جهة أخرى كان هو أول من وضع بجدارة جسراً حياً بين الأديان العالمية كاليهودية والمسيحية من جهة، والأديان القديمة بدءاً من الديانة الفالية أي "عبادة الفالوس (القضيب)" ثم ديانة ميترا وأوزيريس والدرويد ووصوله إلى الماسونية كديانة وعلم وفلسفة... الخ، هذا كله من جهة أخرى، والأديان المشرقية وعلى رأسها الهندوسية والبوذية، قام الدكتور جورج أدوم من حيث لا يدري بربطها كلها مع بعضها من خلال الجنس الذي يشكّل وحدة الوجود بكل أشكالها المادية

والروحية والنفسية. ومن هنا يبحث الدكتور جورج أدوم نفسه على أنه معلّم عن جدارة واستحقاق.

إن ما لم يشر إليه الدكتور لا من قريب ولا من بعيد ما يبرهن على عدم معرفته بعلوم التانترا.

من المعروف أن الشرق منبع الروحانية والتأمل، والبحث في أعماق الإنسان وصولاً للاتحاد بالألوهة الكائنة في كل شيء، وبالتالي اشتهر الشرق عموماً والهند خصوصاً بطريقين يقودان إلى الاستنارة أو التحقق الروحي. أولهما هو طريق اليوغا وهو أشبه ما يكون بطريق المحارب كما نراه في أبهى صورة له ضمن ملحمة المهابهاراتا في البهاجفادجيتا كتاب الهندوس المقدس، حيث يلعب البطل آرجونا ذلك الدور في محاربة أهوائه لكي يصل حتى إماتة الذات أو تجاوز الأنا، والاتحاد العميق بالمطلق. أما الطريق الباطني الآخر والذي نكاد لا نعلم عنه شيئاً فهو "التانترا" وهي كلمة من جذرين أولهما يعني "الوعي" وثانيهما "توسع" وهكذا يصبح معناها "توسع الوعي" وهذا لا يحصل إلا من خلال دمج الجنس بالوعي.

وعلى كل حال، فكل ما نعلم عن هذا العلم المقدّس أو مخطوطاته قد تمّ إخفاؤها في أديرة التيبت، وعتّم عليها رجال الدين المسيحي خصوصاً،... وهكذا حتى أتى في عصرنا هذا حكيم من الهند، وكان داعية للتانترا واعتبره الإنجيل الجديد وسط عصر الظلام الذي نعيش الآن في آخر فصوله في القرن الحادي والعشرين.

وذهب هذا الحكيم "أوشو" إلى أن الإنسان الحديث إن لم يكتشف "التانترا" ولم يمارسها على المستوى العالمي فالكوكب مهدّد بموجة من الدمار لا مَهْرَب منها، ذلك أن التانترا تتعامل مع طاقة لا تقلّ قوّة

وجبروتاً عن الطاقة النووية، وهذه الأخيرة ليست سوى ظل باهت لها أي لطاقة الجنس التي تتركز أيضاً في طاقة كونداليني، تلك الطاقة الملتفّة على ذاتها كالأفعى في أسفل العمود الفقري، وممارسات التانترا تهدف للتحكم بطاقة الجنس عن طريق إيقاظ الكونداليني وتحويل طاقة الجنس إلى حب أعظم طاقة في الوجود لا بل الطاقة الحقيقية الوحيدة الخلّاقة والمسيِّرة للأفلاك كلها، وبالتالي الفشل في التعامل مع هذه الطاقة يجعل الكوكب مهدّداً بموجة دمار شاملة. وهكذا كان "أوشو" صوت صارخ في البرية أن استيقظوا!! ففي تراث البشرية ثمة كنوز من علوم التانترات تساعدكم في الخروج من مأزق اللذّة وعبوديّتها وإلزامها وأهوائكم التي تستنزف طاقاتكم الروحية والجسدية والعقلية وتُطيح بكيانكم إلى الدرك الأسفل.

يشير كتاب "الهندوسية، تحضيرها لانعتاق الروح"، إلى أن سات – شيت – أناندا أي وعي – وجود – غبطة، تُدعى وفقاً للتانترا شيفا – شاكتي، وهي توحي إلى أن شيفا أو المطلق، وشاكتي قوته الخلّاقة في تزاوج أبدي.

"المايا وفقاً للتانترا تحجب الحقيقة وتستقطبها إلى ما هو واع وما هو غير واع، ومن خلال الاستقطاب يصبح اللامتناهي متناهياً، واللامحدود محدوداً.

"لا تكفّ الحقيقة عن أن تكون ذاتها رغم أن التانترا لا تنكر الفعل ولا حقيقة التطوّر. وهكذا لا يكفّ أيّ مركز محدود في أيّ موقع كان على منحى التطوّر عن أن يكون نقطة من الحقيقة الصرفة يتفتّح اللانهائي من خلالها ومن خلالها يمكن بلوغه. وعندما تواجه جيداً (الروح الفردية) هذه النقطة لا تكون سوى الحقيقة، وعندما تقفل راجعة وتواجه حجاب المايا (الوهم) تكون محدودة ومشروطة ومقيّدة بالقيود...

"إن أحد اتجاهات عمل مايا، والذي يُدعَى "التيار الصادر" هو الذي يخلق مركز جيڤا (الروح الفردية) أي "الأنا" مع إشراطاتها وقيودها. وهناك في الاتجاه المعاكس "التيار الراجع" الذي يكشف عن اللامتناهي. وهكذا تلعب التانترا دوراً في تحويل التيار الصادر إلى تيار راجع محولاً ما يُقيِّد جيڤا (الروح الفردية) إلى محرِّر ويطلق سراحها. فالدوافع والرغبات المرتبطة بالتيار الصادر تشكل ما يمكن القول إنه شبكة العالم الظواهري التي علقت جيڤا (الروح الفردية) بها... والسؤال الوحيد هو كيف يمكن أن نحوّل دوافع التمتّع الأساسية (بهوغا) إلى تجارب روحية (يوغا). أي كيف يمكن الوصول إلى تصعيد الرغبات. فإذا تحقق ذلك انقلب عمل القيود، وحققت جيڤا المحدودة تماثلها مع الحقيقة اللامتناهية.

"إن التقنية الخاصة بالمنهج التانتري هو تحويل تيار التنوع الصادر إلى تيار الاندماج التدريجي الراجع من أجل جمع الانفصال والقطبية وحتى التضاد في التماثل والتناغم والسلام.

"تصف التانترا منهج التصعيد أن جسدي الرجل والمرأة المنطلقين مع تيار الصيرورة الكونية الصادر، ويختلف أحدهما عن الآخر، إلا أنه يمكن تصعيدهما بواسطة التيار الراجع إلى مبادئ كونية، وتحقيقهما بوصفهما الكل الواحد. وذاك هو شيڤا – شاكتي. وبعكس التيار الصادر على التواق أن يوفق بين المتكاملات أو الأقطاب بحيث يحقق هويتها، وهكذا يتم تصعيد اتحاد الرجل والمرأة الجسدي إلى الاتحاد الخلّاق لشيڤا شاكتي.

"وتعتمد التقنية على جعل الرغبة الجسدية، التي تشكل أقوى أغلال الإنسان الحيواني، نافذة أو قناة لاختبار سات – شيت – أنانداً. وهكذا فإن اتباع الطريق الصحيح واستكمال كل الشروط يوفر للتواق النجاح في سعيه.

"تتألف التانترا في التصعيد من ثلاث مراحل: التطهّر، والترفّع، وإعادة تأكيد الهوية على مستوى الوعي الصرف وبالتالي على التواق أن يُخلِّص نفسه أولاً من رداءة كثافة المادة وذلك بأن يقلب التيار الصادر إلى تيار راجع.

"تقول التانترا إن المبادئ الكونية الظاهرة تجتاز الخط في مرحلة ما من صيرورة التطوّر، وتتحول إلى مبادئ دنسة تشكل مملكة الطبيعة التي تشبه منحى مُلتفاً تُحتبَس فيه جيڤا (الروح الفردية) وتهيم عالقة في شبكة من الحتمية الطبيعية التي لا مفرّ منها، إلا إذا انحل المنحنى الملتف وفتح قناة من أجل تحررها وصعودها إلى مملكة المبادئ الكونية الطاهرة. وإلى أن يحدث ذلك تسبح جيڤا في التيار الصادر وتتحرك معه، وتهتم بالرغبات الدنيئة أو الجسدية. وسواء أثمرت اللذّة أو الألم تشدّ هذه الرغبات السلاسل فوق جيڤا بأغلال إضافية. وهي تأمل في انحلال التفاف الطبيعة التي أطبق عليها. ويسعى هذا بلغة التانترا إلى استيقاظ كونداليني أو قوة الأفعى الملتفة على نفسها، والذي ينتقل المرء بواسطتها من مستوى المبادئ الدنسة إلى مستوى المبادئ الطاهرة. يكون رأس هذه الأفعى الملتفّة متّجهاً نحو الأسفل، ويجب أن يتحوّل إلى الأعلى. إنّ هذا التغيّر في اتجاه قوة الأفعى التي تبقى جيڤا بعد تَفَتُّحها كامنة فيه يُدعَى تطهراً. والمرحلة الثانية هي الترفّع، أي قلب النظام الذي تسير فيه المبادئ الكونية مع التيار الصادر والبدء بالتيار الراجع. ويجب أن يتم الصعود في الاتجاه المعاكس للاتجاه الهابط.

"الحبُّ والإيمان يعملان كرافعة قوية لإيقاظ كونداليني الملتفة، وكذلك ترديد اسم الرب أو مانترا مقدّسة وحتى الموسيقا تساعد في هذه العملية.

"ينبغي على دارسي التانترا أن يُضمر في عقله المظهَر النفساني لعملية صعود الكونداليني، وهي عملية تفتّح وتوسّع وترفّع للوعي، أكثر من كونها صعوداً ميكانيكياً لفترة متزايدة متصاعدة".

ومن الجدير بالذكر إلى أن المانترات تلعب دوراً هاماً في المنهج التانتري. وكلمة مانترا تعني حرفياً "ذاك الذي يمنح التحرّر عند التفكّر به" وآخرون يفسرونها على أنها "حماية العقل" وفي حالة مؤلفنا الدكتور جورج أدوم فإننا نستنتج أن المانترا الإلهية التي أوصلته إلى الاستنارة الروحية أو ما يسميه بـ"الإنسان السماوي" هي عبارة "أنا أكون" الإلهية، وفي الحقيقة أن التانترا تعتبر أن بعض المانترات الأساسية لم تبلغها الأدمغة البشرية بل هي موجودة منذ الأزل، وأن التواق يبلغ من خلالها تكرارها الكمال الروحي، هذا ومن جهة التقليد الأزيخي عند الأورثوذكس المسيحيين يشكل اسم يسوع القوة التي لا تقهرها قوة في تكرارها فيما يسمونه صلاة اسم يسوع أو صلاة القلب، وهنا نرى أن هذه المانترا المسيحية تحمل طاقة الاسم الإلهي، وبالتالي الإلهي نفسه الذي يقودهم مع تطورهم في ترددها نحو الكمال الروحي...

## التقنية

يشير بهاجاوان شري راجنيش (أوشو) في كتابه "كتاب الأسرار بأجزائه الثمانية إلى مائة واثنتي عشرة تقنية علّمها شيئا إلى ديقي تلميذه الحميم، وراجنيش (أوشو) يشرح في كتابه هذا كل تقنية على حدة، ويبحث في أسرارها العظيمة، وليس أمامي إلا توجيه القارئ إلى الحصول على بعض أجزاء هذا الكتاب على مواقع الإنترنيت في اللغة الإنكليزية واللغة البرتغالية...

أما دينيس دي رجمون في كتابه "الحب والغرب" يذكر حول التانترا ما يلي: "تتمركز العبادة حول المبدأ الأنثوي والتأمل يحسب حساباً لقدراته والخلاص يصبح ممكناً من خلاله أي "شاكتي" زوجة شيڤا الأزلية، وهذه القوة الخفية تمسك الكون بلحمة واحدة، وتتّخذ صورة جسدية فتصبح الإلهة، والزوجة، والأم... وهكذا تصبح المرأة نفسها عند بعض الطوائف التانترية شيئاً مقدّساً، وصورة مجسِّدَة للأم نفسها.

"في إحدى نصوص شيڤا حول التانترا (٦٠) يقول فيها: "سأصف لأتقيائي فيما يلي "حركة البرق" (فاجرولي مودرا) التي تقوض ظلمة الدنيا والتي يجب أن تبقى سرّ الأسرار". والتفصيلات التي يعطيها النص تشير إلى تقنية للعمل الجنسي للرجل من دون إنزال، لأن من يحفظ أو يسترد بذوره في جسمه لا يخشى الموت... والغاية تبقى "السعادة الكبرى المثلى. الفرح بفناء الأنا".

وهذا الشعور بالرعشة أو الأورجازم الكوني تفنى فيه الأنا أو بعبارة أخرى يختفي العقل لوهلة، وغالباً يحصل من دون إنزال لكن هذا ليس شرطاً، إذ أن الرعشة الكاملة والشاملة التي يحلّق من خلالها المرء في الفضاء الكوني وتجتاحه اهتزازات من النشوة والطاقة لا عهد له بها قد تحصل أيضاً مع الإنزال ضمن العلاقة الحميمة... ولكننا نرى هنا في سياق نص التانترا كما يذكر الكاتب أهمية عدم الإنزال من قِبَل الرجل لكي يتحرّر من قانون السببية أي الكارما الذي بالنسبة إليهم يضع التواق على المستوى نفسه للفُجّار والفُسّاق أنفسهم، والحقيقة إن من يصر على عدم الإنزال من قِبَل الرجل نوعية العلاقة الجنسية في طاوية الصين، مؤسسها الشهير الحكيم لاوتزو والتي تطورت على يد تشوانغ تزو، وبالطبع فإن الطاوية التي لم يذكرها

الدكتور جورج أدوم أيضاً تبحث عن العلاقة الجنسية الخلّاقة والمنسجمة مع روح التاو، ويسميها البعض بالجنس كونغ فو، وفيه يمتنع الرجل عن الإنزال من خلال تحكمه بالطاقة الجنسية وتحييدها أولاً عن التيار الصادر إلى تيار راجع وتصعيدها إلى المراكز العليا من الجسد الطاقي ثانياً حتى يقول أحد الدارسين إن من يتقن جنس كونغ فو يستطيع اختبار رعشات متعدّدة في جسده بأكمله خلال العلاقة الواحدة، ولاشكّ أنهم يركّزون أيضاً على عدّة تقنيات للوصول إلى الهدف المنشود ولعلّ أهمها هو التنفس البطني العميق وحركات الجسد اللاإرادية التي تواكب الانفجار الأورجازمي.

نعود إلى حديثنا حول التانترا الهندوسية "هناك في التانترا الهندوسية ما يُدعى بـ فاماشارا أو الطريق اليساري، ويرتكز طقس هذا الطريق، ككلّ الممارسات الروحية الصادقة، إلى مبدأ التيّار الراجع الذي يسعى إلى قلب العملية التي تخلق الإنسان الحيواني. ويستخدم الإنسان الذي يتّبع هذا الطريق خمس مواد، وهي الحبوب والأسماك واللحم والنبيذ والاتحاد الجنسي. والمبدأ الأساسي للفاماشارا هو التشديد على واقع أن الإنسان يتقدّم في الحياة الروحيّة. ليس من خلال التجنّب الجبان والمزيّف الذي يجعله يسقط، وإنما من خلال التمسّك بها، وتصعيدها بحيث تصبح تحضيراً للانعتاق. يوصى لأحد أنماط التواقين، وهو النمط البطولي أن يكثر من شرب النبيذ، ويمارس الاتحاد الجنسي ويبيِّن المعلّم بحذر أنه يجب استخدام المتعة والإثارة التي تنشأ عنها من أجل الارتفاع بالعقل عن المستوى المادي.

على سبيل المثال:

"يُطلَب أولاً من التوّاق أن يقدّم النبيذ للآلهة ومن ثمّ يتناول منه بوصفه تقدمة أضحوية. وينطبق الأمر ذاته على الحبوب والسمك واللحم، إذ يتمّ

تصعيد اللذّة الناجمة عن التمتّع بها تدريجياً. ويعلِّم المريد أن الاتحاد الجنسي عملية مقدّسة تهدف إلى خلق حياة جديدة، وبالتالي يجب ألا يلجأ إليها بطريقة غير مسؤولة.

"يمتلك الاتحاد الجنسي معنى روحياً عميقاً لأنه يكتشف خلف الثنائية عن وحدة موجودة في كل التجارب الظاهرة.

"المرأة التي ترتبط في الممارسات التانترية بمساعدة الرجل على تحقيق تجربته الروحية العميقة من خلال الجنس، فهي موضع احترام لكل مدارس التانترا. إذ يُنظَر إليها بوصفها تجسد شاكتي أو القوّة التي تطلق العالَم وتتخلّله.

"تقسم التانترا "السادهاكا" أو التواقين الروحيين، إلى ثلاث مجموعات وفقاً لاستعدادهم الذهني. فيتحرّك الرجل ذو الاستعداد الشهواني (بازو) مع التيّار الخارج، ويستحق الثواب والعقاب عن أعماله الدنيوية. لم يترفّع بعد فوق حلقة العرف الشائع ولم يقطع العُقَد الثلاث، "الحقد والخوف والخجل"، فتدنّسه أهواؤه وتستعبده الدوافع الستّة المعادية، الجشع والشهوة والتكبّر والغضب والوهم والرغبة. ولا يُسمح له حتى بلمس المواد الخمس المخصّصة للطقس اليساري.

"إن الطالب المؤهَّل لخوض طقس المواد الخمس الخطر الذي وصفناه للتو يُدعَى بطلاً (فيرا). فهو يمتلك القوة الداخلية لكي "يلعب بالنار" ويحرق بها أغلاله الدنيوية. وهو متمكّن من ضبط النفس التام، لذلك لا ينسى نفسه حتى في أكثر الظروف تجربة وإغواء. إنه رجل ذو أهمية لا يعرف الخوف، ويبثّ الرعب في قلوب المندفعين وراء رغباتهم. طاهر في

دافعه لطيف في حديثه، قوي البنية، مقتدِر وشجاع، وذكي، ومغامر، ومتواضع، ويهتم بالأمور الخيِّرَة فقط.

"أما السادهاكا ذو الاستعداد الإلهي فقد ترفّع فوق كل قيود الرغبة، ولم يعد لديه ما يصعده.

"لا يحتاج في تعبّده إلى مساعدات جسدية من أجل تصعيد انفعالاته الروحية. ومزاجه التأمّلي عفوي وهو في نشوة دائمة مستمتع بالمرأة والنبيذ الداخلين كليهما.

ويشير دينيس دي جيرمون إلى وجود مدرسة صوفية تانترية متأخرة تُدعَى "ساهاجيا" Sahajyâ توسع الطقوس الغرامية وتذهب بها إلى حدود الدهشة... ففيها تُعطَى أهمية عظمى لكل نوع من أنواع "الحب"... ويجب على المبتدئ أن "يخدم" (المرأة التقية) خلال الأشهر الأربعة الأولى كأنه خادم لها، وينام معها في غرفتها ذاتها ثم تحت أقدامها. وخلال الأشهر الأربعة التالية يستمر على خدمتها كالسابق وينام معها في الفراش نفسه من الجهة اليسرى... وخلال أربعة أشهر أخرى ينام من الجهة اليمنى، وبعدئذ ينامان متعانقين... الخ، والغاية من جميع هذه المقدّمات "إعطاء الاستقلال" عن اللذّة، لتحقيق أورجازم شامل وكأنه التجربة الإنسانية الوحيدة التي يمكن أن تحقق لذّة الفناء التام والسيطرة على الحواس بما في ذلك وقف الإنزال عند الرجل. إذن فالهدف من الشهور الأربعة على امتداد ثلاث مراحل هو اكتسابها السيطرة العظمى حتى يبدآن بتقبيل بعضهما بعضاً فترة طويلة ويمارسان الجنس ببطء شديد مع تنفّس عميق حتى الاندماج الكلي في طهارة الروح لدرجة أن ذوباناً كهذا أو اندماجاً عميقاً متناغماً بإيقاع بطيء ويقظ وتأمّلي فيستمر أحياناً لأكثر من ساعة تكون

كافية لكليهما لدرجة أنهما لن يكونا بحاجة للفعل الجنسي لشهور أو فلنقل لأكثر من شهر لدرجة الإشباع والشعور بالرضا والاكتفاء الذي ولّده هذا الفعل التانتري.

لقد تكلّمنا ما فيه الكفاية عن الجنس كطريق للتحقق الروحي من خلال علوم التانترا بإسهاب لأن علوم التانترا أشبه ببحار الدنيا السبعة،وذلك لكي نقرب للأذهان كيف تتعامل العقلية الشرقية مع الجنس على أنه طريق للألوهة أو التأله.

والآن تبقى نقطة لم نوفها حقها... "الفالية" أي عبادة الفالوس (القضيب) التي يعتبرها الكاتب الدكتور جورج أدوم أساس ديانات عصرنا الحديث. هل يوجد لدينا أيضاً في الشرق شيء ما يؤكّد أطروحة الدكتور جورج أدوم حول هذه النقطة؟!!

نعم، تجيبنا الهند على هذه النقطة من خلال "معابد خاجوراهو" التي تمّ اكتشافها في منتصف القرن التاسع عشر. وهي قرية في وسط الهند تضمّ أكثر من عشرين معبداً رائعاً من معابد القرنين العاشر والثاني عشر. ازدان كل منها بمئات التماثيل الحية، التي يصور بعضها الجنس الشهواني بشكل واضح وصريح والبعض يقولون بتعصّب وصوت عال ليس بشكل واضح بل بشكل فاضح... حسناً، فلندع كل شخص ورأيه ولنخص في رحلة في هذه القرية عبر معابدها لكي نرى ما الذي تريد إيصاله من خلال هذه التماثيل التي تمثّل لنا كل ما يمكن أن يطرأ على الخيال من وضعيات جنسية وشبق حنسي تزين بها جدران المعابد من الخارج في معظمها!!!

ومنذ منتصف القرن التاسع عشر تمّ توثيق هذا الموقع أول مرة على يد باحثين أوروبيين الأمر الذي أثار جدلاً بسبب الوضعيات الجنسية المتنوعة

والكثيرة والفاضحة أحياناً والمنتشرة بغزارة على جدران المعابد، ولكنها بعد بحوث تمّ اكتشاف كما سبق وأشرنا في التانترا الهندوسية زواج شيفا مع شاكتي، أما هنا فيحلّ محل شاكتي شخصية "بارڤاتي"والحقيقة كلهنّ سواء شاكتي أو بارڤاتي أو كالي أو ساتي... الخ كلهنّ وجوه للحقيقة الأبدية بوجهها الأنثوي، أي الجانب الأنثوي من شيڤا نفسه...

إذن فهذه المعابد وهذه التماثيل تصور الزواج المقدّس لشيڤا الذي يعني اسمه "اليُمن والبركة والسعادة" وهو الإله الثالث ضمن الثالوث الهندوسي براهمان وڤيشنو وشيڤا... والحق يقال إن شيڤاهو الأصل الذي انقسم إلى شطرين الأول براهمان كان الوجه الخلّاق منه وجلس عن يمينه والثاني ڤيشنو وهو الوجه الذي يحفظ الخلق ثم هو نفسه أخذ هيئة أخرى ثالثة يدمر فيها كل ما تمّ خلقه لكي يعاد خلقه من جديد ولهذه أسطورتها لعلها من أجمل الأساطير الهندية ناهيكم عن المهابهاراتا العظيمة..

لعل أهم ما يعنينا في هذه الخاتمة وعند هذا الحد منها هو الموضوع "الفالي"، أو "الفالوسي" ومنه نفهم أهمية طقوس واحتفالات ليلة شيڤاالعظيمة في قرية خاجوراهو.

قبل انتقالي إلى موضوع "الفالية" أو"عبادة الفالوس" في الهند، دعوني أمرُّ سريعاً حول ماهية معابد خاجوراهو التي أتينا على ذكرها لتونا، وربما إشارتنا لن تكون باتة قطعاً، لأنه تظل تساؤلات نابعة عن الآثار التي لا تنتهي، لكن لعلنا نوفي الأمر إلى حدّ ما وليس إلى حدّ نهائي وقطعي تماماً...

يقول أحد أهم حكماء التانترا في عصرنا هذا وهو "أوشو" إنه كان في صدد زيارة "خاجوراهو" لكي يرى المعبد الشهير عالمياً حيث كان الجدار الخارجي للمعبد مزركشاً بمشاهد للفعل الجنسي، وبأوضاع متنوّعة

للجماع، وكانت هناك منحوتات كثيرة ومختلفة الوضعيات، وكلها كانت في وضعيات جنسية. فسأله أصدقاؤه: لماذا تمّ وضع التماثيل لتزيين المعبد؟ فشرح لهم بأن المهندسين المعماريين الذين بنوا المعبد كانوا أناساً أذكياء جداً، فقد عرفوا بأن العاطفة والجنس يُوجَدان على محيط الحياة، واعتقدوا أن أولئك الذين مازالوا منغمسين في الجنس ليس لديهم الحق بدخول المعبد.

ثم دخلوا إلى المعبد، ولم يكن هناك وثن مقدّس للعبادة. وقد تفاجأ أصدقاء الحكيم أوشو إذ لم يشاهدوا داخل المعبد أيّ تمثال تعبدي في أيّ مكان منه. فأوضح لهم أوشو "أن العاطفة والرغبة تتواجد على الجدار الخارجي للحياة نفسها، في حين أن معبد الله موجود في الداخل، وأولئك الذين مازالوا مفتونين بالعاطفة والهوى والجنس لا يمكنهم الوصول إلى معبد الله في الداخل.

"فالذين بنوا هذا المعبد كانوا أناساً مُتّزنين جداً، فقد كان هذا المعبد مركزاً للتأمل... حيث النشاط الجنسي على السطح، وفي كل الأنحاء، أما السلام والسكينة فهما في الجوهر... في المركز".

كانوا يقولون للتلاميذ أن يتفكّروا في الجنس أولاً، ويتأمّلون بالكامل صور الجماع على الجدار الخارجي، وعندما يتمكّنون من فهم الجنس كلياً، ويتأكّدون من أن عقولهم أصبحت خالية منه، عندئذ يمكنهم المضي إلى الداخل، وفي تلك اللحظة فقط سيلقون الله في الداخل. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فالاتحاد الجنسي هو المجاز التشبيهي الذي تمّ استخدامه للتعبير عن الرابطة الحقة بين روح الإنسان "اتحاد الروح الفردية بالإله" وهذه هي الصورة أو الطاقة التي يحملها الجنس من إثارة إلى احتكاك إلى حرارة إلى اشتعال، ومن ثم إلى النور كما تفضّل الكاتب الدكتور جورج أدوم...

أما الآن لكي نعطي الخاتمة حقها ونختم الحديث فلنوضّح النقطة الأساسية التي بدأ بها الدكتور جورج أدوم بحثه ألا وهي الديانة الفالية أو "عبادة الفالوس"!!.

أهم معابد خاجوراهو هو ذلك المعبد حيث "قضيب شيفا المنتصب وللوصول إليه لابد للحاج أن يرقى عدداً من الدرجات توضع في أعلاها تمثال رمز الإحياء والنماء. ويبلغ ارتفاعه ٢٤٠سم، وقطره حوالي ١٢٠سم. وهذا يعني أن وزنه يعادل السبعة أطنان ونصف. وهذا القضيب المنتصب في الداخل كان محل عبادة حتى عام ١٨٣٨ حين عثر عليه أحد البريطانيين المستكشفين. مما يعني أن عبادته قد استمرّت من القرن العاشر حتى وقتنا هذا." والسؤال الذي يطرح نفسه: ما هي أهمية هذا القضيب المنتصب؟؟؟!!

ضمن الميثولوجيا الهندية فإن شيڤاقد تجلى لبراهمان وڤيشنو على نحو عمود ملتهب تحول إلى عمود من نور كالفضاء الذي لا حدود له. وهذا مدخل إلى فهم ليلة شيڤا.ويُدعَى القضيب المنتصِب في النصوص المقدّسة الهندية باللينغا.

كما يتمّ إطلاق مصطلح مريتيون جاياتا بصفته قاهر الموت – لعله يذكرنا في اللاهوت المسيحي بسيد الختن ومعانيه السرانية العميقة حيث يتحقق الأمر كفعل طقسي في طفولته عند تقدمته للهيكل كونه الابن البكر، ثم تتحقق المعاني السرانية على الصليب حينما تسيل دماء الرب كما لحظة الختن التي كانت نذيراً له وقمة المعنى الذي يتحقق على الصليب وعلى الجلجثة أيضاً – نعود حيث أنهينا جملتنا الأولى بصفته قاهر الموت، ليس لأنه يعيش إلى الأبد، بل لأن فكرة السعادة والبركة في شيڤا تمتدُّ لما وراء

عالم الولادة والموت، ويوصف أنه الكائن الذي ليس له بداية ونهاية فهو لا أب له ولا أم ولم يولد ولا وطن له، وبالتالي فهو الكائن الحق...

"في اليوم الرابع عشر لتناقص القمر في كل شهر (كاتورداشي) هو شيفراتري. لكن غداً يوم خاص، لأن ليلة المحاق في شهر فالغون (شباط وآذار / فبراير ومارس)، أعظم ليلة عند شيڤا، إنها ليلة شيڤا العظيمة".

يعتقد البعض كما ذكرنا آنفاً أنه في هذه الليلة المظلمة تجلّى شيڤا على هيئة عمود رائع من نور، ووصف النصوص المقدّسة لقصة علامة عمود النور هذه، ينتهي بأن يعلن شيڤا وجوب إحياء ذكرى هذا الحدث باسم ليلة شيڤا.

"ولإحياء هذه الليلة على الحجاج أن يغتسلوا (يتعمّدوا بمعمودية يوحنا وفقاً للموروث المسيحي، وهي معمودية الماء) أي يأخذون غطسة في بحيرة شيڤا. (الأمر الذي يحمل معاني الطهارة أو التطهّر وغسل خطايا الحاج السابقة، والتهيّؤ لولادة جديدة).

"يتجه بعدها الحجاج إلى المعبد الذي يحوي على أعظم تمثال للينغا حيث قاعدة اللينغا يبلغ قطرها ٦.٦٨م، وعلى الحجاج أن ينحشروا وينضغطوا عند تجاوزهم الأعمدة للقيام بالبراداكشينا، أي بالطواف ملتفين حول اللينغا باتجاه عقارب الساعة. وهذا القضيب المنتصب (اللينغا) يبزغ من وسط قاعدته العالية، عموداً من الصخر هو أكبر علامة فارقة لشيڤا في الهند، ومحور كل العبادات في خاجوراهو أي ليلة شيڤا.

"وبعد أن يغسل العابدون اللينغا بالماء الذي أتوا به بقدور من بركة أو بحيرة شيڤا فبعد ذلك يقومون بعناقها واحتضانها أي "اللينغا" نفسه، كما لو أنهم باللمس يتوقعون أن يحصلوا على بعض قدراتها الخلّاقة".

والآن فلنأت إلى ماهية ليلة شيـڤا، تمـضي القـصة لتـصف مولـد بـارڤاتي الربة العظيمة التي قُدِّرَ لها أن تتّحد بشيـڤا، عُرِفَت بـارڤاتي بأسـماء عديـدة كما أشرنا قبل قليـل وهنـا يـذكرون أسـماء مثـل "أومـا"، وكـالي الـسوداء المظلمة، وشاكتي القدرة الخلّاقة التـي أتينـا عـلى ذكرهـا أيـضاً في مـستهلّ الخاتمة بحديثنا عن التانترا.

كانت بـارڤاتي قبـل الخلـق توصـف بأنهـا الكـائن المتحـد مـع شـيفا / السعادة، ثم وعت نفسها في المسرحية الكونية بعد الخلق، لتصبح "سـبب" الخلق. ومع أنها أعطيت رمزاً وشكلاً أنثوياً، إلا أن الـصفات والخـصائص التي تمثّلهـا صـفات مجـردة. فهـي الطاقـة والقـدرة التـي خُلِـقَ منهـا عـالم العناصر... لا يمكن لشيـڤا أن يوجد من دون بارڤاتي، فهي النسمة، وشيـڤا هو حركة النسيم. هي الأرض متجسّدة، وشيـڤا هـو الكـون، هـو اليـوغي الأعلى الغارق في أعماق التأمل والمتحد مع الكون. وهي مبعث ومحرّك كـل ما يُرى، ويُفعَّل بالحواس والعقل. إذن، بارڤاتي في الفلسفة التانتريـة تُـدعَى شاكتي، أما في المدرسة الـسامخية فتُـدعَى براكريتـي، وسُـمِّيَ شيـڤا باسـم "بوروشا" أي الوعي المشخصن إن صحّ التعبير...

المهم أن الأسطورة تحكي أن شخصاً يُدعى "تاراكا يـتمّ تتويجـه كملـك للشياطين وله سلطان على العوالم الثلاثة، وبعـدما تفاقمـت شروره وانهـزم الأرباب أمام جبروته وطغيانه المتعاظم... فتشاور الأرباب مع براهمان فـيما يجب فعله، ولمقاومة قدرة تاراكا الخطيرة، أخـبرهم أنـه حـدّد حـين وهـب الشيطان مكافأته ألا يستطيع أحد قتله إلا ولد من صلب شيـڤا" – فلنتذكّر أن النبوءة المسيحانية أن ذلك الذي سوف يغلب الشيطان وهو يسوع يجـب أن يكون من صلب داوود النبي!!! – إذن فالمشكلة كانت في إقناع شيـڤا أن

يكون أباً. والأنكى من ذلك هو العثور على زوجة ملائمة له، أي تتمتع بقدرات إلهية!!، فأخبرهم براهمان أن الربة العظيمة قد جسّدت نفسها في شخص بارڤاتي، وأنها الوحيدة في العوالم الثلاثة التي تقدر أن تكون نداً خفيّاً لشيڤا. (اسمحوا لي أن أعقد مقارنة هنا بين بارڤاتي ومريم العذراء في الموروث المسيحي وكيف أوتيت غلبة الشيطان وأنجبت المسيح وبعده كانت راعية الكنيسة وروحها السريّة وكأس القربان الذي يقدّم المسيح للمؤمنين).

"وكان كاما ربّ الرغبة عائقاً أمام حب شيڤا النقي فتملّكه غضب مخيف رؤية كاما، وكان غضبه كاماً لمحق الكون بأكمله. واندلعت في تلك اللحظة نار هائلة من عين شيڤا الثالثة وسط جبهته، فلمعت ألسنة لهبها في السماء ثم أحاطت بالأرض".

ويقول النص المقدّس:

"وقبل أن يتسع الوقت للآلهة لدفع القدر،

"كانت نار شيفا، المنبعثة من عينه الثالثة،

"وقد أحالت ربّ الرغبة الوسيم إلى رماد، وماتت الرغبة، واحترقت بنار حكمة شيڤا".

"وفي تلك اللحظة، انشقَّت الأرض عن قضيب هائل منتصب برهاناً على وجود شيڤا في كل مكان وقهره لكاما إله الرغبة. وهكذا بعد إخضاع الرغبة، تحرّر شيڤا من سلطانها وأصبح قادراً على حماية عباده من المعاناة والعذاب الناجم عنها". (يقول المعلّم الناصري يسوع في بستان الزيتون قبل صلبه: فلتطمئن قلوبكم لقد غلبتُ العالم).

وطبقاً لـ(سكاندابورانا) فقد بزغت هذه اللينغا الضخمة علامة على هذا الحدث العصيب، وحدث التغلّب على كاما، فسُمِّيَت بـ"كريتا سمارا" في ذكرى كاما.

وهكذا نكون قد وصلنا في الأسطورة إلى تاراكا، في الجانب الأول، الذي سرق العناصر بشخصيته الشيطانية من أمكنتها، والذي نهب الأرض بجشعه الوحشي. وانتشر الخواء على العقل، وامتد إلى كل زاوية من الكون. أما في الجانب الآخر ليتوازن الميزان، فهناك اتحاد شيڤا وبارڤاتي، الذي يزيح بطبيعته الذاتية، حالة الفوضى الثنائية، والذي يسود به النعيم في الكون. فحين أتم شيڤا وبارڤاتي زواجهما، فقدا هويّتهما الفردية وأصبحا شيئاً واحداً، الأب والأم الأصليين لكلّ خلق، بينما وُلِدَ ابنهما كارتيكيا ليرث العالَم بعد هلاك تاراكا. فحفل زواجهما يطهِّر الكون من الثنائية. والفرد الذي يشارك في ليلة شيڤا العظيمة هو اندماج كل الفروع القادمة.

"وطبقاً للتقاليد، تجري خدمة القضيب – النصب البالغ ارتفاعه ٢.٤م في معبد ماتان غيشفارا، رمز قاهر كاما الرغبة، كخدمة شڤيا العريس في طقوس الزواج.

مراسيم الزواج أو عرس شيڤا لا يشمل فقط شعائر الزواج، لكنها أيضاً احتفال بعجائب الخلق والتطهّر من غبار العالم المادي لنتمكّن من فهم وإدراك وحدة الوجود وعلاقة كلّ شيء بالآخر في جميع وجوه الحياة.

إذن بينما يمارسون شعائر الزواج يتم سكب قارورة عطر صغيرة تُخرَج من السلّة، على القضيب العظيم تأكيداً على أنّ كلّ ما يتمّ إضفاؤه على العرسان الفانين يُضفَى أيضاً على شيڤا نفسه (وهنا لعلّنا نتذكّر حادثة

سكب قارورة عطر الناردين غالي الثمن على قدمي يسوع، ولعلنا نعلم ما هي رمزية القدم في التحليل النفسي من جهة وعلم الأديان المقارن من جهة أخرى). "ثم يجلس الأتباع والمريدون مقدّمين قرابين أوراق التابول، حيث يتمّ إطعامها للقضيب العظيم. فالإتيكيت الرسمي يقضي بتناول أوراق التابول بعد الوجبة الدسمة الجيدة، علامة الالتذاذ والشبع، والسرور الجسدي والعاطفي. والتابول على المستوى البشري متعة دنيوية، أما حين يتم تقديمه للآلهة فهو امتلاء روحي.

"ثمّة تمثال آخر جميل جداً يمثِّل نهاية طقوس الزواج، وهو على الجدار الشمالي من معبد كيترا غوبتا، في المجموعة الغربية لخاجوراهو هو يظهر فيه شيڤا مُمسكاً بيد بارڤاتي اليمنى، بينما تتطلّع هي بإشراقة خجولة إلى زوجها المعبود".

ومن الجدير بالذكر إلى أن ثمّة أشكال من الرموز الهندوسية، فالمثلّث المتساوي الأضلاع المقلوب الرأس يترافق مع مفهوم التأنيث، كالماء والمادة، بينما المثلث المتساوي الأضلاع العمودي الرأس هو الذي يرمز إلى التذكير في النار والروح. ودمج وتوحيد هذين المثلثين إنما يثير فكرة اتحاد الأقطاب وفعل الخلق. وفي هذا السياق، فإن الرمز خاصتنا في هذه الخاتمة هو الرمز العام لأصل الخلق، ومن أهمّها القضيب المنتصب الذي يبزغ من باطن الأرض (بارڤاتي) أو من فرجها.

للحكمة: "الخروج من غلاف الأنا، وخلع قشور الغرور، للدخول في حضرة شيڤا المبارك".

**المراجع:**

١) كتاب الإنجيل.

٢) الهندوسية تحضيرها لانعتاق الروح.

٣) الحب والغرب. تأليف: دينيس دي رجمون.

٤) النشوة السماوية (قصة معابد خاجوراهو) تأليف: شوبيتا بونجا.

٥) من الجنس إلى أعلى مراحل الوعي. تأليف: أوشو.